جذور الإرهاب

وآليات المواجهة

تأليف

أ.د.أميرة عبد العزيز العربى

لواء.د. محمد عبد المنعم كامل

طبعة ٢٠١٩

العربى ، أميرة

جذور الإرهاب وآليات المواجهة /أميرة عبد العزيز العربى.- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

٢٥٢ ص ، ٢٤ سم

تدمك: ٦٧٩٦ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الإرهاب - تاريخ

أ - العنوان

٣٦٤,١٣١٠٩

جذور الإرهاب

وآليات المواجهة

تأليف

أ.د.أميرة عبد العزيز العربى

لواء.د. محمد عبد المنعم كامل

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/١٠٣٠٢

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٦٧٩-٦

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

الكتاب : جذور الإرهاب وآليات المواجهة

المؤلف : أميرة عبد العزيز العربى، محمد عبد المنعم كامل

الغلاف : أحمد السعيد

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكـــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهداء

إلى

الشهداء الأبرار

إلى

شباب مصر

إلى شعب مصر العظيم

خير أجناد الأرض

المؤلفان..

تقـــديـــم

أسعدنى جدا قراءة هذا الكتاب الهام

جذور الإرهاب وآليات المواجهة

للأستاذة الدكتورة / أميرة عبد العزيز العربى

اللواء دكتور / محمد عبد المنعم كامل

وموضوعه الهام (جذور الإرهاب و آليات المواجهة)

وتتضح أهمية الكتاب منذ بداية سطوره الأولى ، وإهداء مؤلفيه ، إلى الشهداء الأبرار ، وإلى شباب مصر ، وإلى شعب مصر العظيم ، خير أجناد الأرض ،،هذا الإهداء الذى يؤكد دور الكاتب والأديب والمثقف العربى ، فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا التى يواجه فيها عالمنا العربى ، وأيضا العالم كله صنوفا مختلفة ، عاتية من ألوان الإرهاب ، ويحتاج إلى التفكير فى آليات مواجهته ، والفضاء عليه .

ودراسة طرق مواجهة جماعات التطرف والإرهاب والتكفير التى لا تمتلك الرؤى الصائبة .

وقد اهتمت هذه الدراسة الهامة بالبحث عن أدوات وآليات جديدة فى علاقة هذا الإرهاب بالمجتمع المدنى وباقى مؤسسات الدولة ذات الصلة ، والتعرف على الإنجازات الإيجابية ، والمهام، والنجاحات الأمنية ، ومشروع قانون مكافحة الإرهاب .

وتأتى مصداقية الآراء الواردة فى هذا الكتاب من خلال خبرة المؤلفين من عملهما حيث أنهما كانا يعملان ضابطين فى مصلحة السجون مما أتاح لهما التعرف عن قرب على فكر الجماعات الإرهابية .

والأن أترك القارئ العزيز مع هذا الكتاب الهام وأحيى الكاتبين وأدعوا لوطننا العظيم بانتشار الأمن والمحبة والسلام ،،،

الأستاذة الدكتورة / ثريا العسيلى

مقـــدمـــة

قـال تعالـى: «وإذ قـال إبراهيـم رب اجعـل هـذا بلـدا آمنـا وارزق أهلـه مـن الثمـرات، مـن آمـن منهـم بـاللّه واليـوم الآخـر» البقـرة ١٢٦

تلـك كانـت دعـوة إبراهيـم عليـه السـلام، لقـد دعـا اللّه أن يوفـر لنـا الأمـن، وأن يرزقنـا سـبحانه وتعالـى مـن الثمـرات.

وهـذه الدعـوات أقترنـت بالإيمـان بـاللّه واليـوم الآخـر، فـإذا الأيمـان ضـاع فـلا أمـان، وإذا الإيمـان ضـاع فـلا رزق، ولكـن الأمـن ضـرورى للـرزق، ولـذا فقـد دعـا أولاً بالأمـن طالبـاً مـن اللّه أن يكـون بلـداً آمنـا. ولا شـك أن المؤسسـة الأمنيـة تعنـى فـى الوقـت الراهـن فـى ظـل معطيـات مجتمعيـة معقـدة وقاسـية ومتشـابكة ، يدفعنـا ذلـك دفعـا نحـو التفكيـر الجـاد فـى البحـث عـن أدوات وآليـات جديـدة فـى علاقتهـا بالمجتمـع المدنـى أو مـع باقـى مؤسسـات الدولـة ذات الصلـة بـه ، وأصبحـت هنـاك سـمات عامـة أمسـت حاكمـة بظلـم فـى أحيـان كثيـرة، وهنـاك مـن يلاحـق الإنجـازات الإيجابيـة والمهـام، والنجاحـات الأمنيـة، بالإعـلام السـلبى تـارة، ومـن جانـب بعـض منظمـات حقـوق الإنسـان المحليـة والدوليـة تـارة أخـرى، وقـد يـزداد الأمـر سـوءاً إذا لـم تفـرض حالـة الطـوارئ عنـد الحاجـة، وتظـل الخلافـات حـول مشـروع قانـون مكافحـة الإرهـاب مـع جبهـة تدعـي وصايتهـا علـى مقـدرات هـذا الشـعب، وهنـاك مـن تدفعـه مصالـح ذاتيـة أو ممولـة أو مـا يستشـعره البعـض الآخـر مـن إحبـاط تغذيـه بعـض أزمـات داخليـة ضاغطـة.

لـم نتعلـم مـن التاريـخ أبـداً، لـم نسـتوعب دروس الماضـي، ولكننـا نعـرف التاريـخ جيـداً، فالتاريـخ بالنسـبة لنـا مجـرد لوحـات فنيـة، نعـرف اسـمائها ولا نـدرك معناهـا، معابـد وكنائـس ومسـاجد بناهـا أجدادنـا وأبدعـوا فيهـا. التاريـخ هـو آثـار القدمـاء، يأتـى الغربـاء لمشـاهدتها ودراسـتها والتعلـم منهـا، ونحـن لا نعـرف إلا التغنـي بهـا والتكسـب مـن ورائهـا!

كنا ولا زلنا نسير على الدرب ولم نتعلم، حتى مجرد محاولة أن نقلد الأجداد تركناها للأغراب.

وهذا ينطبق على كثير من أحوالنا، وإذا نظرنا إلى موضوعنا الذي نتناوله فى هذا الكتاب، وهو الإرهاب، نجدنا نبحث فى الأسباب التي أدت إليه فى الحاضر، ولو كنا استوعبنا دروس الماضى لما وصل الإرهاب الى هذه الدرجة.

وكيف استطاعت الدول الإستعمارية أن تزرع بذور الإرهاب فى أرضنا وأن ينمو ويترعرع بين أحضاننا، فى زمن لم نحافظ فيه على الوطن، بل كنا نحافظ على موقعنا في حكم الوطن، على كرسى الحكم، مهما كانت التضحيات بمقدرات الوطن!!

وهكذا استطاعت الإمبراطورية البريطانية العظمى، وخليفتها الولايات المتحدة الأمريكية، السيطرة على حاضر الوطن ومستقبله، واكتفينا بالشجب والإدانة والمظاهرات والشعارات الرنانة، ويضيع الوطن قطعة قطعة!

إن تحليل ظاهرة الإرهاب أو التنظير لها لبحث أسبابه والعوامل التى تؤدى اليه وكذلك نتائجه، وما إذا كان يحقق أهدافه أم لا؟ وهل هو تطرف فى الفكر والعقيدة والسلوك؟ أم أن التطرف يختلف عن الإرهاب؟ ومن هنا نشأ الخلاف فلم يتفق الباحثون أو السياسيون أو حتى علماء القانون و الجريمة على تعريف محدد للإرهاب، وأدى هذا الى عدم التوصل الى إتفاق لكيفية مواجهة ظاهرة الإرهاب أو القضاء عليه.

وتبدو خطورة التطرف الفكرى عندما يتحول هذا الفكر ويُترجم إلى أفعال سلوكية عنيفة تؤدي إلى نتائج كارثية وتعتبر عملا إرهابياً، فالعمل الإرهابى هو نتيجة للفكر المتطرف سواء كان دينياً أو سياسياً أو اجتماعياً.

لذلك قام هذا الكتاب على تأصيل تاريخي متضمناً البحث فى جذور الإرهاب، حيث أنه ليس وليد اللحظة، لكن جذوره ضاربة فى عمق التاريخ فى أنحاء الكرة الأرضية، مما حدا بنا أن نختص المنطقة العربية ونبحث في تأصيل ظاهرة الإرهاب

وبداياته وأسبابه وتأثيرها فى تكوين شخصية الإنسان العربى، وكيف استغلها الغرب لتحقيق أطماعه بأن يجعل العروبة متلازمة مع الإرهاب، فكونك عربياً يعنى فى الدول الغربية أنك إرهابي! ناهيك عن إلصاق هذه التهمة البغيضة بالدين الإسلامى نفسه، وذلك لتحقيق الأطماع الإقتصادية للدول الغربية فى المنطقة العربية الغنية بمواردها الطبيعية وبصفة خاصة البترول!

كما اعتمد المؤلفان على التجربة الشخصية لهما فى التعامل مع العناصر الإرهابية فترة الثمانينات والتسعينات إبان عملهما فى خدمة الشرطة، وكان المؤلفان يعملان فى مصلحة السجون مما أتاح لهما التعرف عن قرب على فكر هذه الجماعات الإرهابية ومدى انقيادهم لقيادات تتبنى الدعوة إلى صحيح الدين، وتتستر وراءها بغية الوصول إلى كرسى الحكم، فكل المجتمع فى جاهلية إلا جماعتهم، وهم الوحيدون المسلمون!

وهى الفترة التى شهدت مواجهات دموية بين الشرطة وجماعة الجهاد والجماعة الإسلامية، اللتان خرجا من عباءة جماعة الأخوان الإرهابية. إلى أن حدثت المراجعات التى أدت الى إعتذار هذه الجماعات عما فعلته باسم الدين، ونتج عنها الإفراج عن كثير منهم، ولكنهم وبعد أحداث يناير ٢٠١١ عادوا وأظهروا وجههم القبيح مرة أخرى ليؤكدوا أنه لا عهد لهم.

ولقد حاول الإرهاب أن يمتد بأياديه الملطخة بالدماء ليغرس بذور الفتن والخلافات داخل المجتمعات العربية، بل داخل المجتمع الواحد ، حيث وجد التربة الخصبة الصالحة لنمو هذه البذور، وعن جهل وسوء تقدير فقد قدم أبناء هذه المجتمعات أعظم عون ومساعدة لإنبات ونمو بذور الشر إلى أن أصبحت أشجاراً، وأتت ثمارها فروعاً تحمل رؤوس الشياطين التى كلما قطفت رأساً منها أنبتت بدلاً منها آلاف الرؤوس، فأصبح الإرهاب فى كل مكان.. فى الأسواق والمرافق والمتنزهات وحتى رياض الأطفال.

فقد أصبح لزاماً على الدولة بكل عناصرها وطوائفها أن تقاوم هذا الشر، ولكل عنصر من عناصرها دوره الضروري والمهم الذى ينبغى عدم التهاون فيه ولا يقبل فيه أى تقصير أو قصور.

وقد استعرضنا فى هذا الكتاب دور الحكومة ودور المجتمع ومنظماته الدينية والاجتماعية والتعليمية، وكذلك دور وسائل الإعلام، والدور المحوري الهام الذى لابد أن تقوم به الأسرة التى هى نواة الوطن، وكيف قام كل منها بدوره، وماهى أوجه القصور وكيف نعالجها.

لذا فقد وضع هذا الكتاب وصُيغت موضوعاته في ستة فصول رئيسية، ألا وهي:

الفصل الأول: مفهوم الإرهاب.

- تاريخ الإرهاب.
- تعريف الإرهاب والتطرف والعنف.
- جذور الإرهاب فى المجتمع العربى.
- الدور البريطانى والأمريكى.
- الإرهاب فى مصر قبل وبعد الجمهورية.

الفصل الثانى: الإرهاب في العقود الأخيرة.

- محاولتي اغتيال الرئيس الأسبق حسني مبارك فى سيدى برانى وأديس أبابا.
- مذبحة الأقصر.
- تفجيرات طابا وسيناء.
- تفجيرات الكنائس.

الفصل الثالث: المواجهة الأمنية.

- الأمن والحريات الفردية فى ظل الحرب على الإرهاب.
- إجراءات بوليسية في أنظمة ديموقراطية.
- عناصر المواجهة الأمنية.
- الضربات الاستباقية.
- مفهوم الضربات الاستباقية.
- استخدام الضربات الاستباقية في مواجهة الإرهاب.
- أمثلة للضربات الاستباقية.

الفصل الرابع: الإرهاب الإلكترونى.

- مفهوم الإرهاب الإلكترونى.
- الحماية من الإرهاب الإلكترونى فى الدول المتقدمة.
- خطورة الإرهاب الرقمي.
- سبل الحماية.

الفصل الخامس: الأمن الفكري والإرهاب.

- مفهوم الأمن الفكري.
- صيانة الأمن الفكرى من الإرهاب.
- كيف يستخدم داعش الجانب المظلم لوسائل التواصل الإجتماعى.

الفصل السادس: القصور في آليات مواجهة التطرف والإرهاب.

- دور المجتمع.

- الدور الحكومى.
- دور مواقع التواصل الإجتماعي.
- أسباب استخدام مواقع التواصل الإجتماعى من قبل التنظيمات الإرهابية.
- الأسرة.
- العشوائيات.

●●●

الفصل الأول
مفهوم الإرهـــاب

ويشمل:

- تاريخ الإرهاب.
- تعريف الإرهاب والعنف والتطرف.
- جذور الإرهاب فى المجتمع العربى.
- الدور البريطانى والأمريكى.
- الإرهاب فى مصر قبل وبعد الجمهورية.

الإرهـاب كلمـة فرضـت نفسـها علـى حيـاة البشـر، أو فرضهـا البشـر علـى أنفسـهم منـذ حوالـى خمسـة عقـود مـن الزمـان، فـلا يخلـو خبـر فـى وسـائل الإعـلام المختلفـة مـن هـذه الكلمـة.. ولا يخلـو حديـث بـين النـاس منهـا أيضـا..

فهـى تحمـل العديـد مـن المعانـى وكافـة أوجـه الصـور، بـل أصبحـت مؤثـرة فـى حيـاة الشـعوب، فالحـوادث الإرهابيـة تسـتهدف كل أبنـاء الوطـن مـن رجـال الأمـن والجيـش وكافـة أطيـاف الشـعب مـن المواطنـين الأبريـاء.

وأصبـح التصـدى للإرهـاب ومواجهتـه عنصـرا أساسـيا فـى سياسـات الـدول والحكومـات التـى وضعـت اسـتراتيجيات عاجلـة وآجلـة لمواجهتـه بكافـة صـوره والتـى تتمثـل فـى المواجهـات الأمنيـة والفكريـة وضـرورة تكثيـف الـدور الأمنـى بالتعـاون بـين السـلطة والمجتمـع المدنـى لـردع كافـة العناصـر التكفيريـة وصـد ومنـع أى محـاولات تهـدف الـى زعزعـة أمـن واسـتقرار الوطـن.

ولهـذا فـإن دور مؤسسـات المجتمـع المدنـى والنقابـات المهنيـة ومراكـز الشـباب هـو توعيـة الشـباب والحـوار معهـم ووضـع لغـة حـوار مجتمعيـة تتضمـن كيفيـة وضـع أسـس وقواعـد راسـخة لبنـاء دولـة قويـة مسـتقرة.

ولـن يتـم ذلـك إلا بالتعـاون بـين الجميـع للقضـاء عليـه واسـتئصاله ليسـود الأمـن والطمأنينـة بـين أفـراد المجتمـع.

لأن الإرهـاب أو التطـرف ليـس بإطـلاق الرصـاص أو العبـوات الناسـفة علـى الآمنـين والمعارضـين بـل قـد يكـون بكلمـة تـؤدى إلـى انقسـام المجتمـع ونشـوب قتـال بـين أبنائـه.

فمـن يتهـم المجتمـع بالكفـر والجاهليـة فهـو متطـرف، ومـن يحصـر الديـن فـى ارتـداء الجلبـاب وتقصيـره أو لبـس العمامـة وإطـلاق اللحيـة واسـتخدام السـواك وفـى نفـس الوقـت يحـرم العمـل فـى الحكومـة أو التعامـل معهـا أو يمتنـع عـن الدراسـة فـى مدارسـها ويعتبرهـا حرامـا، يعـد متطرفـاً.

ومن ثم فمن يستغل النقابات والمساجد في جمع التبرعات لمساعدة المسلمين فى دول أخرى رغم حاجة فقراء بلده إلى كل قرش، يعد متطرفاً.

فمن قتلوا (عثمان بن عفان) قتلوه باسم تطبيق شرع الله!! ومن خرجوا على (على) ثم قتلوه كانوا يبحثون عن تطبيق شرع الله!! ومن قتلوا الآلاف فى الجزيرة العربية تحت قيادة رجل مخابرات إنجليزى، كانوا مسلمين ويبحثون عن تطبيق شرع الله، والذين حاولوا اغتيال عبد الناصر بالاتفاق مع الإنجليز والأمريكان، كانوا يريدون تطبيق شرع الله. وقتلوا السادات من أجل شرع الله!

وما زالوا يقتلون الأبرياء ويدمرون المعابد والمساجد والكنائس فى العراق وسوريا وليبيا ومصر. يدعون أنهم يريدون تطبيق شرع الله، والله سبحانه وتعالى يقول: «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك» صدق الله العظيم.

تاريخ الإرهاب

لم يكن مجرد الإنقلاب على الحاكم أو الاستيلاء على السلطة يعتبر إرهاباً بل كان يعتبر إنقلابا على الحاكم بقوة مسلحة أو غير مسلحة لتغيير شخصه. وفى أغلب الأحوال فإن من يقوم بالإنقلاب هو من القريبين من الحاكم ولديهم قدر من السلطة والقوة.

أما إذا كان الاستيلاء على السلطة قد تم بواسطة الشعب أو أغلبيته فقد يطلق عليه لفظ الثورة لرغبة الشعب فى تغيير الحاكم أو تغيير نظام الحكم.

أما وصف الإرهاب فقد يعتبر مصطلحاً سياسياً حديثاً يطلق على محاولة تقويض أو هدم نظام الدولة وجعلها دولة فاشلة أو (لا دولة).

وقد اعتاد الإنسان فى شتى بقاع الأرض أن يعيش فى حالة رعب دائم مما يراه في وسائل الإعلام وتتناقله الأخبار ووسائل التواصل الإجتماعى متوقعاً القتل والدمار فى أية لحظة وأى مكان، فلم يعد الإرهاب مقصوراً على منطقة بعينها أو زمن أو مناسبة معينة، بينما لا زالت بشاعة الحرب العالمية الثانية بكل ويلاتها ماثلة

فى المخيلة الإنسانية رغم مرور أكثر من سبعين عاما على انتهائها ولم يبقى ممن عاصروها إلا العدد الضئيل.

بيد أن ما يقلق المجتمع الإنسانى من الأعمال الإرهابية كأحد أساليب العنف السياسى، ليس هو كثرة الدماء التى تراق فى مثل هذه العمليات، وإن كانت قليلة إذا ما قورنت بأى معركة فى حرب محدودة، ولكن يأتي القلق والأنزعاج من نوعية ضحايا العمل الإرهابي.

لأنه فى حالات الحروب التقليدية فهناك قواعد تحكم المعارك فتسمح بأعمال عنيفة لا حدود لها وتقيدها بأن تكون تلك الأعمال العنيفة فى مواجهة قوة عسكرية معادية، وتحرم ارتكابها فى مواجهة المدنيين العزل، كما أنها تحرم استخدام نوعيات معينة من الأسلحة، وتلزم القوات المتحاربة فى نفس الوقت أن توفر أكبر قدر من الحماية للمدنيين والأطراف الأخرى التى تكون بعيدة عن الصراع وليس لها دخل فيه.

وبمقارنة ذلك العمل العسكرى بالعمل الإرهابى سنجد أن المدنيين والأطراف الأخرى التى خارج الصراع هم الذين يقعون ضحايا للعمليات الإرهابية، فى حين أنهم لا يعلمون شيئا عن أطراف الصراع ولا أسبابه أو دوافعه.

فهو لا يخضع لأى قواعد أو قوانين، ولا تحكمه أخلاقيات تجعله يتورع عن ارتكاب فعل ما. فيضرب الإنسان ويدمر كافة مستلزمات وعناصر حياته دون تمييز، ولا يأبه للنتائج، ولا يعنيه إلا أن يحقق هدفه من العمل الإرهابى والذى غالباً ما يكون هدفاً سياسياً.

حتى أصبح الإرهاب وسيلة للتأثير على القرار السياسى بدلا من الحرب التقليدية، حيث أن منطق القوة هو الذى يفرض الحل فى أى صراع سياسى، فنرى أن إعلان الحرب أو مجرد التهديد بها، كأن تقوم دولة بإجراء مناورات عسكرية على الحدود بينها وبين جارتها المتصارعة معها أو حتى تحريك معدات حربية أو قطع بحرية، يكون كافيا لأن تخضع الدولة الأضعف وتنصاع لإرادة الدولة الأقوى، بل إن خضوعها يصبح أمراً حتمياً!

ودائما تستطيع الدول اتخاذ قرار الحرب ولكنها حرب غير مأمونة العواقب ولا محددة النتائج ولا يملك أحد أن يتخذ قرار إنهائها ولذا فقد أصبح العمل الإرهابى هو الوسيلة البديلة للحرب التقليدية، حيث يمكن تحديد نتائج العملية الإرهابية ولو بنسبة معينة، فيمكن لدولة صغيرة ضعيفة أن تفرض على دولة قوية أن تتخذ قرارا ما كان لها أن تتخذه لولا خشيتها من العمليات الإرهابية!

ويمكن للإرهاب بما لديه من قوة أن يغير القرار السياسى فى دول كبرى بصورة أسرع من الحرب التقليدية، فتستطيع دولة صغرى لا تمتلك أدوات الحرب أو عناصر القوة أن تؤثر فى الأحداث داخل دولة عظمى عن طريق تمويل وتدعيم جماعات إرهابية تعمل داخل الدولة العظمى، فترتكب عمليات إرهابية على أنها مقاومة مشروعة ضد القهر والظلم والعدوان، ومقابلة العنف بالعنف، معتبرة ذلك دفاعاً مشروعاً عن النفس خاصة إذا لم تكن لديها وسيلة أخرى متاحة لرد العدوان.

● ولذلك فمهما كانت الدوافع التى أدت إلى ارتكاب العمل الإرهابى نبيلة وشريفة المقصد فهو فى نظر الأغلبية عمل إجرامى وجريمة ضد الإنسانية، وغاية لا تبررها أية وسيلة، وتشبه الجرائم الجنائية العادية والتي لا يؤثر الدافع فيها على أركان الجريمة التى تحققت بإرتكابها، بل أن الجريمة الإرهابية تزيد على الجريمة العادية فى أنها قد تشكل خطراً عاماً وتهديداً للأمن القومى للدولة.

فمثلاً يرى البعض أن ما يقوم به الشعب الفلسطينى ضد اسرائيل هو عمل من أعمال المقاومة للمحتل الغاصب ويحكمون بمشروعيته ويقدرون بطولة من يرتكبونه. فى حين يرى البعض الآخر أنه عمل إرهابى ضد دولة مستقرة.

وهناك طرف ثالث يفرق بين المكان الذى تم فيه العمل، فإذا ارتكب العمل داخل الأراضى التى احتلتها اسرائيل عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ فيعتبر من أعمال المقاومة المشروعة ضد المحتل. أما إذا كان هذا العمل قد ارتكب داخل الأراضى التى قامت عليها دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ فهو عمل إرهابى ضد دولة معترف بها وهو مجرم دولياً وقانونياً ومن يرتكبه يعد إرهابياً.

وأدى هـذا الإختـلاف كمـا وضحنـا فـى المثـال السـابق إلـى صعوبـة الإتفـاق بـين الأطـراف الدوليـة علـى التعـاون لمكافحـة ظاهـرة الإرهـاب والعنـف الـذى سـاد العالـم أجمـع ويعانـى منـه المجتمـع الدولـى حيـث انتشـرت الأعمـال الإرهابيـة فـى كافـة الـدول دون اسـتثناء.

● التباين في تعريف الإرهاب:

آثارت محـاولات تعريـف الإرهـاب العديـد مـن المشـكلات أدى إليهـا اختـلاف وجهـات النظـر والآراء نحـو توصيـف الإرهـاب، حيـث ينظـر إليـه البعـض كعمـل سياسـى مشـروع، والبعـض الآخـر يـراه عمـلا إجراميـا وبذلـك فـإن الإرهابـى فـى نظـر البعـض هـو محـارب ومقـاوم مـن أجـل الحريـة فـى نظـر الآخريـن!!

وفـى عصـر السـماوات المفتوحـة والفضائيـات وثـورة تكنولوجيـا الإتصـال عبـر وسـائل التواصـل الاجتماعـي أصبـح الإرهـاب مـن أهـم الأخبـار التـى يتناقلهـا الإعـلام، واختلفـت آراء الإعلاميـين فـى وصـف المنظمـات الإرهابيـة، وذلـك بإختـلاف مواقفهـم السياسـية التـى يتخذونهـا حيـال تلـك المنظمـات، ممـا أدى إلـى اسـتخدام مشـتقات لغويـة مختلفـة لوصـف هـذه المنظمـات. فمنهـم مـن يصفهـم بأنهـم إرهابيـون أو مخربـون أو عصـاة أو منشـقون أو مجرمـون. وآخـرون يعتبرونهـم جنـود تحريـر أو محاربـون مـن أجـل الاسـتقلال و الحريـة، أو حـركات ثوريـة.

وأحيانـا نـرى مـن يصفهـم علـى أنهـم مجـرد معارضـون لنظـام الحكـم أو خصـوم سياسـيين. وقـد ظهـر الخـلاف أيضـا فـى وصـف الفعـل الـذى تقـوم بـه تلـك المنظمـات. فهـو فـى نظـر البعـض فعـل إجرامـى أو عمليـة إرهابيـة دنيئـة، وفـى نظـر البعـض الآخـر مـن أعمـال الكفـاح أو المقاومـة مـن أجـل التحريـر.

وهـذا يدفعنـا الـى التفريـق بـين الجريمـة الجنائيـة والعمـل الإرهابـى، الجنائيـة قـد تكـون موجهـة ضـد شـخص بعينـه أو مجموعـة مـن الأشـخاص، وتؤدى الـى نتائـج جسـيمة تصيـب مـن وجهـت إليهـم دون التأثيـر فـى الأمـور الحياتيـة للمجتمـع ككل حيـث انهـا لا

تحمل فى طياتها تهديدا للأمن العام أو النظام الاجتماعي أو السياسي في الدولة، وعادة ما تنتهى آثارها بارتكابها فقد حققت الهدف.

أما العملية الإرهابية فهى عملية تتخذ طريق العنف لتحقيق السيطرة وإحداث الرعب بإستخدام القوة بغرض إجبار الغير أو إرعابه بتدمير مقدراته أو الإستيلاء عليها كوسيلة تهدف إلى إفشاء حالة من الفوضى والخوف تؤدى إلى التأثير في إتخاذ قرار ما. ولذلك تستلزم فيمن يقوم بها أن يكون تنظيما قادرا على التنفيذ ويمتلك التخطيط والسلاح والتمويل لتحقيق استمرارية العنف، وإلا أصبحت العملية الإرهابية مجرد جريمة جنائية عادية.

وبما أن الهدف من العملية الإرهابية هو التأثير فى المجتمع وتقويض أركان الدولة ونظام الحكم فيها، فلا بد أن تقترن هذه العملية بهدف سياسى ترغب فى تحقيقه عن طريق العمل العنيف الذى يسفر عن ضحايا من القتلى والجرحى، فى قضية لا يعرفون عنها شيئا وليسوا طرفا بها.

الإرهاب والتطرف:

تناول كثير من الباحثين ظاهرة الإرهاب سواء بالتحليل أو التنظير لبحث أسبابه والعوامل التى تؤدى إليه، وكذلك نتائجه وما إذا كان يحقق أهدافه أم لا، وهل هو تطرف فى الفكر والعقيدة والسلوك؟ أم أن التطرف يختلف عن الإرهاب؟ ومن هنا نشأ الخلاف فلم يتفق الباحثون أو السياسيون أو حتى علماء القانون والجريمة على تعريف محدد للإرهاب. وأدى هذا إلى عدم التوصل إلى اتفاق لكيفية مواجهة ظاهرة الإرهاب أو القضاء عليه.

وإن كنا نتفق على أن التطرف هو المغالاة أو الغلو فى الأمر وعدم الثبات فيه والابتعاد عن الوسطية والخروج عن المألوف ومجاوزة الحد والبعد عما عليه الجماعة، أي أنه «تجاوز حد الاعتدال سواء كان فى العقيدة أو الفكر أو فى السلوك»

تعريف الإرهاب والعنف والتطرف:

ويمكن القول أن هناك صعوبة في تناول الظاهرة المعاصرة التي تبدو سهلة في لغة الحياة اليومية وهي ظاهرة الإرهاب التي تناولها العديد من الدارسين بالتحليل والتنظير والحقيقة أنه من المستحيل الوصول إلى تعريف مرضٍ عالمياً ومتفق عليه للإرهاب ويرجع ذلك لأسباب سياسية أكثر منها لغوية ويمكن القول إن الإرهاب هو نتاج للتطرف الفكري الذي يترجم إلى أفعال سلوكية عنيفة سوف تتضح من التعاريف المختلفة للإرهاب.

واللافت للنظر في موضوع الإرهاب الخلاف والتباين الواسع النطاق في تعريف هذا المفهوم فكل حكومة أو جماعة أو عصابة تمارس الإرهاب تعد نفسها على حق وتجعل الجهة المعارضة لها إرهابية.

وتكشف معظم المناقشات عن أسباب الإرهاب في وقتنا الراهن ما يمكن تسميته مشكلة التعريف فبعضهم يرى أن أي عنف أو أي عمل لا اجتماعي إرهاب، ويركز آخرون على خصائص التفكير لدى الثوريين أو على عنف الحكومات وبعضهم الآخر يرى أن أعمال الإرهاب تدبر بمؤامرة دولة تديرها حكومات معينة وفي كثير من الأحيان تجري المناقشات عن الإرهاب لأهداف متعارضة وقليلون هم الذين ينظرون للمسألة بتجرد كما أن قلة البيانات الدقيقة والموضوعية عن الأعمال الإرهابية قد حالت دون استخدام العقل العلمي لبحث مسألة الإرهاب بموضوعية.

فالمصادر العلمية لا توضح بشكل دقيق من الإرهابي وما الإرهاب والحقيقة أن المعجمات اللغوية تخلو من مصطلحي الإرهاب والإرهابي لأن هذين المصطلحين حديثان ولم يستخدما في العصور السابقة والإرهاب في اللغة العربية مشتق من الفعل الماضي أرهب بمعنى خوَّف والإرهاب يعني إثارة الخوف في النفوس ورَهَبَ ورهباً ورهباناً أي خاف ويقال أرهب عنه الناس بأسه ونجدته أي أن بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه واسترهبه أي خوفه.

وقد وردت كلمة الرهبة في القرآن الكريم بمعنى الخشية وتقوى الله سبحانه وتعالى وفيما يلي عدد من الآيات التي وردت فيها الكلمة.

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) البقرة.

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) الأنفال.

(إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ورهبا) الأنبياء.

وقد وردت في القرآن الكريم عدة ألفاظ تدور معانيها حول مادة الإرهاب، وهي الخوف وقد وردت مادته مائة وثلاث وعشرين مرة، ومادة الرعب وردت خمس مرات، ومادة الروع وردت مرة واحدة فقط، ومادة الفزع وردت ست مرات، ومادة الرهبة وردت ثماني مرات.

كما وردت مصطلحات أخرى تندرج ضمن الإرهاب وهي البغي والطغيان والظلم والعدوان والخيانة والغدر والقتل والسرقة والحرابة وهي صور ووسائل وأدوات هدامة تشيع الخوف في المجتمع وترهب الآمنين فيه وتعوق المسلمين من حسن خلافتهم في الأرض وحسن عبادتهم لله سبحانه وتعالى وإتقانهم لعمارة الكون ولكن هناك جريمتين من بين هذه الجرائم أبرزهما الإسلام وحدد العقوبات لهما لأهميتهما وخطورتهما على المجتمع الإسلامي وهما الحرابة والبغي.

وفي رأيي أن الإرهاب والعنف والتطرف هو أي سلوك يهدف إلى إشاعة الرعب أو فرض الرأي بالقوة والفساد والتدمير كلها صور من صور الإرهاب والعنف والتطرف كما أن ترويع الآمنين وإحداث الفوضى في المجتمعات المستقرة هو شكل حديث من أشكال الإرهاب والعنف والتطرف الذي أصبح ينمو مع شيوع الأفكار المتطرفة التي تهدف إلى إقصاء الآخر وفرض الأفكار بالقوة والتهديد بالسلاح على أن هذه الأفكار ليست محصورة بمكان أو زمان معين وإنما أصبح العالم كله مسرحاً لها.

وتبدو خطورة التطرف الفكرى عندما يتحول هذا الفكر ويترجم إلى أفعال سلوكية عنيفة تؤدي إلى نتائج كارثية ويصبح عملاً إرهابياً .. فالعمل الإرهابى هو نتيجة للفكر المتطرف سواء كان دينياً أو سياسياً أو إجتماعياً .

وتستعرض المعاجم والموسوعات قضية الإرهاب فنجد أن الإرهاب فى المعجم الوسيط هو وصف يطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والرعب لتحقيق أهداف سياسية.

أما فى موسوعة السياسة فيعرف بإنه استخدام العنف غير القانونى أو التهديد به بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف بغية تحقيق هدف سياسى معين مثل كسر روح المقاومة والإلتزام لدى الأفراد وهدم المعنويات لدى الهيئات والمؤسسات أو وسيلة من الوسائل للحصول على المعلومات أو المال، وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة أو المنظمة الإرهابية. بينما الإرهاب فى قاموس علم الجريمة فهو «نمط من العنف يتضمن الاستخدام المنظم للقتل أو التهديد باستخدامه أو الأذى الجسدى والتدبير لإنزال الرعب أو الذعر أو الصدمة بجماعة مستهدفة لإشاعة أجواء من الرعب أوسع مدى من سقوط الضحايا الذين أنزل بهم الرعب.» ويتضح مما سبق إرتباط الإرهاب بالعنف وأن الإرهاب لابد أن يجد فكراً معيناً لكى يساعد على انتشاره وهذا الفكر يأخذ نمط التطرف وإقصاء الآخر.

إن أي سلوك يهدف إلى إشاعة الفوضى والرعب لفرض رأى أو فكر بالقوة والتدمير هو عمل إرهابى، كما أن ترويع الآمنين وإحداث الفوضى فى أى مجتمع مستقر هو الشكل الحديث من أشكال الإرهاب والتطرف العنيف الذى ينمو مع شيوع الأفكار المتطرفة التى تهدف الى إقصاء الآخر وفرض الأفكار بالقوة والتهديد بالسلاح على أن هذه الأفكار ليست مقيدة بمكان أو زمان معين، وإنما أصبح العالم كله مسرحاً لها، ويكمن أساس الخلاف بين الدول فى نظرة كل دولة لتعريف الإرهاب، فحتى الآن ومنذ ثلاثينيات القرن الماضى لم تتفق دول العالم على تعريف محدد للإرهاب.

وذلك لأن «الإرهابى فى نظر البعض هو محارب من أجل الحرية فى نظر الآخرين» وبذلك فشل المجتمع الدولى فى إيجاد صيغة للتعاون فى القضاء على الإرهاب دون تحديد ماهيته وتعريفه، حتى أن المؤتمر الدولى لبحث الإرهاب والجريمة السياسية والذي عقد عام ١٩٧٣ قد انتهى إلى نتيجة مؤداها:

«أن مشكلة منع وقمع الإرهاب ترجع فى جزء منها إلى عدم وجود مفهوم واضح للأسباب التى تؤدى إلى ممارسة النشاطات التى تنشئ حالة الإرهاب»

وهو ما يفسر عجز المجتمع الدولى عن تعريف الإرهاب وماهيته، وكذلك فشل الدول فى السيطرة على النشاطات الإرهابية، ويستوي فى ذلك الدول العظمى القوية والدول الصغرى الضعيفة. ولقد ساهمت كل دول العالم الصغيرة والكبيرة فى ولادة الإرهاب وتنشئته ولم يضعوا فى اعتبارهم كيف سينمو ويكبر ويصير وحشاً لن يستطيعوا كبح جماحه أو ترويضه أو القضاء عليه!

ويرى اللواء دكتور/ أحمد جلال عز الدين «أن الإرهاب ليس مجرد عمليات مثيرة يرضى عنها البعض ويشجبها أغلب الناس، وهو ليس مجرد نشاط يثير الرعب والخوف، مثل ما يثيره الوباء أو الزلازل أو البراكين وإنما هو نمط من أنماط استخدام القوة فى الصراع السياسى وهو استخدام هادف تمارسه الجماعات السياسية أو الحكومات من أجل التأثير على حرية القرار السياسى لدى الخصوم.»

وفى كتابنا هذا سوف نسترجع بعضا من الأحداث التى ساهمت تدريجيا فى الوصول الى اتخاذ الإرهاب وسيلة للوصول إلى السلطة كهدف أساسى وإن اتخذت فى ظاهرها أسباب بريئة وإنسانية وقد مرت الأمة الإسلامية بأحداث ومواقف عديدة أضرت بها وبالدين الإسلامى إلى حد جعل المجتمعات الأخرى تصف الدين نفسه بالإرهاب وأنه يدعو إلى القتل وسفك الدماء على غير حقيقة هذا الدين الحنيف.

جذور الإرهاب في المجتمع العربى:

برز الإرهاب فى المجتمع العربى منذ عهد بعيد وبصفة خاصة عندما فطن الغرب إلى تمتع المنطقة العربية بموقع فريد بين قارات العالم حيث يمكن منها السيطرة على الممرات الحيوية فى العالم حيث تستطيع التجارة العالمية المرور بسهولة ويسر مختصرة الوقت والوقود وبالتالى توفير النفقات.

وقد فطنت الإمبراطورية البريطانية إلى ذلك وهى التى كانت امبراطورية لا تغيب عنها الشمس لكثرة مستعمراتها في أنحاء الكرة الأرضية، ولكى تستغل الموارد الطبيعية التى تتميز بها هذه المستعمرات فلابد أن تسيطر على الممرات التى تصل هذه المستعمرات ببريطانيا.

أضف إلى ذلك ظهور النفط بالمنطقة العربية حيث بدأت بشائر آبار النفط فى منطقة الخليج العربى وحول البحرين الأحمر والأبيض المتوسط. مما أثار شهية الدول الغربية لالتهام المنطقة بأسرها ومواردها الطبيعية.

ومن هنا بدأت دول أوروبا وبصفة خاصة (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) التخطيط لتحقيق أقصى استفادة من هذه الموارد وبكل الطرق الممكنة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة.

إبان الحرب العالمية الأولى كانت المملكة المتحدة آنذاك فى حاجة إلى إعادة ترتيب أوراقها والبحث عن مفاتيح جديدة ترسى من سطوتها فى الشرق الأوسط خاصة بعد نشأة دولة إسرائيل. وكانت المملكة المتحدة هى المسئولة فى حينه عن العراق و فلسطين، . وبذلك كان السؤال الذى لابد من إجابة فورية له هو: ما هى القوى التى يجب أن تتحالف معها بريطانيا حاليا؟!

هنا، ووفقا لما ذكره الكاتب والمؤرخ البريطانى مارك كيرتس، ظهر الإسلاميون كورقة لعب جديدة تصلح تماما لأن تكون «متاريس بريطانيا فى الشرق الأوسط للتصدى للشيوعية»

وذلك فى كتابه (التاريخ السرى لتآمر بريطانيا مع الأصوليين) والذى استقى معلوماته من الوثائق البريطانية التي أفرج عنها ورفعت عنها السرية خاصة وثائق الخارجية والمخابرات ليفضح تآمر الحكومة البريطانية مع المتطرفين والإرهابيين دولا وجماعات وأفرادا فى كل أنحاء العالم وخاصة المنطقة العربية وذلك لتحقيق مصالحها الإستراتيجية والسياسية والإقتصادية.

وعندما عادت السعودية ودول الخليج للإسلام المنضبط نتيجة لمعاناة هذه الدول من تصرفات الجماعات الأصولية والمنظمات المتأسلمة التى تغلغلت فى المجتمعات الخليجية متأثرة بالفكر الوهابى ومحاولة نشره فيها وأصبحت تهدد استقرار هذه الدول وتؤثر سلبيا فى عاداتها وتقاليدها الراسخة منذ زمن بعيد، وهى التى عرف عنها التسامح والطيبة وكرم الضيافة، إضافة إلى الترابط الأسرى العميق.

بيد أن عودة هذه الدول للإسلام الحقيقى المتسامح لم يرضى الولايات المتحدة ولن يحقق أهدافها فى السيطرة على منابع البترول، وعدم السماح لهذه المجتمعات بالخروج من دائرة الصحراء البدوية إلى الحداثة، فقررت الولايات المتحدة التدخل السريع واختراق هذا المجتمع والبحث عن منفذ يسمح لها بالتحكم فى المنطقة بأسرها ووجدت هذا المنفذ فى إمارة قطر!

ومن خلال السيطرة المخابراتية (بكل ما تعنيه من أعمال قذرة) على الأسرة الحاكمة، استطاعت أن تقيم فى هذه الإمارة الصغيرة أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى المنطقة وربما فى العالم، بحجة حماية الإمارة الصغيرة ومنطقة الخليج من الأطماع الإيرانية!

وأصبحت هذه القاعدة هى الحاكم الحقيقى لقطر وبدأت أمريكا فى تنفيذ المخطط الأنجلو «أمريكى لتفتيت الشرق الأوسط عامة والمنطقة العربية بصفة خاصة، بأن جعلت قطر هى خزانة تمويل المنظمات الإرهابية على مستوى العالم وهى الممول الرئيسى لكل العمليات القذرة التى تقوم بها أجهزة المخابرات الغربية.

ففى كل دول المنطقة التى عانت من الاضطرابات والانقلابات والقلاقل (ما سمى بالربيع العربى) تجد الأصابع القطرية!

وكيف لا وهى التى يتباهى حكامها بأن لهم يد فى كل هذه الفوضى! وأصبحت هذه الإمارة الصغيرة المأوى والملاذ لكل الإرهابيين والخونة والخارجين عن القانون.

بداية الدور البريطانى:

وبرز دور بريطانيا فى تمويل و تنشئة جماعات متطرفين دول ثلاث رئيسية وفاعلة فى منطقة الشرق الأوسط والعالم بأسره إما لقيمتها التاريخية أو النفطية أو العددية وهى مصر والسعودية وباكستان. وفيما يتعلق بمصر يؤرخ الكتاب لحقيقة أن الهدف الأول لجماعة الإخوان المسلمين الإرهابية هو أن تكون هناك قوة راديكالية ضخمة وكبيرة وذات شعبية تفت من عضد حزب الوفد وهو الحزب الأكبر داخل الحياة المصرية آنذاك.

وهناك تقرير للاستخبارات البريطانية فى عام ١٩٤٢، أشار إلى أن القصر (الملك فاروق) آنذاك بدأ يرى أن الإخوان مفيدون وألقى برعايته عليهم. و أشار أيضا إلى أنه فى ٨١ مايو من ذاك العام عقد موظفون في السفارة البريطانية اجتماعا مع رئيس الوزراء المصري أمين عثمان باشا نوقشت خلاله العلاقات مع الإخوان المسلمين. وتقرر أن تتكفل الحكومة المصرية بدفع المساعدات المالية السرية إلى الإخوان ، وأنها سوف تطلب عونا ماليا فى هذا الشأن من السفارة البريطانية.

بل والأكثر من ذلك، أن الاتفاق المصرى البريطانى نص على أن تزرع الحكومة المصرية عملاء موثوقين إلى صفوف الإخوان لمراقبة نشاطاتهم وتقديم هذه المعلومات إلى السفارة البريطانية.

من بين التقارير الصادمة التى كشف عنها الكتاب، ما جاء فيه أن الحكومة المصرية قدمت بالتنسيق مع السلطات البريطانية «رشاوى ضخمة» إلى حسن الهضيبي، المرشد الجديد للإخوان بعد اغتيال حسن البنا، من أجل الحيلولة دون أن تخوض الجماعة المزيد من أعمال العنف ضد النظام.

فى مذكراته حسن البنا «الدعوة و الداعية»، فإنه حصل على ٥٠٠ جنيه من الإنجليز وبنى بها مسجدا في الاسماعيلية رفض أهل المدينة الصلاة فيه باعتبار أنه بني من أموال مشبوهة. وتحديدا يمكننا القول بأن بريطانيا بدأت تمويل التنظيم منذ نشأته فى عام ١٩٢٨ وبدأت استغلاله فعليا على الأرض لتغيير دفة السياسة لتخدم مصالحها فى عام ١٩٣٨ والتاريخ يشهد على الدور الدنيء الذي لعبه الاخوان لافشال وإجهاض مباحثات الجلاء عن مصر وحرب القنال ودورهم فى حرب ٤٨ والتي زعموا أنهم شاركوا فيها بكثافة فى أنهم دخلوا فيها على استحياء لدرء القيل والقال عن أنفسهم. وأوضح أن زوج ابنة حسن البنا، وفقا للكثير من الشهادات والوثائق والروايات التاريخية، كان هو همزة الوصل بين المخابرات البريطانية والبنا. ولذا فإن المتابع لتغطية الصحافة البريطانية للقضايا المصرية خاصة السياسية والاقتصادية على وجه التحديد يدرك أن الملف المصرى لطالما كان غصة فى حلق الإعلام البريطانى الرسمى على وجه التحديد.

فلطالما ظهرت مصر على صفحات الجارديان وديلى ميرور وديلى اكسبريس وحتى الاعلام الذي ينتمي للمدرسة المحافظة مثل هيئة الإذاعة البريطانية بى بى سى على أنها نموذج القهر السياسى وقمع المعارضين وتكميم أفواه الصحفيين ومرتع الفساد و مغيبة أمنيا وفاشلة اقتصاديا. كما وأن تاريخ الصحافة البريطانية فى تناوله الملف المصرى يشهد بأنها صحافة انتقائية منحازة ولا تقدم العمل الصحفى بمنأى عن الغرض السياسى.

كما وأن التاريخ يشهد بمتانة العلاقة بين التنظيم الإرهابى الدولى والحكومة البريطانية وهى علاقة تمتد إلى النشأة والتوجيه والتمويل والتدريب.

لذلك نرى اليوم أن بريطانيا التى اكتوت بنار الإرهاب وتدخل تحالفات لحرب الارهاب و تدفع ثمن الإرهاب من ميزانيتها أرواح ابنائها ترفض إعلان جماعة الإخوان كجماعة إرهابية محظورة، بل تستضيف عددا من كوادرها على أراضيها على أنهم لاجئون سياسيون مضطهدون فى بلادهم.

إن المصلحة الخاصة كانت من الأساس في سياسة بريطانيا الخارجية، وأن المبادئ والقيم ليس لها مكان فيها، وأنها استندت في ذلك إلى سياسة «فَرِّق تَسُد»، وتقلبت في التعامل مع كل الأطراف المتضاربة، فبعد أن مولت طالبان وسلحتها انقلبت عليها، وساندت (حيدر علييف) الشيوعي السابق، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ومن رؤساء الـ«كي جي بي» والذي أباد خصومة بوحشية، ضد معارضيه المتأسلمين، وبعد أن تآمرت مع الولايات المتحدة لإعادة الشاه لعرشه في ١٩٥٣ م بتدبير انقلاب على القائد الوطني محمد مصدق، رفضت طلبه للجوء إليها بعد إطاحة الخميني به.

وكان وزراؤها صادقين في اعترافهم بأن هذه هي سياسة بلادهم عندما قال أحدهم: إن هذا عمل لا يتسم بالشرف لكنها حسابات المصالح، وبعد عداء مرير لعدم الانحياز قالت مارجريت تاتشر وهي سياسية بريطانية، وهي أول امرأة شغلت منصب رئيسة وزراء في تاريخ بريطانيا العظمى: إن أفغانستان بلد من بلدان حركة عدم الانحياز العظيمة! وبعد إدانتها للمتمردين عادت لتقول: إن كلمة المتمردين خاطئة، وإنهم مقاتلون في سبيل التحرير، وبعد رفض الإسلام، رجعت لتقول إنه بديل جيد للماركسية، وإن الحكم الديني الإسلامي مَصد للسوفيت.

طبيعة السياسة البريطانية التي شاركتها الولايات المتحدة كثير من آثامها:

كانت بريطانيا هي المحرك والموجه للقوى المتأسلمة في تصديها للقومية والمدنية، وفي هذا خططت لاغتيال قادتها في مصر وسوريا والعراق وإندونيسيا خاصة جمال عبد الناصر وسوكارنو.

إن جميع الحروب التي اتخذت طابعاً جهادياً لعبت بريطانيا الدور الرئيسي فيها في أفغانستان للبوسنة حتى الحرب بين أذربيجان وأرمينيا حول ناجورنو كاراباخ والحرب في كشمير وفي بلدان رابطة الدول المستقلة.

إنها شجعت الملا عمر قائد طالبان على أن يوافق في محادثاته مع الأمير تركي رئيس المخابرات السعودية على تسليم بن لادن، وهو نفس ما عرضه حسن الترابي المتأسلم، ودفعت السعودية لتخصيص الملايين من الدولارات لإبادة الجيش العراقي في١٩٩١م، وشجعت بن لادن على أن يعرض على السعوديين أن تدافع قواته بعد أفغانستان عن المملكة، ولكن هؤلاء فضلوا نشر نصف مليون جندي أمريكي (كافر) للدفاع عن أرض الحرمين، ووافقت على ضم مجاهدين حاربوا في أفغانستان إلى الحرس الوطني السعودي بعد عودتهم وتولت تدريبهم، ودفعت هي والأمريكيون الشيعة في جنوب العراق للثورة على صدام حسين، ثم تخلتا عنهم، بل وقامتا بحماية قوات صدام التي سحقتهم وذبحت آلافاً منهم. كما إنها أعلنت أنها لن تربط سياسة التجارة والدفاع بقضايا حقوق الإنسان، وذلك في تعاملها مع السعودية وباكستان وغيرها من الدول التي تمتهن كرامة البشر، بل وأعلنت أن كل بلد حر فيما يفعله بمواطنيه. بل إنها قامت هي وأمريكا باختبار أسلحة جديدة فتاكة في أفغانستان لبيان مدى فاعليتها، ومن جانب آخر وردت أسلحة لم تثبت فاعليتها في حربها في فوكلاند لأتباعها المتأسلمين في حروبهم، وهربت لهم أسلحة سوفيتية حتى لا يعرف مصدرها. وأرسلت حمولة ١٠٠ طائرة من القذائف لأحمد شاه مسعود في أفغانستان وتولت تهريب المجاهدين الأفغان بأسماء مزورة لبريطانيا لتدريبهم في معسكرات هناك.

إنهم مع تزلفهم للسعوديين بل وتذللهم لهم، كانوا ينفسون عليهم أشياءهم، فيقول السفير ديلي موريس: «إنها مأساة أن تركز العناية الإلهية مع كل ما يحتاجه العالم، هذا القدر من الموارد والثروة في أيدي ناس لا يحتاجونه ويتسمون بقدر كبير من عدم المسئولية بشأن استخدامه، ويعتبرون باقي العالم موجوداً لخدمتهم». ويقول سفير بريطاني آخر عن الملك سعود: إنه «يبدو أنه ليس لديه فكره عن أن الأموال ينبغي إنفاقها على أغراض أخرى غير نزواته الشخصية، أو أن هناك حدوداً لما يمكن أن يأتي منها». كذلك يوضح الكاتب أن البريطانيين اقترحوا على وكالة المخابرات المركزية، استغلال انقسامات الأسرة لإسقاط سعود، وأنهم رغم مداهنتهم للسعوديين كانوا حريصين على إقامة علاقات بمن

يمكن أن يكونوا بدلاء لبيت آل سعود، بمن فيهم المعارضون السعوديون في لندن، رغم أن أحد سفرائهم أعلن في تعليقه على الوضع في السعودية: «أن مصالحنا تتحقق على أفضل وجه بنظام استبدادي يحافظ على الارتباط بالغرب بأكثر مما تتحقق بديمقراطية تندفع منحدرة نحو الشيوعية والفوضى».

إن البريطانيين نظروا للعرب باستمرار نظرة دونية، فكما يقول الكتاب فإن السير كونجريف يرى «إن العرب، مسلمين ومسيحيين ويهود كلهم بهائم، ومصيرهم لا يعادل حياة إنجليزي واحد». كذلك عارض تشرشل إقامة دولة نيابية عربية في فلسطين، وقال: إن العرب أقل شأناً وقدرة من اليهود. ومع ذلك، فمثالاً لعدم مبدئية البريطانيين، فإنه مع ظهور بوادر الحرب العالمية في الأفق، ومع كل استغلال بريطانيا للإسلام، الذي أشادت به مارجريت تاتشر حتى ظننا أنها ستعتنقه، فإنها لم تعتبره أبداً حليفاً استراتيجياً واعتبره تشرشل «القوة الأكثر رجعية في العالم»، ورغم تعاونها مع القوى المتأسلمة، فقد اعتبرتها دوماً معادية لها، رغم أنها ضمت جحافل من المتأسلمين وقدمت لهم مساعدات مادية ولوجستية جمة، لدرجة أن لندن سميت (لندنستان)، بل وكانت بريطانيا إبان حكمها للهند التي تضم ٢٠ مليون مسلم آنذاك، تقول إنها أكبر دولة إسلامية في العالم.

وكانت بريطانيا باستمرار تنكث وعودها للعرب، فبعد أن أوهمت الشريف حسين أنها ستنصبه خليفة للعرب بعد هزيمة العثمانيين، أخذت صف ابن سعود لأن مطالبه اقتصرت على الجزيرة العربية، رغم أنه في حربه مع حسين قتلت قواته ٤٠٠ ألف لأنها لم تكن تأخذ أسرى وهرب أكثر من مليون، وعند انتصاره شنق ٤٠ ألف وبتر أعضاء ٣٥٠ ألفاً. وبعد سب تشرشل لابن سعود قال: «إن إعجابي به لشديد لولائه لنا الذي لا يتزعزع»، بل وأرسل قوات بريطانية لضرب جزء من قوات ابن سعود المناوئين لبريطانيا الذين تمردوا عليه.

ومع ذلك لم تهمل الوثائق إنجازات الأمريكيين الذين باروا البريطانيين في هذا الصدد. فقد اعترف هؤلاء بأن جمال عبد الناصر أجبرهم على مساندة نظم ظلامية ورجعية وضارة بسمعة مؤيديها، وأنهم جعلوا القومية عدوهم الأول، ونال اليساريون الجزء الأول من اهتمامهم، فقد لعبوا الدور الأساسي في ذبح أعضاء حزب توده الإيراني في ١٩٥٣م، وفي إبادة الحزب الشيوعي الإندونيسي الذي كان يضم مليوني عضو على أيدي صديقهم سوهارتو ومن معه من المتأسلمين، كذلك فعلوا في العراق والأردن وفي أفغانستان التي كان عميلهم قلب الدين حكمتيار فيها يسلخ جلود أعدائه، خاصة اليساريين أحياء، فقد ساندوه بكل قوتهم، رغم أن الكونجرس قال إنه أكثر القادة الأفغان فساداً.

وتبرز الوثائق دور أمريكا وتابعتها بريطانيا في تأييد الدكتاتور (ضياء - وسوهارتو - والشاه وغيرهم) والملك (آل سعود - وحسين - وقابوس) وآية الله (الملالي في انقلاب ١٩٥٣ - ثم الخميني قبل أن تنقلب عليه، وكذلك ملالي طالبان قبل أن توليهم ظهرها لرفضهم توقيع عقد نفط مع شركة أمريكية). وقد أجبر الأمريكيون السعوديين على تمويل سلسلة من حروبهم ليس فقط في أفغانستان والدول العربية والإسلامية.

بل في أنجولا وزائير وتشاد والفلبين وبلدان رابطة الدول المستقلة، بل ودفع السعوديون مليوني دولار لوكالة المخابرات المركزية للحيلولة دون نجاح الحزب الشيوعي الإيطالي.

وقد جندت مخابرات أمريكا كثيرين من قادة المتأسلمين، منهم سعيد رمضان مؤسس التنظيم الدولي للإخوان.

(زوج ابنة حسن البنا) الذين يقال إنهم مولوه بمبلغ ١٠ ملايين دولار، وأجبروا الأردن على منحه جواز سفر، وورد أن أمريكا بدأت من أوائل الخمسينيات تمول الإخوان في مصر وتساعدهم في سوريا لتدبير مؤامرتين، وتعاونت معهم هي وشركة

أرامكو لتكون خلايا منهم في السعودية لمحاربة القومية العربية. كذلك تآمرت أمريكا مع المتأسلمين الذين كانوا يتحدون النظام السوفيتي في آسيا الوسطى من بين رجال القبائل. وكان دور أمريكا بارزاً في تمويل ملالي إيران وتسليحهم في انقلاب ١٩٥٣، وحتى بعدالثورة على الشاه أغدقت أمريكا بعدها على الملالي قبل أن تنقلب عليهم، بحيث راجت نكتة في طهران كما تقول أشرف بهلوي (شقيقة الشاه التوأم) بأنك إذا رفعت ذقن أحد الملالي فسترى عبارة «صنع في أمريكا».

تلك قلة من أمثلة كثيرة نستدل بها على استغلال الحلف الغير المقدس، أمريكا وبريطانيا، للمتأسلمين وتحالفهم معهم في تنفيذ استراتيجياتهم، ولكن السحر انقلب على الساحر في كثير من الأحيان، وانقلب المتأسلمون على صناعهم؛ مما أثار حرباً شعواء بين الطرفين، وجعل السعودية تعود إلى «الأسلمة المنضبطة» وتضيق على المتأسلمين فتقطع المعونة عن الإخوان وتعدم بعض المتطرفين، وتسحب جواز سفر بن لادن وتستهدفه. وقد جعل هذا بريطانيا وأمريكا أكثر حرصاً في تعاملهم مع المتأسلمين، وإن ظلت لهم اليد الطولى واستمروا في استغلالهم رغم صخب هؤلاء في إعلان العداء لهما.

صناعة بريطانية

وتؤكد الوثائق المفرج عنها أن الحكومات البريطانية، من العمال والمحافظين على حد سواء في سعيها لتحقيق ما يسمى «المصلحة الوطنية» في الخارج، تواطأت عقوداً طويلة مع القوى الإسلامية المتطرفة، بما في ذلك التنظيمات الإرهابية، فقد تسترت عليها، وعملت إلى جانبها وأحياناً دربتها ومولتها، بغية الترويج لأهداف محددة للسياسة الخارجية وغالباً ما فعلت الحكومات ذلك في محاولات يائسة للحفاظ على قوة بريطانيا العالمية التي عانت من أوجه ضعف متزايدة في مناطق أساسية من العالم؛ نظراً لعجزها عن أن تفرض إرادتها من جانب واحد وافتقارها لحلفاء آخرين. ومن ثم فالقصة ترتبط في الصميم بقصة انهيار الإمبراطورية البريطانية ومحاولة الإبقاء على نفوذها في العالم.

وقد أقامت بريطانيا مع بعض القوى الإسلامية المتطرفة تحالفاً استراتيجياً دائماً لضمان تحقيق أهداف السياسة الخارجية الأساسية طويلة الأجل، ودخلت في زواج مصلحة واتحاد وثيق العرى بصورة مؤقتة مع قوى أخرى منها لتحقيق نتائج محددة قصيرة الأجل.

فقد توارد أن بعضاً من أعضاء المنظمات الإرهابية كانوا يعملون عملاء أو مخبرين لبريطانيا إبان انخراطهم في أعمال الإرهاب في الخارج. ومن الجلي أن البعض منهم كانت تحميه أجهزة الأمن البريطانية عندما كان مطلوباً من قبل حكومات أجنبية. ذلك جزء مهم لكنه صغير فحسب من صورة أكبر كثيراً تتعلق أساساً بسياسة بريطانيا الخارجية.

لا غرو في أن الزعماء البريطانيين لم يدعوا إلى قصف إسلام أباد والرياض بالقنابل أسوة بكابول وبغداد؛ حيث إن من الواضح أن الحرب على الإرهاب لا تتم بهذا القصد، وإنما هي نزاع مع أعداء حددتهم واشنطن ولندن بصفة خاصة. وقد ترك هذا قدراً كبيراً من البنية الأساسية العالمية للإرهاب سليماً لم يمس؛ مما يثير مزيداً من الأخطار بالنسبة للعامة في بريطانيا والعالم.

و من القوى الفاعلة المتأسلمة التي تواطأت معها بريطانيا هي الحركات والمنظمات المتطرفة. ومن بين أكثر هذه الحركات نفوذًا التي تظهر بوضوح (الإخوان المسلمون) التي تأسست في مصر في ١٩٢٨م وتطورت لشبكة لها تأثيرها على النطاق العالمي، والجماعة الإسلامية التي تأسست في الهند البريطانية في ١٩٤١م، وأصبحت قوة سياسية وأيديولوجية كبرى في باكستان. كما عملت بريطانيا سراً إلى جانب حركة دار السلام في إندونيسيا، والتي وفرت مرتكزات أيديولوجية مهمة لتطور الإرهاب في هذا البلد. ورغم أن بريطانياً تعاونت أساساً مع الحركات السنية في الترويج لسياستها الخارجية، فإنها لم تنفر في بعض أوقات من الحركات الشيعية .

وترجع جذور تعاون بريطانيا مع الإسلام المتطرف إلى سياسة «فرق تسد» التي اتبعت في عهد الإمبراطورية البريطانية، عندما كان المسئولون البريطانيون يسعون بانتظام إلى تعهد مجموعات إسلامية أو أفراد مسلمين للتصدي للقوى الوطنية الناهضة التي كانت تتحدى الهيمنة البريطانية. فمن المعروف أن المخططين البريطانيين ساعدوا في خلق الشرق الأوسط الحديث إبان الحرب العالمية الأولى، وبعدها تنصيب حكام في أراض وبلدان حددها المخططون البريطانيون. لكن السياسة البريطانية انطوت أيضاً على السعي إلى إعادة الخلافة في قيادة العالم الإسلامي، إلى السعودية، الخاضعة للسيطرة البريطانية، وهي استراتيجية كان لها أهمية هائلة بالنسبة لمستقبل المملكة السعودية وباقي العالم.

وبعد الحرب العالمية الثانية، واجه المخططون البريطانيون خسارة وشيكة للإمبراطورية وصعود قوتين عظميين جديدتين، لكنهم كانوا قد عقدوا العزم على الحفاظ على أقصى ما يمكن من النفوذ السياسي والتجاري في العالم. ورغم أن جنوب شرق آسيا وإفريقيا كانا مهمين بالنسبة للمخططين البريطانيين، أساساً بسبب مواردهما من المواد الخام، فقد كان الشرق الأوسط هو الذي تريد لندن ممارسة نفوذها عليه، بسبب احتياطياته الهائلة من النفط. ومع ذلك فقد ظهر فيه عدو رئيسي اتخذ شكل القومية العربية الرائجة بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر في مصر، التي سعت للنهوض بسياسة خارجية مستقلة وإنهاء اعتماد دول الشرق الأوسط على الغرب. ولاحتواء هذا التهديد، لم تساند بريطانيا والولايات المتحدة ملكيات وقيادات اقطاعية محافظة موالية للغرب فحسب، وإنما أقامتا علاقات سرية مع قوى متأسلمة، خاصة الإخوان المسلمين، لزعزعة استقرار الحكومات ذات النزعة القومية والإطاحة بها.

وذلك بحجة مناهضة الشيوعية وإظهار الإتحاد السوفيتي كقوة ملحدة تحارب الإسلام وتشكل الخطر الأكبر على الدول العربية الإسلامية، خاصة بعد أن تنامت العلاقات المصرية –السوفيتية عندما رفضت الولايات المتحدة مساعدة مصر فى بناء

السد العالى، فاضطرت مصر إلى اللجوء إلى الإتحاد السوفيتى الذى قدم عرضاً يتناسب مع إمكانيات مصر، وتنوعت أوجه التعاون فى شتى المجالات وكان التعاون العسكرى هو أشد أوجه التعاون إيلاما لأمريكا وبريطانيا، فقررتا استخدام الورقة الدينية الإسلامية للقضاء على جمال عبد الناصر.

ومع سحب بريطانيا لقواتها العسكرية من الشرق الأوسط في أواخر الستينيات، اعتبرت قوى متأسلمة مثل النظام السعودي، ومرة أخرى الإخوان المسلمون، قائمة مقامها في الحفاظ على مصالح بريطانيا في المنطقة، لمواصلة زعزعة النظم الشيوعية والقومية، أو كقوة عضلية تدعم حكومات الجناح اليميني الموالية للبريطانيين. وبحلول سبعينيات القرن الماضي، كانت القومية العربية قد هزمت فعلياً باعتبارها قوة سياسية، جزئياً بفضل المعارضة الأنجلو أمريكية لها، وحلت محلها لحد كبير قوة الإسلام المتطرف الصاعدة، والتي اعتبرتها لندن ثانية سلاحاً تحت الطلب لدحر بقايا القومية العلمانية والشيوعية في دول رئيسية مثل مصر والأردن.

وطوال هذه الفترة، وجدت جماعات جهادية ومجاهدون أفراد ملاذًا آمناً في بريطانيا، وحصل البعض منهم على حق اللجوء السياسي، مع مواصلة الانخراط في أعمال الإرهاب في الخارج. ولم تتسامح هوايتهول فحسب مع تطور «لندنستان» «العاصمة التي تعمل قاعدة ومركز تنظيم لجماعات جهادية كثيرة، بل وشجعت ذلك» حتى وإن وفر هذا «ضوءاً أخضر» بحكم الأمر الواقع لذلك الإرهاب. وأظن أن بعض العناصر، على الأقل في المؤسسة البريطانية، سمحت للجماعات المتأسلمة بأن تعمل انطلاقاً من لندن ليس فقط لأنها كانت تقدم معلومات لأجهزة الأمن، ولكن أيضًا لأنها كانت تعد مفيدة بالنسبة للسياسة الخارجية البريطانية، خاصة في الحفاظ على شرق أوسط منقسم سياسياً «وهو هدف قديم العهد للمخططين في عصر الإمبراطورية وفيما بعد الحرب» وكرافعة للتأثير على سياسات الحكومات الخارجية.

وقد اعتبرت القوة الإسلامية المتطرفة مفيدة بالنسبة لهوايتهول بخمس طرق:

- بصفتها قوة عالمية مضادة تتصدى للايديولوجيات القومية العلمانية والشيوعية السوفيتية في حالتي السعودية وباكستان.
- وبصفتها قوة عضلية محافظة داخل البلدان لدحر القوميين العلمانيين ومساندة النظم الموالية للغرب.
- وبصفتها قوة صدام تزعزع استقرار الحكومات وتطيح بها.
- وبوصفها قائم مقام قوة عسكرية لخوض الحروب.
- وبوصفها أدوات سياسية لدفع الحكومات للتغيير.

والأمر الحاسم، هو أن التواطؤ البريطاني مع الإسلام المتطرف ساعد أيضاً في الترويج لهدفين استراتيجيين جغرافيين كبيرين للسياسة الخارجية.

الأول هو ضمان النفوذ والسيطرة على موارد رئيسية للطاقة، والتي تعتبر دائماً في وثائق التخطيط البريطانية وسيلة لدعم القوى المتأسلمة والانحياز لها بصفة عامة للإبقاء على حكومات في السلطة أو تنصيب حكومات تتبع سياسات نفطية ودية تجاه الغرب.

وكان الهدف الثاني هو الحفاظ على مكانة بريطانيا في نظام مالي دولي موال للغرب. فقد استثمر السعوديون مليارات الدولارات في اقتصادي الولايات المتحدة وبريطانيا ونظمها المصرفية، وفي الترويج لهذه الاستراتيجية، تعاونت بريطانيا بصورة روتينية مع الولايات المتحدة، التي لها تاريخ مماثل من التواطؤ مع الإسلام المتطرف. وفي ضوء انهيار القوة البريطانية، تحولت العمليات الأنجلو أمريكية من أن تكون مشروعات مشتركة حقاً في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب إلى مشروعات تشغل فيها (هوايتهول) مكان الشريك الأدنى منزلة، الذي يقدم عادة القوات المتخصصة السرية في عمليات تديرها واشنطن. وفي بعض الأوقات حلت بريطانيا باعتبارها الذراع السرية في واقع الأمر للحكومة الأمريكية، وقامت بالأعمال القذرة التي لم

تكن تستطيع واشنطن القيام بها، أو لا تريد القيام بذلك. كما تؤكد الوثائق على أن استخدام بريطانيا للقوى الإسلامية لتحقيق أهداف سياسية يسبق في تاريخه استخدام الولايات المتحدة لها، وأن ذلك يرجع لعصر الإمبراطورية. وبالمثل، فقد عملت (هوايتهول) في عالم ما بعد الحرب بصورة مستقلة أحياناً عن واشنطن وذلك لتحقيق مصالح بريطانية على نحو مستقل.

مثل مؤامرتها للإطاحة بعبد الناصر في الخمسينيات أو إقامة لندنستان في التسعينيات.

وهكذا فإنه بحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، توافرت لبريطانيا بالفعل خبرة كبيرة في التواطؤ مع القوى الإسلامية لتحقيق أهداف معينة، في حين أدرك المسئولون البريطانيون أن هذه القوى نفسها كانت بصفة عامة معرضة لسياسة بريطانيا الإمبريالية وأهدافها الاستراتيجية، كانوا أعواناً مؤقتين في ظروف محددة لتحقيق أهداف بعينها، عندما كانت بريطانيا تفتقر إلى حلفاء آخرين أو إلى قوة كافية خاصة بها لتفرض أولويتها. وتعمقت هذه السياسة البريطانية النفعية بصورة كبيرة في عالم ما بعد الحرب حيث زادت الحاجة للأعوان في مناخ عالمي أصبح أكثر اتساماً بالتحدي بقدر كبير.

ومن ثم فقد كانت بريطانيا مستعدة في كل من إيران ومصر للتآمر مع القوى المتأسلمة، واستخدامها ثانية لتحقيق غايات إمبريالية، كجزء من ترسانة أسلحة تستخدم في العمل السري. ولم تعتبر هذه القوى حليفاً استراتيجياً، وإنما كان من المسلم به أنها معادية تماماً للبريطانيين. والمدهش أن بريطانيا لجأت للعمل مع هذه القوى وهي تعلم أنها أكثر عداء للبريطانيين من النظم التي كانت هوايتهول تحاول الإطاحة بها.

وعندما عادت السعودية ودول الخليج للإسلام المنضبط نتيجة ما عانته هذه الدول من الجماعات والمنظمات المتأسلمة التى تغلغلت فى مجتمعات الخليج

وأصبحت تهدد أمنها واستقرارها، وهى المجتمعات التي عرف عنها الطيبة والتسامح وحسن استقبال الضيف وإكرامه، فقررت الولايات المتحدة الأمريكية اختراق هذا المجتمع بيد أنها لم تجد منفذاً إلا من خلال دويلة صغيرة هى إمارة قطر، وذلك من خلال السيطرة عليها بالأساليب المخابراتية حيث سيطرت المخابرات البريطانية والأمريكية على الأسرة الحاكمة فى قطر بكل الوسائل وأخذت بزمامهم. واستطاعت الولايات المتحدة أن تقيم فى هذه الإمارة الصغيرة أكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى العالم بحجة حماية منطقة الخليج ضد الأطماع الإيرانية!

وأصبحت هذه القاعدة العسكرية هى الحاكم الحقيقى لدويلة قطر!

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية فى تنفيذ المخطط الغربى لتفتيت المنطقة وتقسيمها واستنفاذ مواردها، وجعلت من إمارة قطر خزانة لتمويل كل العمليات الإرهابية فى المنطقة. بل تعدت إلى مناطق أخرى من العالم، وأصبحت قطر هي الممول الرئيسي لكل العمليات القذرة التى تخطط لها أجهزة الاستخبارات في الدول الغربية، ففي كل الدول التي حدث بها ما سمى (بالربيع العربى) تجد التخطيط البريطانى والضغط والتنفيذ الأمريكى، والمال القطرى.

وأصبح حكام قطر يتفاخرون بأنهم وراء الانقلابات والاضطرابات وأنهم من أثاروا الفوضى فى المنطقة.

دور الولايات المتحدة الأمريكية

استطاعت الولايات المتحدة بالتنسيق مع بريطانيا، استخدام جماعة (الأخوان المسلمون) للعمل ضد جمال عبد الناصر، وهى الجماعة المعروف عنها أنها أم اليمين الإسلامى فى المنطقة.

كما قامت الولايات المتحدة -سراً- بتمويل أحد آيات الله والذى أسس حركة (الأنصار فى الإسلام) وهي حليف إيراني متشدد للإخوان المسلمين.

ثم بدأت الولايات المتحدة تتلاعب بفكرة الكتلة الإسلامية بقيادة المملكة العربية السعودية لمواجهة اليسار القومى الذى بدأ يتنامى فى المنطقة العربية. وأصبحت ترى التشدد الإسلامي على أنه أداة تستطيع استغلالها هجومياً ضد الإتحاد السوفيتى، خاصة فى أفغانستان ووسط آسيا حيث استغلت الولايات المتحدة سيفها الإسلامي لتسلطه على رقبة الإتحاد السوفيتى دون هوادة!

وإذا كانت أمريكا قد اقترفت أخطاء فى التعامل مع الإسلام خلال النصف الثانى من القرن العشرين فإن هذا يعود من بين أسباب أخرى إلى أنها كانت جاهلة تماما بالإسلام. فمثلاً أدى سوء تقديرها لشخصية (آية الله الخمينى) إلى وقوع المأساة المتمثلة فى عدم تقديرها لما يمكن أن تؤول إليه الحركة الإسلامية الخمينية فى إيران حق تقديرها.

ولابد أن الخسائر الفادحة التى تكبدتها أمريكا فى حروبها فى الشرق الأوسط أدت إلى أن تغير استراتيجيتها فى المنطقة، وتحذو حذو بريطانيا، بل تم التنسيق بينهما على درجة عالية سياسياً وعسكرياً للسيطرة على موارد المنطقة. فاختارت أن تحارب دول المنطقة من داخلها، بتقوية المعارضة ودعمها بكل الوسائل، لزعزعة نظم الحكم وبطرق ملتوية بما سمي (منظمات المجتمع المدنى).

ووجدت فى الجماعات والمنظمات الدينية المتطرفة ضالتها، فساعدتها وأغدقت عليها المال والسلاح لنشر الفوضى والاضطرابات داخل الدول المستقرة.

ولا عجب أن نرى جحافل (داعش) الإرهابية وهى تجتاح العراق وتستولى على ثلاثة أرباع مساحتها وعلى منابع البترول بصفة خاصة، وتبيع النفط بثمن بخس لتركيا وإسرائيل!

وكذلك تحتل مناطق شاسعة فى سوريا وأيضا مناطق البترول! وتعلن دولة إسلامية فى العراق والشام لعدة سنوات، ولا يعرف أحد من أين أتت هذه الجحافل وكيف حصلت على كل هذا السلاح والعتاد والأموال؟

وحاربت العراق وسوريا لطرد هؤلاء الإرهابيين، وكونت أمريكا تحالفاً دولياً لمحاربة داعش، وكانت الطائرات الأمريكية تقوم بأكثر من خمسين غارة فى اليوم فتقتل إرهابياً واحداً ومائة مواطن مدنى برئ!

حتى أنه تداولت مقولة بين الناس مفادها (أن الإرهابيين يشتكون من أن الأغذية التى تلقيها عليهم طائرات التحالف -أثناء الغارات- غير طازجة)

والآن وقد انتصرت القوات العراقية والسورية على جحافل داعش الإرهابية وتحررت العراق وسوريا، ولكن بعد كل هذه المعارك، نتسائل كم عدد قتلى داعش؟ هل تم أسر أحداً منهم؟ هل تبخرت قوات داعش الإرهابية؟ هل ذابت معداتهم فى الأرض؟

أم أن هناك من دبر لها خروجاً آمناً بعتادها وسلاحها إلى دولة حدودية متاخمة للعراق وسوريا؟ ومنها إلى ليبيا للإعداد من أجل الاستيلاء على الجائزة الكبرى!

وإذا كنا لم نعرف من أين أتت داعش فيقيناً نعرف كيف وأين ذهبت.

الإرهاب في مصر

إن الإرهاب فى مصر يشير لعدد من الهجمات الإرهابية حصلت فى مصر على مدنيين و سياسيين. وكانت الهجمات شديدة خصوصاً فى تسعينيات القرن العشرين، وقامت بها حركة الجماعة الإسلامية التى استهدفت «القيادات العليا السياسية» وقتلت مئات الناس فى سعيها للحصول على «تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر» ويعتقد أن أيمن الظواهرى وهو طبيب مصرى وزعيم جماعة الجهاد الإسلامى المصرية هو من مدبرين عمليات القاعدة وهى منظمة غير مصرية ولا تعمل من داخل مصر. وتشمل سبع مصريين من أصل ٢٢ شخصاً مسجلين بقائمة أخطر المطلوبين لمكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى.

قبل الجمهورية

فى سنة ١٩٤٣ شكلت الجماعة الإسلامية التي أسسها (حسن البنا) عام ١٩٢٨ تحت اسم الإخوان المسلمون «جهاز سرى» على شكل منظمة مستقلة للنشاط شبه العسكرى تحت السلطة المباشرة لرئيس الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا.

سنة ١٩٤٨ قتل فريق من الجهاز السرى قاضى الاستئناف أحمد الخازندار انتقاماً منه عندما أصدر «حكما قاسيا» ضد عضو من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين. اعتقاداً من الجماعة أن أحمد الخازندار أصدر حكمه بالاتفاق مع الحكومات التى كانت موالية للاحتلال الانجليزي والذى كان فى مواجهة مع الأخوان ونشاطاتهم الفدائية ضد جنود بريطانيا فى قناة السويس.

بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ وهزيمة الجيوش العربية قام الجهاز السرى للإخوان بإشعال الحرائق فى بيوت اليهود فى القاهرة فى يونيه ١٩٤٨ وفى مخازن مملوكة ليهود فى يوليو فى القاهرة. وإن ذهب البعض إلى أن إسرائيل هى التي دبرت هذه الاعتداءات لإجبار اليهود المصريين على ترك مصر والهرب لإسرائيل.

بعد الجمهورية

بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة جمال عبد الناصر وإلغاء النظام الملكى المصرى وإعلان الجمهورية. حاولت بريطانيا وأمريكا احتواء النظام المصرى الجديد وترويضه ليكون تابعاً لهما فى المنطقة وذلك لضمان أمن إسرائيل والقضاء على فكرة القومية العربية التى بدأ النظام المصرى الجديد يتبناها بقوة، وظهر قائد الثورة الشاب القوى الجرئ الذى يسعى لإجلاء بريطانيا من منطقة قناة السويس الإستراتيجية، بل من كل المنطقة العربية، لذا كان من المحتم احتوائه أو قتله والقضاء عليه! ولن يتم ذلك بمواجهة مباشرة، بل بالتآمر عليه بالاشتراك مع أعدائه في الخارج، ومعارضيه فى الداخل.

جمال عبد الناصر وحادثة المنشية

وفى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ وأثناء إلقاء جمال عبد الناصر خطابا فى ميدان المنشية بالإسكندرية قام أحد أعضاء التنظيم السرى للإخوان بإطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر محاولا قتله وباءت المحاولة بالفشل وتم القبض عليه وبدأت حملة اعتقالات واسعة ضد الإخوان المسلمون وهرب كثير منهم الى خارج البلاد. و حكم بإعدام ستة من أبرز قادة الجماعة. وإن كان هذا لا يخلو من اتفاق بريطانى إخوانى منذ نهاية عام ١٩٥٣ للإطاحة بعبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

عملية لافون

أطلق هذا الأسم على موجة من التفجيرات اجتاحت القاهرة والإسكندرية فى صيف ١٩٥٤ وشملت التفجيرات المصالح الأمريكية والبريطانية ودور السينما والمسارح والمرافق الحكومية والخدمية لخلق حالة من الرعب فى الشارع المصرى وكذلك لاستفزاز الحكومة الأمريكية والبريطانية ضد مصر والتى كانت ثورة يوليو تثبت أقدامها بتأييد شعبي واسع النطاق.

وعندما قامت السلطات المصرية بضبط المجموعات المنفذة لهذه العمليات تبين من التحقيقات أنهم من اليهود المقيمين فى مصر وأن هذه العمليات تم التخطيط لها

بمعرفة جهاز الموساد الإسرائيلى وشارك فيها ضباط من جهاز الموساد نفسه وتحت الإشراف المباشر لإسحاق لافون وزير الدفاع الإسرائيلى. لزعزعة استقرار حكومة جمال عبد الناصر.

تنظيم ١٩٦٥ (سيد قطب)

فى هذا العام ١٩٦٥ تم اكتشاف مؤامرة قام بها الأخوان المسلمون بغرض قلب نظام الحكم واتضح من التحقيقات أن المؤامرة من تدبير الإخوانى محمد قطب وشقيقه سيد قطب.

وكان سيد قطب ممن ألقى القبض عليهم عقب محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر في ١٩٥٤ فى ميدان المنشية بالأسكندرية وحكم عليه بالسجن وحصل على إفراج صحي وخرج من السجن فى ١٩٦٤.

وقبض عليهما ومجموعة كبيرة من أعضاء الإخوان المسلمين وبتوالى الاعترافات وما تم ضبطه من منشورات ووثائق تنظيمية وكميات كبيرة من الأسلحة كانت فى وكر بمنطقة كرداسة في محافظة الجيزة جنوب القاهرة.

وانتهت المحاكمة إلى سجن عدد كبير من أعضاء التنظيم والحكم بإعدام سبعة من بينهم سيد قطب.

ووفقاً لما قرره الأستاذ/ فريد عبد الخالق مرافق حسن البنا وعضو مكتب الإرشاد أنه عرف من سيد قطب أنه أنشأ تنظيما بعيداً عن سلطة المرشد يهدف إلى اغتيال جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية وتصفيته وقلب نظام الحكم عن طريق نسف القناطر الخيرية وبعض المنشآت والمرافق الحكومية وإثارة الذعر بين المواطنين. وعاينوا فعلاً محطات توليد الكهرباء والمنشآت التي سيخربونها ورسموا خطط تنفيذ ذلك.

ومن أقوال سيد قطب وهو في طريقه إلى غرفة الإعدام:

- للأسف الشديد لم ينجحوا فى تنفيذ عملية نسف القناطر الخيرية التي لو تمت لانتهى النظام.
- إن مشكلتى فى عقلى، أنا مفكر وكاتب إسلامى كبير والحكومة تريد القضاء على الإسلام عبر قتلى.
- تدمير القناطر ومحطات الكهرباء والمياه كان سيكون بداية الثورة الإسلامية وإنذار شديد للناس لينتبهوا من غفلتهم وسكرتهم بنظام حكم عبد الناصر.

وكثير من الكتاب وفقهاء الدين الإسلامى ينتقدون كتابات سيد قطب وأفكاره حيث استخدم لفظ الجاهلية فى وصف المجتمعات الإسلامية، كما طعن فى الصحابة رضى الله عنهم وطعن فى خلافة عثمان بن عفان وأن على بن أبى طالب أحق بها.

وبدا أنه يرسم طريقاً آخر للمسلمين بعيداً عن صحيح الدين وينصب نفسه ونفر من أتباعه للهيمنة على نظام لطريق معوجة يسمونها طريق الإسلام.

وتجاهل أنه لاستقرار الحياة فلا بد من وجود حكام يتولون أمور الناس بالدين وبالقوانين العادلة التى تقتضيها الحياة، كما ورد فى القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكيف يستقيم فى عقل إنسان أن تقوم طليعة مزعومة لتجريد الحكام جميعا من سلطانهم ولتفتح الطريق أمام طغمة من الخبثاء يوهمون الناس أنهم طليعة الإيمان!

وفى كتاب التاريخ السرى للإخوان المسلمين يقول الأستاذ على عشماوى (القيادى المنشق عن الجماعة): كان المرحوم سيد قطب لا يصلى الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدئ الموقف وقلت له هيا إلى صلاة الجمعة وقد فوجئت حين قال لى أنه يرى فقيهاً أن صلاة الجمعة تسقط إذا سقطت الخلافة وأنه لا جمعة إلا بخلافة، وكان

هـذا الـرأى غريبـاً علـى، ولكنـى قبلـت علـى اعتبـار أنـه أعلـم منـى وكان يـرى أن تربيـة العقيـدة وتصحيحهـا هـو بالإسـلام.

تنظيم الفنية العسكرية ١٩٧٤

هـو تنظيـم واسـع ومتنـوع جغرافيـاً مـن مجموعـة متحمسـة مـن الشـباب مـن تأسـيس صالـح سـرية قسـمهم إلـى مجموعـات صغيـرة علـى رأس مجموعـة الإسـكندرية، كامـل عبـد القـادر -طالـب طـب- وطـلال الأنصـاري -طالـب هندسـة، ومجموعـة بورسـعيد بقيـادة أحمـد صالـح، ومجموعـة القاهـرة والجيـزة وعلـى رأسـها حسـن الهـلاوي ومصطفـى يسـري، ومجموعـة قنـا بقيـادة محمـد شـاكر الشـريف، وأبقـى مجموعـة الفنيـة العسـكرية بقيـادة كارم الأناضولـي وباقـي الكليـات العسـكرية تحـت قيادتـه المباشـرة.

أفكار التنظيم

اعتمـد التنظيـم في أدبياتـه الرئيسـة علـى أفـكار صالـح سـرّية مؤسـس التنظيـم وفيلسـوفه والـذي يـرى أن الجهـاد هـو الطريـق لإقامـة الـدول الإسـلامية. لا يجـوز مـوالاة الكفـار والأنظمـة الكافـرة ومـن فعـل ذلـك فهـو كافـر. مـن مـات دفاعـاً عـن حكومـة كافـرة ضـد مـن قامـوا لإقامـة الدولـة الإسـلامية فهـو كافـر إلا إذا كان مكرهـاً فإنـه يبعـث علـى نيتـه. مـن اشـترك في حـزب عقائـدي غيـر إسـلامي فهـو كافـر، كذلـك مـن اشـترك في جمعيـة عالميـة كالماسـونية أو اعتنـق فلسـفة مخالفـة كالوجوديـة أو البرجماتيـة كافـر.

الحكـم بتكفيـر الحـكام وجاهليـة المجتمـع واعتبـاره دار حـرب. جـواز العمـل الحزبـي الإسـلامي والمسـاهمة من خلاله في الانتخابات ودخول البرلمان والمشـاركة في الوزارات إذا كان صريحـاً بأنـه يسـعى عـن هـذا الطريـق للوصـول إلـى السـلطة وتحويـل الدولـة إلـى دولـة إسـلامية. يجـوز للمسـلم أن يدخـل في مختلـف اختصاصـات الدولـة بأمـر مـن الجماعـة الإسـلامية ويسـتغل منصبـه لمسـاعدة الجماعـة للحصـول علـى السـلطة أو التخفيـف عنهـا في حالـة المحنـة أو إفادتهـا بـأي طريـق ولا مانـع أن يصبـح وزيـراً حتـى مـع حاكـم طاغيـة إذا كان بهـذه النيـة.

كل من ينفذ أوامر الدولة الكافرة ضد الإسلام والحركة الإسلامية فهو كافر. في حالة وجود مرشح إسلامي وأمامه مرشح اشتراكي أو قومي أو شيوعي وانتخب الفرد غير الإسلامي فإنه يكون كافراً بهذا الموقف. الذين يحاربون دعاة الإسلام لأنهم يمزجون الدين بالسياسة كفار لأنهم قصروا الإسلام على جانب وكفروا بالجوانب الأخرى. المعارضون لأحكام الإسلام الذين يتهمون الدين بالتخلف والرجعية كفار، كذلك الذين يعترضون على حكم من أحكام الله ولا يرضون عنها مثل الذين يعترضون على الإسلام ويتهمونه بالتخلف فإن هؤلاء غير راضين عن الإسلام أصلاً.

وأن تحية العلم والجندي المجهول والسلام الجمهوري من طقوس الجاهلية وهي صورة من صور الشرك.

العمـــــليات

تم تكليف مجموعة الإسكندرية بإعداد رسم كروكي عن مكانين محتملين، الهجوم الأول مجلس الشعب والثاني مبنى الاتحاد الاشتراكي على كورنيش النيل، وقد حضرت مجموعة من ستة أفراد من الأسكندرية منهم محمد علي خليفة وهاني الفرنواني وأنجزوا المطلوب. تم وضع الخطة البديلة بواسطة سرّية وكارم الأناضولي، وتعتمد على الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية بمهاجمة حرس بوابة الكلية في صمت لإدخال عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة إخوانهم الطلبة داخل الكلية مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه إلى مقر الاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم.

وكبروفة للأحداث طلب سرّية من مجموعة الأسكندرية الحضور إلى القاهرة والتوجه إلى موقع العملية قبل بدء التحرك بيوم واحد وبعد حضورهم طلب منهم العودة والحضور في اليوم التالي. وأعد صالح سرية بيان الانقلاب بخطه، ويدعوا إلى قيام نظام جديد في مصر يقضي على الفساد، ويدعم الإيمان والأخلاق والفضيلة، ويضمن الحريّات، وتم تذييل البيان بتوقيع د/ صالح سرّية رئيس الجمهورية.

ومع بداية التحرك تسلل اثنين من التنظيم، أحدهما توجه إلى وزارة الداخلية والثاني إلى رئاسة الجمهورية وقاما بالإبلاغ عن الخطة، وبعد مرور وقت طويل من عدم التصديق والتحقيق معهم، توجهت قوة صغيرة من الأمن المركزي إلى كلية الفنية العسكرية ليتم إجهاض الهجوم في بدايته، ويتم القبض على قياداته، وعلى رأسهم صالح سرية الفلسطيني، وأجريت لهم محاكمة سريعة، حاولت السلطات الأمنية إثبات تورط النظام الليبي في العملية، وحاولت النيابة أن تزج باسم حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية فيها، ولكن ربط الحركة بأي قوى خارجية أو داخلية باءت بالفشل.

الحكم على أفراد التنظيم

صدر الحكم بإعدام صالح سرّية وكارم الأناضولي وطلال الأنصاري -قرر السادات تخفيف الحكم الصادر عليه بالإعدام إلى المؤبد نتيجة وساطة والده الشاعر السكندري عبد المنعم الأنصاري- وبأحكام بالسجن على عشرات منهم، وطويت صفحة من تاريخ أول تنظيم إسلامى جهادي انقلابي في مصر. مع إنتهاء العملية بالفشل وإعدام القيادات حاول أحد قيادات التنظيم -أحمد صالح- والذي حوكم بالبراءة إعادة تجميع من تبقى والاستمرار في الحركة ولكن تم القبض على معظم من تبقى منهم عام ١٩٧٧م فيما عرف بتنظيم الجهاد ليعود مرة أخرى مصطفى يسرى لمحاولة الاستمرار بالباقين منهم.

تنظيم التكفير والهجرة

تنظيم «جماعة المسلمين» أو «التكفير والهجرة»

أسسها شكري أحمد مصطفي..

من مواليد أبو خرص مركز أبو تيج أسيوط ١ يونيو ١٩٤٢. هو مؤسس جماعة المسلمين أو جماعة الدعوة والهجرة والتي سماها الإعلام جماعة التكفير والهجرة، كان متزوجاً من شقيقة الأخواني محمد صبحي مصطفى. كان الشاب شكري مصطفى متعاطفاً مع جماعة الإخوان المسلمين في الستينات من القرن العشرين ولذلك تم

القبض عليه ضمن الإخوان المسلمين فى قضية قلب نظام الحكم وسجن ابتداءً من عام ١٩٦٥ وحتى خروجهم من السجن بعد موت عبد الناصر.

وشكري مصطفى هو إخواني منشق فكره التكفير: ويعتمد على أفكار التكفير التي ذكرها سيد قطب، فهو تكفير المجتمع حتى وإن كان كل من فيه مسلمون طالما هم لا يعودون الى شرع الله وإلى تحكيم شريعة الله فهم كفار مهما نطقوا الشهادتين أو أدوا الأركان الخمسة.

● من هم الكفار عند شكري مصطفى؟

١. كل من يرتكب معصية هو كافر وكل معصية هي شرك.

٢. ضرورة تأدية كل الفرائض وإذا نقص فرض واحد فقد أحبط الجميع.

٣. كل مسلم بلغته دعوة جماعة المسلمين ولم ينضم فهو كافر.

٤. الكافر عقابه القتل فإن أصل الحكم في الكافر أنه حلال الدم والمال والعرض.

أما فكرة الهجرة كما شرحها شكري مصطفى:

١. هجرة ما نهى الله عنه من آلهة تعبد غير الله وهجرة المعاصي التي نرتكبها.

٢. هجرة معابد غير المسلمين. المسلم عند شكري مصطفى هو المنتمي لجماعة المسلمين فقط.

٣. هجرة العادات والتقاليد والملابس والأزياء ودور اللهو والنوادي واعتزال الناس.

٤. هجرة الوطن كله لأرض لا يعبد فيها إلا الله ونتبرأ من كل شيء فيها فتنزل اللعنات على المجتمع الكافر الماجن وينجو فقط جماعة المسلمون

٥. هجرة مصر حتى يتمكنوا من الإعداد في أرض آخرى للعودة ومقاتلة الكفار ومهاجمة النظام للاستيلاء على الحكم بالقوة فالإسلام هو دعوة تنتشر ثم

هجرة أرض الكفار لأرض آخرى -قد تكون صحراء سيناء مثلا- لا يعبد فيها إلا الله ثم إعداد لقتال الكفار ثم عودة وجهاد وقتال الكفار.

الصلاة في المساجد

المساجد كلها حرام لأنها مساجد «ضرار» فلا نعرف نية بانيها ومصدر أمواله وبالتالي فالمساجد الأربعة الصحيح الصلاة فيها هي المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد قباء والمسجد النبوي وبالتالي أسقط شكري مصطفى أمير الجماعة فريضة صلاة الجمعة لأن المساجد «ضرار» ولأن شرع الله ليس قائما بصورة كلية تامة ولابد من الجهاد أولا واستلام السلطة وإقامة شريعة الله كاملة ثم الصلاة في المساجد!

وذلك تأثراً بأستاذه سيد قطب الذى حرم صلاة الجمعة فى المساجد طالما لا يوجد خليفة للمسلمين!

الخدمة العسكرية

حرضت الجماعة أعضائها على الهروب من أداء الخدمة العسكرية فهو جيش يحمى المجتمع الكافر ويحمى حكام طغاة لا يقيمون شرع الله ويحمى أرض الكفار أما في حالة حدوث غزو خارجي للدولة يتوجب فرار أعضاء الجماعة للإعداد والتمكن ثم العودة للسلطة ثم مقاتلة العدو الوافد!

اباحت الجماعة أن تهجر الزوجة زوجها إذا ارادت أن تنضم للجماعة بدون طلاق ثم تتزوج من غيره بشرط أن يكون من أعضاء جماعة المسلمين (التكفير والهجرة). فكرٌ أعوج قبيح متطرف بصورة فجة!

طارد جهاز أمن الدولة جماعة المسلمين واعتقل منهم أعضاء كثيرون فاختطفوا الشيخ الذهبي يوم ٤ يوليو ١٩٧٧ وساوموا على إطلاق سراحه بشرط الإفراج عن أعضاء جماعتهم ولكن تم القبض عليهم وإعدامهم مع شكري مصطفى في نوفمبر ١٩٧٧.

وكان جزء من النص القانوني للإتهام «اشتركوا في اتفاق جنائي لمحاولة قلب وتغيير دستور الدولة ونظامها الجمهوري وشكل الحكومة بالقوة بأن أقاموا تنظيما سريًا يدعو إلى فرض الجهاد ضد نظام الحكم القائم والقضاء علية بالقوة بدعوى تعارض هذا النظام مع أحكام الشريعة الإسلامية.»

لم تتوانى الجماعات مهما اختلفت اسمائها في ارتكاب الجرائم مثل القتل والخطف وترويع المواطنين والإرهاب والذريعة الوصول للحكم وتطبيق شريعة الله.

إن الإسلام ممن استغله لمصالحه براء. والحمد لله على نعمة الاسلام وكفى بها نعمة.

اغتيال السادات ١٩٨١

دبرت الجماعة الإسلامية بالإشتراك مع تنظيم الجهاد، حيث أفتى عمر عبد الرحمن وهو مفتى الجماعة الإسلامية بقتل السادات، وقام عبود الزمر وهو ضابط مخابرات حربية سابق وهارب من أجهزة الأمن بوضع خطة الإغتيال. بدأ العرض العسكري في ٦ أكتوبر ١٩٨١م الساعة ١١ وجلس الرئيس السادات وإلى يمينه نائبه محمد حسني مبارك، ثم الوزير العُماني شبيب بن تيمور مبعوث السلطان قابوس، وإلى يساره المشير عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع ثم سيد مرعي، ثم عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر في ذلك الوقت. كان الحاضرون يستمتعون بمشاهدة العرض، خصوصاً طائرات «الفانتوم» وهي تمارس ألعاباً بهلوانية في السماء، ثم انطلق صوت المذيع الداخلي «الآن تجئ المدفعية». وتقدم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة، وحوله عدد من راكبي الدراجات النارية، وفجأة توقفت إحدى الدّراجات بعد أن أصيبت بعطل مفاجئ، ونزل قائدها وراح يدفعها أمامه، لكن سرعان ما انزلقت قدَمه، ووقع على الأرض، والدّراجة فوقه فتدخّل جندي كان واقفاً إلى جوار المنصة، وأسعفه بقليل من الماء.

كل هذا حدث أمام الرئيس والجمع المحيط به، وأسهمت تشكيلات الفانتوم وألعابها في صرف نظر الحاضرين واهتمامهم، لذا عندما توقفت سيارة خالد

الإسلامبولي، فيما بعد ظُنّ أنها تعطّلت، كما تعطّلت الدّراجة النارية. في تمام الثانية عشرة وعشرين دقيقة، كانت سيارة الإسلامبولي، وهي تجرّ المدفع الكوري الصنع عيار ١٣٠مم، وقد أصبحت أمام المنصة تماماً، وفي لحظات وقف القناص حسين عباس، وأطلق دفعة من الطلقات، استقرت في عنق السادات، بينما صرخ خالد الإسلامبولي بالسائق يأمره بالتوقف، ونزل مسرعاً من السيارة، وألقى قنبلة ثم عاد وأخذ رشاش السائق وطار مسرعاً إلى المنصة. كان السادات قد نهض واقفاً بعد إصابته في عنقه وهو يصرخ، بينما اختفى جميع الحضور أسفل كراسيهم. وتحت ستار الدخان، وجّه الإسلامبولي دفعة طلقات جديدة إلى صدر السادات، في الوقت الذي ألقى فيه كل من عطا طايل بقنبلة ثانية، لم تصل إلى المنصة، ولم تنفجر، وعبدالحميد بقنبلة ثالثة نسي أن ينزع فتيلها فوصلت إلى الصف الأول ولم تنفجر هي الآخرى. بعدها قفز الثلاثة وهم يصوّبون نيرانهم نحو الرئيس. وكانوا يلتصقون بالمنصة يمطرونه بالرصاص. سقط السادات على وجهه مضرجاً في دمائه، بينما كان سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ يحاول حمايته برفع كرسي ليقيه وابل الرصاص، فيما كان أقرب ضباط الحرس الجمهوري، عميد يدعى أحمد سرحان، يصرخ بهستيريا «إنزل على الأرض يا سيادة الرئيس»، لكن صياحه جاء بعد فوات الأوان. صعد عبد الحميد سلم المنصة من اليسار، وتوجّه إلى حيث ارتمى السادات، وأطلق عليه دفعة جديدة من الطلقات، فيما ارتفع صوت الأسلامبولي يؤكد أنهم لا يقصدون أحداً إلا السادات. بعدها انطلقوا يركضون عشوائياً، تطاردهم عناصر الأمن المختلفة، وهي تطلق النيران.

لم يكن السادات هو الضحية الوحيد للحادث فقد سقط سبعة آخرون هم:

- اللواء أركان حرب حسن علام.
- خلفان ناصر محمد (من الوفد العماني).
- المهندس سمير حلمي إبراهيم.

- الأنبا صموئيل.
- محمد يوسف رشوان (المصور الخاص بالرئيس).
- سعيد عبد الرؤوف بكر.
- شانج لوي (صيني الجنسية).

مجموعة الاغتيال:

- خالد الإسلامبولي: ضابط عامل باللواء ٣٣٣ مدفعية، هو المخطط والمنفذ الرئيسي لعملية الاغتيال، ترجل من سيارته أثناء العرض بعد إجبار سائقها -والذي لم يكن مشتركا في العملية- على إيقاف السيارة، ثم اتخذ طريقه بشكل مباشر نحو المنصة وهو يطلق النار بغزارة على الصف الأول مستهدفاً السادات، وبالفعل استطاع توجيه رصاصات نافذة إلى صدر السادات بشكل عام وقلبه بشكل خاص وكانت من أسباب وفاته، أصيب في ساحة العرض وتم القبض عليه ومحاكمته ومن ثم إعدامه رمياً بالرصاص بعد ذلك. وهو الذي اختار فكرة الهجوم بشكل مباشر على المنصة من الأمام من خلال عدة بدائل كانت مطروحة آنذاك منها مهاجمة المنصة بواسطة إحدى طائرات العرض العسكري أو مهاجمة استراحة السادات أثناء إقامته فيها.

- عبود الزمر: ضابط بالمخابرات الحربية شارك في تخطيط و تنفيذ عملية الاغتيال وهو الذي اختار فكرة الهجوم بشكل مباشر على المنصة من الأمام من خلال عدة بدائل كانت مطروحة آنذاك منها مهاجمة المنصة بواسطة إحدى طائرات العرض العسكري أو مهاجمة استراحة السادات أثناء إقامته فيها. وصدر عليه حكمان بالسجن في قضيتي اغتيال السادات (٢٥ عاما) وتنظيم الجهاد (١٥ عاما) وقد قررت المحكمة في ٢٠٠٧ التنحي عن النظر في الاستشكال الذي تقدم به عبود الزمر.

- حسين عباس: قناص بالقوات المسلحة، كان ضمن فريق الاغتيال المنفذ للعملية، وكان يجلس فوق سيارة نقل الجنود التي كانت تقل فريق التنفيذ، وانتظر حتى حصل على فرصة اقتناص السادات وبالفعل أطلق طلقة واحدة اخترقت رقبة الرئيس الراحل وكانت من الأسباب الرئيسية لوفاته، وبعد قنص السادات ترجل من السيارة وتابع ما حدث لزملائه من خلال تسلله إلى منصة المشاهدين ثم رحل كأي شخص عادى ولم يتم القبض عليه إلا بعد ثلاثة أيام من خلال اعترافات زملاؤه تحت التعذيب.

- عطا طايل: ملازم أول مهندس احتياط.

- عبد الحميد عبد السلام: ضابط سابق بالدفاع الجوي.

١- لماذا قررت المخابرات الحربية فجأة في منتصف أغسطس رفع اسم الملازم أول خالد الإسلامبولي من قوائم الممنوعين من الاشتراك في الاستعراض العسكري لأسباب أمنية. لقد صدر قرار من مدير المخابرات الحربية باشتراك الإسلامبولى في الاستعراض. ومهمة خالد في الاستعراض كضابط في اللواء ٣٣٣ مدفعية وكما تعود أن ينفذها قبل حرمانه من الاشتراك في الاستعراض قبل ٣ سنوات هي الجلوس في كابينة شاحنة تجر مدفع ميداني بينما يجلس في صندوق الشاحنة ٤ جنود من ذات اللواء.

٢- بعد رفع اسم الإسلامبولى من قائمة الممنوعين قامت بعض العناصر التابعة للجماعة الإسلامية بالاتصال بالإسلامبولى لتبلغه بأنه قد وقع عليه الاختيار لتنفيذ «عملية استشهادية» قامت هذه العناصر بتقديم ٤ رجال للإسلامبولى على أنهم من سيعاونوه في إتمام المهمة الموكلة له. والشركاء الأربعة أتموا الخدمة العسكرية كما أن أحدهم وهو حسين على كان قناصاً بالجيش وبطل الرماية به. الخطة كانت تتطلب أن يقوم الاسلامبولى بوضع شركاءه الجدد في صندوق الشاحنة بدلاً من الجنود الأصليين في يوم الاستعراض.

٣- كان الجناة الأربعة يقومون بالفعل بالتدريب في الصحراء على اغتيال السادات في المنصة. والغريب أن هذه التدريبات كانت تتم تحت إشراف وحماية أجهزة الأمن بدليل ما أقر به النبوي إسماعيل بأن أجهزة الأمن كان لديها شريط فيديو يصور هذه التدريبات.

٤- قبل الاستعراض بثلاثة أيام صرف الإسلامبولى الجنود الأربعة الذين كانوا من المفروض أن يشتركوا معه في الاستعراض بأن أعطى كل منهم أجازة لمدة ٤ أيام ثم أدخل الجناة الأربعة الوحدة منتحلين صفة الجنود الأربعة الأصليين و ظلوا هناك حتى يوم الاستعراض حيث اشتركوا في التدريبات النهائية للاستعراض.

٥- كانت الذخيرة الحية وإبر ضرب النار تنزع من الأسلحة التي كانت تصرف للمشاركين في الاستعراض. و كإجراء أمنى إضافي تم إقامة ١٠ نقاط تفتيش بواسطة الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية على طول الطريق المؤدي للاستعراض للتأكد من عدم وجود إبر ضرب النار وذخيرة حية. وبالرغم أن الشاحنة التابعة للجناة كانت محملة بالقنابل والذخيرة الحية وإبر ضرب النار إلا أن الشاحنة تمكنت من المرور عبر كل نقاط التفتيش.

٦- المقدم ممدوح أبو جبل الذي أمد الإسلامبولى ورفاقه بإبر ضرب النار والذخيرة والقنابل تبين بأنه ضابط بالمخابرات الحربية أي أن المخابرات هي التي أمدت الإسلامبولى بالأسلحة لقتل السادات و لهذا لم يحاكم أبو جبل وتوارى عن الأنظار.

٧- بالنظر إلى الوضع الأمني المتردي في البلاد في ذلك الوقت فقد تقرر أن يرتدي كل من السادات ومبارك وأبو غزالة الدرع الواقي من الرصاص تحت زيهم العسكري التي كان السادات قد صممه بنفسه على الطراز النازي. فضلا عن ذلك فان حراس السادات البالغ عددهم ١٥٠ فرداً جعلوا من المستحيل على أي قاتل محتمل أن يقترب من السادات حتى محيط دائرة نصف قطرها ٣٠ متر دون أن يقتل أو يقبض عليه. كما أن سور المنصة يوفر للسادات حماية ممتازة في حالة ما

إذا تم إطلاق النار عليه. فإذا انبطح السادات خلف هذا السور فلا يمكن للجناة الذين يقفون على الناحية الأخرى من السور إصابة السادات لأن ارتفاع السور ١٨٠ سم و عرضة ٨٠ سم. والأهم من ذلك كله كيف يضمن مبارك وأبو غزالة عدم اصابتهما وهما يجلسان على يمين و يسار السادات.

٨- لعب محمد عبد السلام فرج دوراً كبيراً في عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات في ٦ أكتوبر عام ١٩٨١م، رغم أنه لم يكن من ضمن المجموعة التي نفذت العملية ولكن ما كشفه المتهم الأول خالد الإسلامبولى قائد العملية في ملفات التحقيقات، أكد أنه لولا عبد السلام فرج ماكانت هناك عملية من الأساس حينما قال: «إنه ذهب إلى محمد عبد السلام فرج، ليبلغه بأنه عازم على قتل السادات في يوم العرض العسكرى في السادس من أكتوبر، وأنه حصل على موافقته وأمده بالرجال والسلاح.»

٩- حيث قام محمد عبد السلام فرج باستدعاء المجموعة التي شاركت خالد في اغتيال السادات، فقد أحضر عطا طايل من الدلنجات، وحسين عباس، وعبد الحميد عبد السلام، وهو أيضاً الذي أحضر ثلاث إبر لضرب النار من المقدم مهندس ممدوح أبو جبل، فعندما ظهرت فكرة خالد الإسلامبولي وعرضها على محمد عبد السلام فرج، تردد الأخير في البداية في الموافقة عليها، وخشى أن تؤدى إلى كشف التنظيم. لكنه وافق في نهاية الأمر.

١٠- استشار في البدء المسؤول العسكري وهو عبود الزمر، وكان مقدماً في المخابرات، فرفضها لأنها ستكشف التنظيم وهو لا يريد ذلك لأنه يعتقد باستمرار المشروع على الأقل خمس سنوات، ليجمع أكبر عدد من الشباب. لكن حصل إصرار على استغلال هذه الفرصة على أساس أن المنفذين سيقتلون بدورهم. إذ قال خالد الإسلامبولي الحراس سيقتلونه هو وعطا طايل وعبد الحميد عبد السلام وحسين عباس.

وبالتالي لن يُكتشف التنظيم. وعلى هذا الأساس وافق عبود الزمر في نهاية الأمر ومضى في الخطة.

وهكذا نُفّذت العملية وتم اغتيال السادات.

مذبحة أسيوط ١٩٨١

وتلت قصة هجوم تنظيم الجهاد على مديرية أمن أسيوط، مذبحة العيد بأسيوط، عملية اغتيال السادات سماها البعض مذبحة. واستقر الباحثون على تسميتها بأحداث أسيوط. وقال عنها أيمن الظواهري الرجل الثاني في تنظيم القاعدة إنها «انتفاضة عاطفية» ذات نصيب متواضع من التخطيط فقد جاءت متأخرة عن قتل السادات بيومين.. كما كانت تستند إلى خطة غير واقعية أما الدكتور عمر عبد الرحمن فقد أفتى بأن على الذين شاركوا في تلك الأحداث أن يصوموا ستين يوماً للتكفير عن ذنبهم.. باعتبار أن عمليات القتل التي ارتكبوها تندرج تحت بند القتل الخطأ ولنبدأ من النقطة التي أعقبت اغتيال الرئيس المصري أنور السادات فبعد نجاح خالد الإسلامبولي وعبد الحميد عبد السلام وعطا طايل حميدة وحسين عباس -ومن ورائهم عبد السلام فرج مخططاً ومعاوناً ومعداً- في تنفيذ عملية اغتيال السادات.. اجتمع على الفور في أحد أحياء أسيوط مجلس شورى الوجه القبلي بزعامة كرم زهدي تم الاتفاق في هذا الاجتماع على مواصلة خطة قلب نظام الحكم باستهداف خمسة أهداف للأمن في أسيوط هي مديرية الأمن هناك وقسم ثان والدورية اللاسلكية ومباحث أمن الدولة والمباحث الجنائية ونقطة شرطة إبراهيم، ثم الزحف بعد ذلك لمحافظات الوجه البحري وتثوير الجماهير.. وصولاً إلى القاهرة التي سيكون عناصر الجهاد قد سيطروا فيها على الإذاعة والصحف والمناطق العسكرية الحساسة كان الهدف النهائي الذي سعى إليه كرم زهدي -كما تقول مراجع عدة- واضحاً: قصر عابدين.. فما الذي جرى على أرض الواقع؟

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباح يوم الثامن من أكتوبر عام ألف وتسعمئة وواحد وثمانين. وبينما كانت دورية مرور ليلية تقوم بعملها المعتاد في مدينة أسيوط للتأكد من استتباب الأمن بمناسبة عيد الأضحى.. ضبطت هذه الدورية ثلاثة رجال كانت ضمن مجموعة تركب سيارة ربع نقل.. اشتبهت فيها الدورية وكانوا من أفراد جماعة الجهاد.. اقتيد هؤلاء الرجال الثلاثة إلى قسم ثان أسيوط وتم إخطار مساعد المدير لشؤون الأمن بما حدث.. فأودع الرجال الثلاثة حجز القسم بدون مناقشتهم ومعرفة ظروف ضبطهم وهويتهم أو حتى بدون معرفة أسمائهم وبعد حوالي ساعة طرق أحدهم بشدة على باب غرفة الحجز من الداخل وأخذ يصرخ قائلاً: مصيبة ستحدث أثناء صلاة العيد بعد ساعتين. أريد مقابلة المأمور. وكان وقتها مأمور القسم العقيد محمود سلامة. أجاب الضابط المناوب: اخرس يا ولد.. الصباح رباح.. عندما يأتي البيه المأمور قل له ما تريد. كان الشخص المضبوط يصر على الإبلاغ بما سيحدث في الساعة السادسة صباحاً.. لأنه كان مكلفاً بالعمل غير أنه بعد إلقاء القبض عليه آثر الإبلاغ عما سيحدث ليستفيد من نص القانون الذي يعفيه من المسؤولية عندما تقع الأحداث لكن هذا الصباح لم يكن «رباح» كما توقع الضابط المناوب ففي الساعة السادسة صباحا وقفت سيارة بيجو لونها الأصلي أبيض مطلية بشكل رديء باللون الأزرق ورقم لوحتها ١٢٦٠٠ ملاكي القاهرة مكتوبة باليد.. وسيارة أخرى فيات جديدة تحمل أرقام ١١٧٢» ملاكي سوهاج أمام مبنى مديرية الأمن نزل من السيارتين ثمانية مسلحين وفتحوا نيران أسلحتهم الآلية على جنود الحراسة ولم تتح لهم الرد بإطلاق النار من المفاجأة وسقط الملازم أول أحمد وحيد عند مدخل المديرية. ووجدوا العميد شكري رياض مساعد المدير -وكان مرتدياً بيجامة في استراحة المديرية- فأردوه قتيلاً.. كما قتلوا بالرشاشات ستة عشر سائقاً واثنين وثلاثين جندياً.. واتخذوا مواقع فوق سطح المبنى واستولوا على ثلاثين بندقية سلاح ومدفعين من طراز برن.. وتشير المعلومات إلى أن الرائد حسن الكردي كان الناجي الوحيد من مجزرة مديرية الأمن. في هذه الأثناء كانت هناك سيارات تجوب شوارع المدينة تحمل مجموعات مسلحة تطلق النار على جنود الحراسة وعلى

إطارات وسيارات رجال الشرطة. كما اتجهت مجموعة من المسلحين إلى مبنى مركز شرطة قسم ثانٍ في شرق أسيوط لاحتلاله وكان موجوداً به مئة وأربعة وسبعون جندياً وثلاثون ضابطاً في الساعة السادسة صباحاً شنت مجموعة ترتدي زي عساكر الجيش هجومها على مركز شرطة قسم أول في غرب أسيوط وكان يضم مئة واثنى عشر جندياً وأربعة ضباط.. كان المهاجمون في البداية سبعة مسلحين.. خرج معظم أفراد الوحدة لحراسة المساجد فقاومهم الملازم أول عصام مخلوف ضابط مباحث القسم بطبنجة لا تستخدم إلا كتسليح شخصي للضباط.. وكان من الصعب مواجهة البنادق الآلية بطبنجة فلقي مصرعه في ثوان.. قتل واحد منهم وأصيب اثنان.. سحبوا القتيل وجروا إلى بيت المواطن سعيد محمد عمر أمام مبنى القسم على بعد حوالي عشرين متراً.. وظل تبادل النيران لمدة ثلاث ساعات.

١- وحسب شهادة العقيد فتحي المسلمي مأمور القسم فإن الأحداث أخذت أكثر من منعطف.. إذ يقول: بعد حضور قوات الأمن المركزى تعاملت قوات الأمن معهم بالأسلحة الآلية والقنابل المسيلة للدموع وكانت المجموعة المهاجمة قد أصبحت عشرين شخصاً ولم يستسلم غالبيتهم بل إن معظمهم فر فى سيارة جيب تحمل رقم ستة مطافئ أسيوط وحولوها إلى قاعدة حصينة لإطلاق الرصاص ولكن عند غروب الشمس دانت لرجال الأمن السيطرة على الموقف. وكان وزير الداخلية النبوي إسماعيل قد أرسل طائرتي هليكوبتر حامتا حول المواقع التي احتلها المهاجمون لإفقادهم الأمل في استمرار تمسكهم بالمواقع وتهديدهم بتدخل قوات كبيرة من الجيش وإعلان حالة الطوارىء في المدينة. واتجهت مجموعة ثالثة من المهاجمين إلى منطقة مسجد ناصر.. ومباحث التموين الذي كان يحوي مئة وأربعة عشر جندياً وثلاثة ضباط.. كانت المجموعة الأخيرة مركز إمداد باقى المجموعات بالرجال والسلاح والذخيرة.. وكان أعمار المشتركين فى الهجوم ما بين ثمانية عشر وستة وعشرين عاماً وعددهم ما بين ستين وسبعين رجلاً.. وكانت مجموعات الهجوم المؤثرة ما بين سبعة وثمانية أفراد.. منهم خمسة وثلاثون طالب ثانوي وجامعي وثلاثة تجار وثلاثة مدرسين وتسعة من

الحرفيين خرج أعضاء تنظيم الجهاد في مجموعات صغيرة.. تكونت المجموعة الأولى من فؤاد حنفي وعلي الشريف وعاصم عبد الماجد وغضبان سيد ومحمد حسن الشرقاوي.. استقلت هذه المجموعة سيارة بيجو قاصدين شارع النميس وجامع ناصر. وبعد أن انتهت مهمتهم هناك انطلقوا إلى مبنى المديرية أصيب عاصم عبد الماجد بثلاثة أعيرة نارية في ركبته اليسرى والساق اليمنى فعجز عن الحركة.. وتولى القيادة من بعده علي الشريف الذي أصيب بدوره أيضاً بثلاث رصاصات نفذ اثنان منهما بالجانب الأيسر. وعندما عجز عن الحركة تماماً تولى القيادة من بعده فؤاد حنفي الذي رأى خطورة الموقف فانسحب من مبنى المديرية وهرب واستولى على سيارة لوري شرطة وتمكن من نقل زملائه والمصابين بداخلها.. وركب العربة هو وزملاؤه بعد أن لبسوا السترات العسكرية واتجهوا إلى قسم ثانٍ أسيوط فألقوا عليه القنابل المسيلة للدموع وأطلقوا دفعات من رصاص أسلحتهم الأوتوماتيكية في غضون ذلك خرجت مجموعة أخرى بقيادة ناجح إبراهيم مكونة من تسعة أفراد توجهوا مترجلين إلى مباحث التموين وأطلقوا النيران على من في المبنى ثم توجهوا إلى قسم أول أسيوط واستولوا على ما به من ذخائر.. وهناك أصيب ناجح وبعض زملائه. وعندما رأى ناجح أنهم لايستطيعون المقاومة هرب بواسطة دراجة بخارية أحضرها له أحمد السيد رجب من جهته.

استقل كرم زهدي وعصام دربالة وغيرهما سيارة فيات ١٢٥ وكان السائق هو خالد حنفي ثم توجهوا إلى منطقة الجمعية الشرعية وانضموا إلى زملائهم.. وحاول عصام دربالة إلقاء قنبلة فانفجرت فيه وتناثرت شظاياها في جسده فنقل إلى السيارة وتوجهوا إلى طريق الغنايم قاصدين إلى الجبل. وشعرت الشرطة هناك بهم فألقى النقيب أحمد جابر مكارم القبض على كرم زهدي وعصام دربالة وأرسلهما إلى المستشفى.

قوات الأمن المركزي كانت مسلحة بالعصي والدروع.. وبالتالي كانت الخسائر البشرية كبيرة: مقتل مئة وثمانية عشر شخصاً بينهم خمسة ضباط ومائة جندي

واثنى عشر من المواطنين الذين شاء حظهم وجودهم فى هذه المناطق وقد كانوا في طريقهم لأداء صلاة العيد. كما أصيب المئات من المواطنين بعضهم كانت إصابته خطرة وتوفي بعد ذلك أدت إصابة دربالة إلى بتر يده اليمنى.. وبترت قدم عاصم عبد الماجد بسبب الإصابة.. كما أصيب علي الشريف في بطنه إصابات شديدة.. وأصيب أيضاً كرم زهدي.. مما أدى إلى فشل المخطط وإلقاء القبض على قادة الهجوم أحياء وترحيلهم في طائرة خاصة إلى القاهرة بصحبة وزير الداخلية وفي القضية المعروفة بتنظيم الجهاد صدرت أحكام بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة عشرين عاماً على كرم زهدي وعاصم عبد الماجد وفؤاد الدواليبي. أما ناجح إبراهيم وعصام دربالة وعلي الشريف وأسامة حافظ فكانت أحكامهم تقضي بالسجن لمدة عشر سنوات.

●●●

الفصل الثانى
الإرهاب فى العقود الأخيرة

ويشمل:

- محاولة اغتيال الرئيس الأسبق حسنى مبارك فى مدينة سيدى برانى بمحافظة مرسى مطروح.
- محاولة اغتيال الرئيس الأسبق حسنى مبارك فى أديس أبابا بإثيوبيا.
- مذبحة الأقصر.
- تفجيرات طابا.
- تفجيرات سيناء وشرم الشيخ.
- تفجيرات الكنائس.

محاولة سيدى برانى.

لعلها كانت أخطر محاولات اغتيال الرئيس الأسبق (حسنى مبارك) وشاء الله أن يتم كشفها بجهود جهاز الأمن الوطنى والتى لو قدر لها أن تتم لأصبحت أقوى وأشرس عملية اغتيال.

وقد أشرف على تنفيذها أحمد حسنى الذى كان يسمى الدكتور والمهندس، وهو من معسكر الجهاد فى أفغانستان، وتلقى تدريبه على أيدى الأمريكان، مع القاعدة، وتفاصيل هذه المحاولة أن أحمد حسنى جند ضابط احتياط مهندس، كان يعمل فى قاعدة سيدى برانى العسكرية التى كان مبارك يسافر إليها بعد فرض الحظر الجوى على ليبيا بعد إدانتها في قضية طائرة لوكيربى، ويسافر من قاعدة سيدى برانى إلى طرابلس برا للقاء معمر القذافي، وخطط أحمد حسنى لاغتيال مبارك عن طريق تلغيم ممر فى المطار، لتفجير ركب مبارك، ونجح ضابط الاحتياط فى إدخال مجموعة أفراد بملابس عسكرية إلى القاعدة لتلغيم الممر

لكن جهاز مباحث أمن الدولة توصل إلى معلومات قادت إلى ضابط الاحتياط الطحاوى، فتم القبض عليه، وأنكر ثم اعترف. وأرشد عن متفجرات يتم تصنيعها وإعدادها فى شقة بمرسى مطروح. وقالت بعض التقارير: إن محاولة الاغتيال فى سيدى برانى كشفت بالصدفة، عندما قبضت مباحث أمن الدولة على عناصر الجماعات الإسلامية فى المعصرة وحلوان بالقاهرة، وكشفت اعترافات المضبوطين بأنه تم زرع العبوات المتفجرة فى المطار والممر المؤدى إلى إستراحة مبارك.

وقامت قوة من جهاز الأمن الوطنى وخبير مفرقعات بمداهمة الشقة فجر أحد أيام ديسمبر ١٩٩٣ وبتفتيشها عثر على أدوات ومعدات تصنيع العبوات الناسفة، كما عثر على سبعة عبوات كاملة التصنيع، وأربعة أخرى لا زالت فى طور التصنيع.

وقد استنتج خبير المفرقعات (مؤلف الكتاب) من شكل العبوات الضخم واللون الأسود الذى طليت به أنها تماثل الأحجار التى تستخدم فى عمل أرصفة الشوارع

وأن أبعاد العبوات من حيث الطول والعرض والارتفاع هى نفسها أبعاد أحجار الأرصفة. كما استنتج من المواد المستخدمة فى التصنيع أنها مصنعة بتقنية (الحشوة الجوفاء) وهى التى تستخدم فى اختراق المركبات المصفحة. وبالفحص وتحليل الموقف والمعطيات تبين أن هذه العبوات سيتم وضعها بدلا من أحجار الرصيف الأصلية، ولم يكن فى مطروح فى هذا الوقت الكثير من الطرق المرصوفة، كما كان من الصعب نقل هذه العبوات إلى خارج (سيدى برانى) خشية اكتشافها فى كمائن المرور التفتيشية.

ولأن الضابط والمجند يعملان فى القاعدة الجوية بسيدى برانى والذى يستخدمه الرئيس الأسبق حسنى مبارك، فقد تم تشكيل لجنة خاصة كان من بينها الفريق أحمد شفيق قائد القوات الجوية وقتها وعثر على أكثر من ٥٠٠ كيلو جرام من مادة «تى.أن.تى» المتفجرة، وتم إخراج ٢٥ عبوة ناسفة تم زرعها بالفعل فى الممر.

وحملت القضية «رقم ٢ لسنة ١٩٩٤» ونظرتها محكمة عسكرية، أصدرت حكماً بالإعدام على ٣ متهمين وبالسجن مدى الحياة على ٣ آخرين.

محاولة أديس أبابا.

طيلة ثلاثة عقود ظل الرئيس الأسبق محمد حسنى مبارك محاطًا بهالة لم يكسرها أى شىء حتى محاولات الاغتيال التى تعرض لها، ورغم الاختلاف على عددها أو حقيقة بعضها، تبقى محاولة قتل الرئيس المصرى فى العاصمة الأثيوبية أديس أبابا فى ٢٦ يونيو عام ١٩٩٥ أثناء استعداده للمشاركة فى القمة الأفريقية، الأكثر وضوحًا وتأثيراً فى علاقات مصر بأفريقيا والعالم ولا تزال أسرار تلك الواقعة المثيرة تتكشف يوما بعد الآخر.

وقد أذيع تسجيل لحديث للراحل الدكتور حسن الترابى زعيم ومؤسس الحركة الإسلامية فى السودان يكشف فيه عن أسماء المتورطين فى العملية، وحقيقة علم الرئيس السودانى عمر البشير بالواقعة من عدمه بعدما ظل محل للتكهنات طوال عقدين من الزمن.

تفاصيل المحاولة

الواقعة تعود تفاصيلها عند زيارة الرئيس الأسبق إلى العاصمة الإثيوبية لحضور القمة الأفريقية وتعرض موكبه لعملية استهداف من قبل ١٠ مسلحين دارت الأحاديث فيما بعد أنهم تزوجوا من إثيوبيات للاندماج فى المجتمع الإثيوبى حتى يستطيعوا التحضير لعملية الاغتيال، التى أحبطها حراس الرئيس بتصفية ٥ من القتلة، وقرار مبارك نفسه بالعودة إلى المطار خاصة أن الشواهد أكدت على وجود كمين آخر فى الطريق كان ينتظر الرئيس الأسبق.

ملابسات المحاولة الفاشلة بحسب ما قاله مبارك نفسه فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فور عودته من إثيوبيا: «بدايات الموضوع كانت بعد الهبوط إلى مطار أثيوبيا، ودارت الأحاديث حول تأخر الحراسة الإثيوبية المرافقة لموكبي، ورفضهم اصطحاب حراستى للطبنجات الخاصة بهم لكن حراسي خبأوها، وانطلق الموكب نحو مقر القمة، بعدها قامت سيارة زرقاء بسد الطريق، وترجل مجموعة من الأشخاص وفتحوا النيران على سيارتى لكن حراستى أخذت أماكنها».

وتابع الرئيس الأسبق حديثه: «وجدت طلقتين أصابوا السيارة لكنهما لم ينفذا، بعدها لمحت شاب صغير السن يحمل رشاشاً يتجه نحو السيارة لكن الحرس أصابوه، بعدها ترك السائقون الإثيوبيون عرباتهم وهربوا لكن حراستى ظلت محافظة على هدوئها، وفى النهاية أمرت سائقى بأن يعود إلى المطار مرة أخرى».

وأضاف مبارك: «عقب العودة للمطار وجدت الرئيس الإثيوبى مضطرب للغاية لكن أبلغته بقرارى بالتوجه فورًا نحو القاهرة، ورد على بتفهمه لموقفى»، مضيفًا: «بالنسبة للواقعة عادى ولا أى حاجة لكن للعلم اكتشفنا أن الفيلا التى كانت تسكنها المجموعة المتورطة فى الحادثة كانت مؤجرة من قبل»، موضحًا أن الإرهابيين لم يخرجوا من السفارة الفلسطينية مثلما تداول البعض لكن من فيلا كانت قريبة من مقر السفارة.

تلميحات مبارك آنذاك بأن محاولة اغتياله قد يكون وراءها النظام السودانى ظلت محل جدال، ولكن لم يتم الجزم بها بشكل قاطع إلا أن أصابع الاتهام أشارت إلى جماعة الجهاد الإسلامية بالتورط فى الواقعة والتخطيط لها عن طريق عدد من قيادات على رأسهم زعيم تنظيم القاعدة السابق، أسامة بن لادن والحالى أيمن الظواهرى الذى كان يحتضنهم فى هذا التوقيت الرئيس السودانى عمر البشير، وذلك بالتعاون مع الجماعة الإسلامية فى مصر التى راودتها فكرة استهداف الرئيس على مدار ١٤ عاما هى عمر حكمه لمصر حتى تلك اللحظة.

ومنذ محاولة الاغتيال لم يتوقف نظام مبارك عن الهجوم على السودان وكيل الاتهامات لهم سواء بالتخطيط لمحاولة اغتياله أو حتى على أقل تقدير تسهيل تنفيذها عن طريق استضافة المتهمين فى القضية قبل الحادثة وإنشائهم معسكرات تدريب خاصة على أرضها، واستمرت القطيعة بين البلدين لعدة سنوات قبل أن تعود العلاقات على نطاق أضيق فيما بعد.

مصير المشاركين في الحادثة

وعلى الرغم من ذلك كان هناك اتفاق مبدئى على أن الجماعة الإسلامية متورطة فى الحادث باعتبار أنها أعلنت عن مسئوليتها منذ اللحظة، والأمر تم تنفيذه بمعرفة ١١ عضوًا تم إرسال ٩ منهم إلى إثيوبيا، وبقى الآخرون فى السودان، فيما دارت التقارير أيضًا على أن الأسلحة المستخدمة فى الواقعة نقلت إلى أديس أبابا بواسطة الخطوط الجوية السودانية، إضافة إلى أن منفذى العملية كانوا يحملون جوازات سفر سودانية.

المؤكد فيما سبق أن حرس مبارك قاموا بتصفية ٥ من العناصر المشاركة فى العملية، فيما ألقت المخابرات الإثيوبية القبض على ٣ آخرين من المشاركين فى العملية هم صفوت عتيق، وعبدالكريم النادى، والعربى صدقى وتم الحكم عليهم بالإعدام فيما أكدت الجماعة الإسلامية فى عهد الرئيس المعزول محمد مرسى أنهم مازالوا على قيد الحياة، وحاولوا مخاطبة إثيوبيا من أجل العفو عنهم بعدما ظلوا فى

المعتقل مدة تجاوزت الـ١٧ عاما، فيما أشارت تقارير صحفية أخرى أنهم تم إعدامهم فى وقت لاحق.

فيما تحدثت التقارير الصحفية عن أن الثلاثة الآخرين الذين تمكنوا من الهروب هم مصطفى حمزة الذى تم اتهامه بأنه العقل المدبر للعملية، وعزت ياسين، وحسين شميط الذي حاول ترشيح نفسه لانتخابات البرلمان فى فترة حكم الإخوان.

«الترابى» يحسم الجدل

وأشار الترابى إلى أن نائبه لم يرتب لمحاولة الاغتيال بسبب أى دوافع شخصية إنما جاءته عناصر من الجماعة الإسلامية وليسوا من الإخوان المسلمين أبلغوه برغبتهم فى التخلص من الرئيس المصرى علمًا بأن التحقيقات أثبتت تورط عناصر من الجماعة الإسلامية المصرية بقيادة مصطفى حمزة رئيس مجلس الشورى بالجماعة الإسلامية.

وحول تداعيات فشل محاولة الاغتيال، أوضح زعيم الحركة الإسلامية أنه عاد إلى السودان مصريان من منفذى العملية بعدما استقلوا طائرة إثيوبية بأسميهما خاصة أن الخمسة الآخرين قد قتلوا، مضيفا: «اجتمعنا للنظر فى أمرهما، وتم الاقتراح أن ننتهى منهما حتى يموت سرهما لكننى طلبت ترحيلهما إلى أفغانستان ليعلنا أنفسهما وكأنهما دخلا السودان فى غفلة من أهله»، مضيفًا الرئيس الإثيوبى حدثنى بنفسه بعد أن زج باسمى فى التحقيقات المصرية، وأوصم الأمر بى، ولكن جاء الأمريكان وأمدونى بكل المعلومات حول الواقعة».

إلا أن حقيقة عملية هروب هؤلاء المجاهدين من مصر لم تتمكن كل الجهات الأمنية فى مصر فى معرفة أسرارها حتى الأن.

إنها تلك الدقائق الحاسمة فيراقبون طائرة الرئيس السابق حسنى مبارك بالمنظار المكبر واستطاعوا رصدها قبل نزولها إلى مطار أديس أبابا، بجانب مجموعات أخرى تم تكليفها بالاشتباك مع حراسات التشريفة الرئاسية بالأسلحة الآلية لإشغال الأمن

عـن تنفيـذ عمليـة الإغتيـال، وآخـرون يحملـون صورايـخ «آر بـي جـي» لتفجيـر سـيارة الرئاسـة لعلمهـم بـأن سـيارته سـتكون مصفحـة ولـن يؤثـر فيهـا الرصـاص ومجموعـة ثالثـة تنصـب كميناً بالمتفجـرات، فالخطـأ الـذى أفسـد عمليتهـم أن المجموعـة الأولـى اشـتبكت مبكـراً مـع الحراسـات قبـل أن تبـدأ باقـي المجموعـات في أخـذ أماكنهـم والتـي كانـت ستتسـف مبـارك نسـفاً، فانفرطـت الرصاصـات لتـدوى أصواتهـا وسـط هلـع الجميـع، وانفـض المولـد دون إصابتـه وعـاد هـو محمـلاً ببرقيـات التهنئـة بالسـلامة وأغانـى التهليـل «اخترنـاه وبايعنـاه».

«كانـوا شـوية رعـاع.. وماحسـتش ثانيـة أنـى اتهزيـت.. كنـت هـادى جداً.. دى حاجـات بتاعـة ربنـا.. خرجـوا مـن فيـلا فخمـة مُسـتأجرة لأحـد السـودانيين» كلمـات الرئيـس السـابق، بعـد عودتـه مـن أديـس أبابـا، بعـد تعرضـه لمحاولـة اغتيـال نجـا منهـا، مقابـل تأكيـد الجماعـة الإسـلامية أنهـم نالـوا شـرف محاولـة التخلـص مـن «الطاغيـة» الـذي لـم يحكـم بشـرع الله.

منفذو عملية الاغتيال

العمليـة الـذي شـارك فيهـا ١٠ مصريـين، ونتـج عنهـا مقتـل خمسـة منهـم عبـد القـدوس القاضـي، ومصطفـي عبـد العزيـز محمـد، و شـريف عبـد الرحمـن أميـر الجماعـة الإسـلامية باليمـن، وعبـد الهـادي مـكاوي، ومحمـد عبـد الراضـي، وتمكـن ثلاثـة آخـرون مـن الهـروب حينـذاك وهـم مصطفـي حمـزه الـذى سـلمته المخابـرات الإيرانيـة إلـى مصـر، ونائبـه عـزت ياسـين الـذى جمـع المعلومـات عـن وصـول موكـب مبـارك واسـتخراج جـوازات سـفر سـودانية ويمنيـة ليسـتخدمها أفـراد المجموعـة، وكان الهـارب الثالـث هـو حسـين شـميط المسـئول عـن تسـليم الأسـلحة والتـي نقلـت مـن الخرطـوم إلـي أديـس أبابـا في حقائـب دبلوماسـية مليئـة بمدافـع الكلاشـنكوف والذخيـرة وقاذفـات «آر.بي.جـي» وقنابـل يدويـة.

معتقلات أديس أبابا

وألقت المخابرات الأثيوبية على ثلاثة أخرين فى تنفيذ تلك العملية والذين لم يتمكنوا من الهرب وهم صفوت عتيق، وعبدالكريم النادى، والعربى صدقى، والذي حكمت أثيوبيا عليهم بالإعدام حينذاك ، إلا أن الجماعة الإسلامية تمكنت من الوصول إلى بضع معلومات تفيد بأنهم أحياء ولم يطبق حكم الإعدام فيهم حتى الأن.

صفوت عتيق، الذى ولد بأسوان عام ١٩٦٤ حيث درس بها ثم التحق بمعهد المعلمين وعمل مدرساً للغة العربيةً بالمرحلة الإبتدائية، وقد ترك مهنة التدريس مسافراً إلى السعودية عام ١٩٩٢ لأداء فريضة العمرة ليحسم موقفه ويسافر إلى أفغانستان للمشاركة فى الجهاد مع باقى جماعته، ومنها هارباً إلى السودان بعد سقوط القاعدة وتضييق السلطات المصرية عليهم إذا ما حاولوا العودة إلى مصر بالقبض عليهم وإعدامهم فور وصولهم المطار.

متخذاً سبيله بعد ذلك إلى أثيوبيا للمشاركة فى عملية اغتيال مبارك متستراً في وظيفة تاجر لقطع غيار السيارات بأثيوبيا، والذى دبرت الجماعة له زواجاً من فتاة أثيوبية تدعى «إيبايا» قبل عام

من «عملية الاغتيال» وأنجب منها، ثم سافرا سويا إلى السودان -حيث كان بحوزته جواز سفر باسم فيصل السودانى- ثم عاد ليشارك فى قتل مبارك، ليكون عمره حاليا ٤٨ عاماً، وتحاول عائلته «عتيق» فى أقصى الصعيد جاهدة فى الإتصال بمنظمات الهلال الأحمر وحقوق الإنسان الدولية لإيجاد أى معلومة حديثة عنه.

النادى، خريج الكهرباء الذي جاهد فى أفغانستان

وعن المعتقل الثانى فيدعى عبدالكريم النادى، مواليد قنا ١٩٦٨ بمدينة أرمنت، الوابورات، نجع دنجل وحاصل على دبلوم الثانوية الفنية تخصص كهرباء، وغير متزوج ، حيث كانت رحلته للجهاد متنقلاً بين السعودية وأفغانستان واليمن ثم أثيوبيا، وكان بحوزته جواز سفر يمني باسم ياسين، وانقطعت الإتصالات به منذ الحادث بعد أن تم القبض عليه بأثيوبيا وحكم عليه بالإعدام ثم تم تخفيف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة.

العربى، الأمى الذى سافر لقتل الطاغية، وثالث المتهمين يدعى «العربي صدقي» والذى ولد بمدينة مغاغة بمحافظة المنيا، ولا يحمل مؤهلاً دراسياً وكانت وظيفته عامل حر، وقد سافر إلى أفغانستان بنفس رحلات السعودية حيث كان يجاهد حاملاً اسماً مستعاراً وهو خليفة، ولا تزال أسرته حتى الأن فى المنيا لا تعرف عن ولدها شىء سوا أنه شارك بعملية اغتيال مبارك بأديس أبابا وتم القاء القبض عليه فى سجون أثيوبيا، فى محاولات غير يائسة منهم لعودة ابنهم بالتواصل مع الجماعة وحزب البناء والتنمية ومنظمات حقوق السجناء العالمية.

مزرعة الخرطوم.. مكان التدريب

وكانت تدريباتهم العسكرية مع العقل المدبر والمخطط للعملية مصطفى حمزة، فى معسكر بأفغانستان لمدة شهرين كاملين، ثم انتقلوا لاستكمال مخططهم فى مزرعة بالخرطوم والتى يملكها أحد السودانيين، وتم إبلاغهم بالقمة الأفريقية التى سيشارك بها مبارك فى تلك المزرعة، ومنها متسللين إلى أديس أبابا لتنفيذ الاغتيال.

محاولات فاشلة للبحث عنهم:

وبعد محاولات متكررة من قبل الجماعة الإسلامية وأسر الثلاثة المعتقلين بأديس أبابا لحث الخارجية على البحث عنهم فى سجون اثيوبيا ما جعلت الجماعة تصدر بيانا على لسان المتحدث الرسمى طارق الزمر، تطالب الرئيس المعزول محمد مرسى بالتدخل فى الأمر للسماح لأهالى المعتقلين بزيارتهم أو نقلهم لمصر لاستكمال محاكمتهم بها.

الجماعة تطالب البشير بالتدخل للبحث عن المتهمين:

ويذكر أن قيادات الجماعة الإسلامية قد أعلنت مؤخراً بأن وفداً منهم قد سافر إلى الخرطوم، لتوسيط الرئيس السودانى عمر البشير لدى أثيوبيا للإفراج عن زملائهم المعتقلين، لأنه كان فاتحاً ذراعيه لأسامة بن لادن وللجماعات الإسلامية حينذاك، في محاولة لاستثمار العلاقات القديمة مع التيارات الإسلامية.

اعترافات الذين شاركوا في محاولة الاغتيال في أديس أبابا:

بعد ثمانية أيام من فشل محاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك في أديس أبابا أثناء حضور افتتاحية قمة المنظمة الأفريقية أذاعت وكالات الأنباء خبر إعلان «الجماعة الإسلامية» في مصر مسئوليتها عن الحادث.

وقال بيان «الجماعة الاسلامية» أن منفذي العملية مجموعة كتائب طلعت ياسين همام مهندس العمليات الإرهابية الذي لقي مصرعه منذ شهور داخل شقة بحدائق القبة علي أيدي الشرطة المصرية.

وأشارت الجماعة في بيانها إلى قيامها بتنفيذ عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات في حادث المنصة عام ١٩٨١ وأن الجماعة لن تتوقف عن الجهاد حتى يتم الإفراج عن السجناء السياسيين والإسلاميين وإعادة الحريات ورفع الحصار عن المساجد و إلغاء الأحكام الصادرة عن المحاكم العسكرية بكل صورها.

كانت سلطات الأمن الأثيوبية قد تحركت فور وقوع الحادث وبدأت التحقيقات على الفور ومن خلال التعرف على شخصيات اثنين من منفذي الحادث، والذين سقطوا قتلى على أيدي حراس حسني مبارك.

وكان آخرون قد تمكنوا من الفرار من المكان عقب فشل محاولة الاغتيال وتمكنت أجهزة الأمن الأثيوبية من القبض على ثلاثة من الهاربين بعد معركة بالرصاص.

ورغم أن تحريات أجهزة الأمن المصرية قد طار عدد من رجالها إلي أديس أبابا والتعرف على شخصيات القتلى وشخصيات الهاربين المقبوض عليهم وملفات المعلومات المتوفرة عنهم في سجلات الأمن المصري.

إلا أن هذه التحريات أكدت أن المخطط الرئيسي لهذه المحاولة هو مصطفي حمزة أحد أبرز قيادات الجماعة الإسلامية في مصر وهو خريج كلية الزراعة واتهم في قضية الجهاد الكبرى عام ١٩٨١ وصدر الحكم بإدانته بالأشغال الشاقة ٧ سنوات.

وبعد خروج مصطفي حمزة من السجن هرب إلى أفغانستان وأعد مع بعض رفاقه مجموعة من العمليات المسلحة وصدر ضده حكما غيابيا بالإعدام عام ١٩٩٢ في قضايا السياحة والبنوك والعائدين من أفغانستان وتولي حمزة مسئولية الجماعة الإسلامية بعد حادث الأقصر ورفض مبادرة وقف العنف.

وقالت نفس التحريات أن مصطفي حمزة تمكن من السفر إلي السودان وأقام هناك وهو الذي وضع خطة اغتيال حسني مبارك في أديس أبابا وأرسل بعض مساعديه إلي العاصمة الأثيوبية قبل القمة الأفريقية للتعرف علي شوارعها وقيل أنه سافر بنفسه لإكمال هذه الدراسة على الطبيعة.

لكن قصة التفاصيل المثيرة للتخطيط لمحاولة الاغتيال وماذا حدث خلالها ومن هم الذين شاركوا فيها؟ كل ذلك وغيره لم يعرف إلا بعد القصة الأكثر إثارة لشريط فيديو يتضمن اعترافات الأشخاص الثلاثة الذين تم القبض عليهم في أديس أبابا وهو شريط الفيديو الذي يحمل عنوان «اغتيال رئيس» وكان بحوزة أحد ضباط الأمن الأثيوبيين والذي حقق مع المتهمين الثلاثة وتمكنت جريدة «الشرق الأوسط» السعودية من الحصول على هذا الشريط بعد مفاوضات مضنية وقيل أن هذا الشريط تم تصويره أصلاً لحساب المخابرات الأمريكية!

في شريط الفيديو.. كشف المتهمون الثلاثة عن أدق الأسرار.

وأكد الثلاثة أن أفغان بن لادن المصريين هم الذين صنعوا محاولة اغتيال مبارك في أديس أبابا وأن التخطيط والتدبير تم في العاصمة السودانية الخرطوم وأنهم استفادوا من التسهيلات التي أتاحتها وجود «الجبهة الإسلامية» في السودان التي يتزعمها الترابي.

وقال الثلاثة أنه تم تجنيدهم في الجماعة الإسلامية في مصر ومروا باختبارات للثقة قبل أن يتم ضمهم وكالعادة تم سفرهم لأداء العمرة ثم الانضمام إلي قوافل المقاتلين في معسكرات بن لادن لتلقي التدريب العسكري ثم عادوا عبر بيشاور ومنها

إلى السودان للاختفاء عن الأنظار في مزرعة بن لادن هناك حتى قبل أيام من تنفيذ أي عملية أو العودة إلي مصر عبر الدروب الصحراوية.

وتبين أن عملية أديس أبابا شارك فيها أحد عشر قيادياً من قيادات الجماعة الاسلامية قتل خمسة منهم هم عبد القدوس القاضي وكنيته «محمد» ومصطفي عبد العزيز محمد «تركي»، و شريف عبد الرحمن «عمر» وعبد الهادي مكاوي «حمزة» ومحمد عبد الراضي «ياسين» وهرب ثلاثة من مسرح الحادث بعد فشل المحاولة. مصطفي حمزة «إبراهيم» مسئول مجلس شوري «الجماعة الإسلامية» ونائبه عزت ياسين وكنيته «فتحي» والأخير كانت مسئوليته الاستطلاع وجمع المعلومات عن وصول موكب حسني مبارك واستخراج جوازات سفر سودانية ويمنية استخدمها أفراد المجموعة.

أما الهارب الثالث فكان حسين أحمد شميط وكنيته «سراج» واستخدم جواز سفر سوداني كما قال الأمن الأثيوبي في الهرب من أديس أبابا إلى السودان بعد فشل العملية وكان شميط هو المسئول عن تسليم الأسلحة والتي نقلت من الخرطوم إلي أديس أبابا في حقائب دبلوماسية مليئة بمدافع الكلاشنكوف والذخيرة وقاذفات «آر.بي.جي» وقنابل يدوية!

من كان المتهمون الثلاثة الذين جاءت اعترافاتهم في شريط الفيديو؟

الأول.. صفوت حسني عتيق.

وكان يحمل أكثر من اسم حركي مثل ربيع لكنه كان أيضاً يحمل جواز سفر سوداني باسم فيصل محمد وأنه من مواليد أسوان حيث درس بها ثم التحق بمعهد المعلمين وعمل مدرساً بالتعليم الابتدائي.

وكان صفوت أو فيصل قد تزوج قبل عام ونصف من فتاة أثيوبية تدعى «إيبايا سراج».

أما الثاني فكان.. عبد الكريم النادي عبد الراضي.

وكان يحمل جواز سفر يمني باسم حمزة عبد الكريم محمد من مواليد محافظة قنا وكانت كنيته «ياسين» وكان يحمل شهادة دبلوم الثانوية الفنية بأرمنت.

والثالث.. كان العربي صدقي حافظ محمد وكنيته «خليفة».

وهي الكنية التي اشتهر بها خلال وجوده في أفغانستان وقد ولد في مدينة مغاغة بالمنيا. حيث لا تزال أسرته تعيش هناك.

وبدأ الثلاثة في شريط الفيديو يكشفون عن أدق تفاصيل محاولتهم الفاشلة لاغتيال حسني مبارك.

وفي هذه الاعترافات روي صفوت عتيق أو «فيصل» رواية آخرى لقصة زواجه من الفتاة الأثيوبية «إيبابا». وقال أنه بعد أن سافر لأداء العمرة ذهب إلى أفغانستان. وهناك تلقي التدريبات العسكرية ثم سافر إلى السودان حيث قضى بعض الوقت مع عدد من أعضاء تنظيم الجماعة الإسلامية في مزرعة تبعد حوالي ٢٠ كيلومتراً من الخرطوم، في منطقة «سوبا».

وقال فيصل: سافرت إلي أثيوبيا بناء على توجيه من قبل القيادة على طائرة سودانية برفقة شخص يدعى فيصل لطفي «سراج» وكان لديه تعليمات من الجماعة لينفذها وكنت مكلفاً بإدارة محل لبيع قطع الغيار في أديس أبابا.

حتى أتمكن من التعرف على البلد واستطيع توفير كل المستلزمات التي يمكن أن تحتاج إليها عناصر الجماعة في أثيوبيا قبل استخراج جوازات السفر الأثيوبية وتأجير البيوت وتأمين الأسلحة!

وقال فيصل أنه علم بموضوع زواجه من الأثيوبية «إيبابا» فقط أثناء قيام المأذون بعقد القران وكان هذا تخطيطاً من قيادة الجماعة خاصة مصطفي حمزة ليكون هذا الزواج غطاء في أديس أبابا وكان مصطفى حمزة قد تعرف على أخت «إيبابا» في السودان.

وقال فيصل: كنت قد تركت مصر عام ١٩٩٠ إلى السعودية لأداء العمرة ومنها انتقلت إلى باكستان وفي المطار وجدنا سيارات تنتظرنا مع بعض الإخوة قادتنا إلي «بيت الأنصار» معسكر الجماعة في باكستان ومكثنا داخله ثلاثة أيام بعدها خرجنا بالسيارات إلى أفغانستان ثم تدربنا لمدة شهرين في معسكر «الفاروق» ثم عدت إلى بيت الأنصار مرة ثانية.

وأضاف فيصل: وبعد انتهاء الجهاد في أفغانستان بدأت عمليات القبض على العرب. الذين لا يحملون تصاريح إقامة وكنت واحداً منهم وقبل القبض علي بأيام قابلت مصطفي حمزة وسألته إذا كان صحيحاً أن القادمين من مصر والمسجلة بجوازات سفرهم تأشيرة باكستان ممنوعون من دخول مصر فأجابني بنعم ولكن بعد ضبطي تدخلت رابطة العالم الإسلامي وتكفلت بحجز تذاكر سفر للعرب. الذين يريدون السفر لأي دولة وتوجهت إلى السودان وحجزت تذكرة الطائرة من باكستان إلى كينيا ومنها إلى الخرطوم حيث قابلت مصطفي حمزة وأصبحت عضواً مهماً في تنظيم جماعته.

لكن أخطر ما جاء في اعترافات فيصل كان قوله: عندما قررت الجماعة الإسلامية في مصر اغتيال الرئيس حسني مبارك، عرضت اللجنة المختصة بالجماعة الفكرة على الجبهة الإسلامية بالسودان وعلى الحكومة السودانية وجهاز الأمن فرحبوا بالفكرة ووجدنا منهم دعماً تمثل في توفير الأسلحة وإعطاء غطاء أمن والتمويل لإيجار البيوت ومن أجل هذا كله نحن شاكرون لهم وأكرر مرة آخري أن مساعدة الجبهة لنا كانت في توفير الأسلحة. ولكن العملية تمت بأفراد الجماعة الإسلامية فقط!

وعن توزيع أفراد المجموعة المشاركة في محاولة الاغتيال.

قال فيصل: حين دخلت أثيوبيا كان معي الأخ فتحي واسمه الحقيقي حسين شميط، وكان قد أحضر السلاح في حقيبة دخلت عن طريق المطار ودون أن يحدث لها أي تفتيش لانها جاءت بالطريق الدبلوماسي من السودان، وحدثني الأخ فتحي

عـن كل هـذا الـكلام ومسـاعدة الجبهـة لنـا بالسـلاح أمـا أنـا فقـد كان دوري اسـتخراج الأسـلحة والاحتفـاظ بهـا وعـدم تعريضهـا للضيـاع كمـا كلفـت أيضـاً بشـراء سـلاحين آليـين كلاشـينكوف.

وأضـاف: وكانـت مهمتـي الأخـري تأجيـر منـزل للإخـوة وأن تكـون الأسـلحة جاهـزة وكاملـة عندمـا يأتـي المسـئول ليتسـلمها.

وكان هذا المسئول هو الأخ عمر واسمه شريف عبد الرحمن.

الـذي طلـب منـي قبـل الحـادث أن أحضـر جـواز سـفر أثيوبـي لـلأخ خليفـة الـذي كان معهـم لكنـى فشـلت.

وفي نفـس اليـوم تحدثـت مـع عمـر في الهاتـف مـن الشـقة التـي سـبق أن اسـتأجرتها لهـم بعـد أن سـمعت في التليفزيـون أخبـار فشـل محاولـة الاغتيـال وعلمـت بإصابـة اثنـين مـن الإخـوة وهمـا إيهـاب وحمـزة وقـد قتـلا مـع عمـر في معركـة مسـاء اليـوم التالـي للعمليـة.

أمـا ياسـين فقـد اعتـرف قائـلاً: تلقيـت التدريـب العسـكري في أفغانسـتان لمـدة شـهرين والتقيـت بمصطفـى حمـزة هنـاك وبعـد أن أقنعنـي بالانضمـام إلـى جماعتـه أمرنـي بالتوجـه إلـى السـودان في نفـس المزرعـة التـي ذهـب إليهـا فيصـل وكان معـي شـخص آخـر هـو إيهـاب قـادم أيضـاً بتعليمـات مـن مصطفـى حمـزة.

واسـتقبلنا في مطـار الخرطـوم شـخص مصـري اسـمه عثمـان نقلنـا إلـي بيتـه في الخرطـوم بالقـرب مـن شـارع الحريـة وبعـد ذلـك نقلنـا إلـى مزرعـة في أطـراف الخرطـوم في منطقـة «سـوبا» نعمـل مـع عضويـن في تنظيـم الجماعـة الإسـلامية كانـا يعمـلان في المزرعـة.

وأضـاف ياسـين: وهـذه المزرعـة مسـاحتها حوالـي ٤٢ فدانـاً وكان يأتينـا بشـكل دائـم شـخص سـوداني اسـمه مدثـر وآخـر اسـمه هيثـم كان مدثـر هـو المشـرف علـى المزرعـة ويقـوم بحـل مشـاكلها وكان لـه صـلات قويـة وعلمـت مـن شـخص اسـمه إبراهيـم بأننـا سـوف نتوجـه إلـي أثيوبيـا لأن المصـري قـد يزورهـا حيـث مقـر منظمـة الوحـدة الأفريقيـة.

ثم سافرت إلى أثيوبيا مع إيهاب علي متن طائرة الخطوط الجوية الأثيوبية وقضينا في أديس أبابا ١٥ يوماً واطلعنا على الوضع ثم طلب منا العودة إلى السودان بالسيارة التي وفرها لنا فتحي حسين أحمد شميط، الذي قيل أنه غادر أديس أبابا إلي الخرطوم بعد ساعات قليلة من فشل محاولة الاغتيال على الخطوط الجوية السودانية.

وكان الغرض من سفرنا بالسيارة إلى «غندر» ثم إلي السودان استكمالاً للدراسة التي قمنا بها للمنطقة ولأنه طلب منا معرفة الزمن الذي تستغرقه السيارة حتى تدخل الحدود السودانية. وكيفية الخروج من أثيوبيا خفية وبالفعل تمكنا من اجتياز الحدود عبر منطقة «المتمة» ثم إلى القضارف فالخرطوم.

وعندما وصلنا الخرطوم قمنا بتسليم تقرير عن الرحلة إلى هيثم وبعد فترة أبلغنا عزت نائب مصطفي حمزة بأننا سوف نعود إلى أثيوبيا مرة آخرى وأعطانا جوازين للسفر وتذكرتين وقال لنا أن عمر سوف ينتظرنا في أديس أبابا.

وأكد ياسين في اعترافه:

الخطة كانت من وضع عدد من كبار أعضاء الجماعة الإسلامية لكن مصطفى حمزة هو الذي كان يقوم بالتنسيق وبعمليات توفير الأمن والسلاح وكل الاحتياجات الأخري.

ومضي ياسين يكشف أسرار ما حدث قائلاً: بناء على المسح الذي أجري لشارع المطار. استقر تفكير «عمر» شريف عبد الرحمن قائد عملية أديس أبابا على تنفيذ العملية بالقرب من مطار أديس أبابا ولم يكشف عن هذه الخطة إلا في الليلة التي سبقت التنفيذ!

ويوم ٢٥ يونيو ١٩٩٥ اصطحبني عمر مع إيهاب إلى منزل «أتومريسا» وكان هناك فتحي وخليفة وحمزة ومحمد وتحدث عمر في هذا الاجتماع عن الخطة وكيفية تنفيذها ودور كل فرد في المجموعة، وبدأ عمر بنفسه وقال أنه سوف يحمل الحقيبة ويشرف على تنفيذ العملية من مكان قريب من الطريق الأسفلتي الذي سوف يمر

بـه موكـب مبـارك وفي حالـة إصابتـه سـوف أبتعـد عنـه أمـا مهمتـي فكانـت الاسـتعداد بالسـيارة التـي تحمـل السـلاح «آر.بي.جي» ورشاشـات أخـري وهـذه السـيارة كان مفروضـاً أنهـا تسـتخدم في الهـروب!

وقـال ياسـين كانـت مهمـة سـراج وخليفـة المراقبـة بالمنظـار في موقـع متقـدم لإعطـاء إشـارة عـن مـرور الموكـب وكانـت مهمـة إيهـاب ومحمـد المبـادرة بإغـلاق الطريـق الرئيسـي وكان دور تركـي وحمـزة اسـتخدام رشاشـات الكلاشـينكوف أثنـاء اعتـراض سـيارة أيهـاب ومحمـد لسـيارة مبـارك لشـغل رجـال الأمـن.

مذبحة الأقصر..

في حوالـي السـاعة ١٢ صبـاح يـوم ١٧ نوفمبـر ١٩٩٧ هاجـم سـتة رجـال مسـلحين بأسـلحة ناريـة وسـكاكين -حيـث كانـوا متنكريـن في زي رجـال أمـن- مجموعـة مـن السـياح كانـوا في معبـد حتشبسـوت بالديـر البحـري، وقتلـوا ٥٨ سـائحاً في خـلال ٤٥ دقيقـة.

ثـم حـاول المهاجمـون الاسـتيلاء علـى حافلـة لكنهـم لـم يتمكنـوا مـن ذلـك، وتـم العثـور عليهـم بعـد ذلـك مقتولـين داخـل إحـدى المغـارات وكان التقريـر الرسـمي يدعـي أنهـم يئسـوا مـن المقاومـة وقـرروا الانتحـار.

وتـرك هـذا الحـادث أثـاراً سـلبية أثـرت علـى السـياحة في مصـر، أُقيـل علـى إثرهـا وزيـر الداخليـة في ذلـك الوقـت اللـواء حسـن الألفـي.

ونستعرض ٩ معلومات تروي تفاصيل هذا الحادث الأليم.

١- وقـع في ١٧ نوفمبـر ١٩٩٧ في الديـر البحـري في محافظـة الأقصـر، أسـفر عـن مصـرع ٥٨ سـائحاً.

٢ - تمثـل الحـادث في هجـوم سـتة رجـال مسـلحين بأسـلحة ناريـة وسـكاكين، متنكريـن في زي رجـال أمـن، علـى مجموعـة مـن السـياح كانـوا في معبـد حتشبسـوت بالديـر البحـري، وقتلـوا ٥٨ سـائحاً في خـلال ٤٥ دقيقـة فقـط.

٣ – أعلن رفاعي طه القيادي في الجماعة الإسلامية، مسؤوليته عن الحادث في بيان بثته وكالات الأنباء العالمية، ولكن تصدى له أسامة رشدي الذي كان يقوم وقتها بمهمة الناطق الإعلامي للجماعة، حيث أصدر بيان نفى فيه صلة الجماعة الإسلامية بالحادث.

٤ – بلغ مجموع القتلى ٥٨ سائحاً أجنبياً، مقسمين بين ستة وثلاثون سويسرياً وعشرة يابانيين، وستة بريطانيين وأربعة ألمان، وفرنسي وكولومبي، بالإضافة إلى قتل أربعة من المواطنين ثلاثة منهم من رجال الشرطة والرابع كان مرشداً سياحياً، وكان من القتلى طفلة بريطانية تبلغ ٥ سنوات. بالإضافة إلى ١٢ سويسرياً، تسعة مصريون، يابانيان، ألمانيان، وفرنسي أصيبوا بجروح.

٥ – أثرت المذبحة على العلاقات السياسية بين مصر وسويسرا، بسبب رفض مصر مطالب سويسرا بالحصول على تعويضات.

٦ – أقال الرئيس المصري السابق حسني مبارك وقتها بعد المذبحة وزير الداخلية حسن الألفي، وتم تعيين حبيب العادلي بدلاً منه.

٧ – حث الرئيس مبارك وزير الخارجية البريطاني، في ذلك الوقت «جاك سترو»، على ضرورة اتخاذ أي إجراء ضد قيادات من الجماعة الإسلامية التي لجأت إلى بريطانيا عقب مذبحة الأقصر.

٨ – كانت المذبحة هي آخر عمل مسلح قام به أفراد من تنظيم الجماعة الإسلامية، وبعده أعلن التنظيم رسمياً مبادرة وقف العنف، ثم تلاها المراجعات الفقهية للجماعة، والتي كانت سبباً في خروج نحو ١٦ ألف عضو من المعتقلات والسجون في أكبر مصالحة بين الدولة والجماعات الإسلامية.

٩ – استخدم المتشددون أسلحة روسية الصنع في الحادث، سرقت على الأرجح أثناء هجمات شنها المتشددون على مراكز الشرطة في مصر، كما سرق مسدسان من قوات الأمن في المعبد.

تفجيرات طابا ٢٠٠٤..

تفجيرات طابا التي أودت بحياة ما لا يقل عن ٣٤ شخصاً وإصابة أكثر من ١٥٠ بجراح أغلبهم إسرائيليين، في منتجعين سياحيين في شبه جزيرة سيناء المصرية قرب الحدود مع إسرائيل في التاسع من أكتوبر.

التفجيرات..

وقع أول الانفجارات قرابة الساعة ٢١:٤٥ من ليلة الخميس/الجمعة، في فندق هيلتون طابا، حيث انفجرت سيارة مفخخة قرب واجهة الفندق. وأصيب نحو ١٤٠ من نزلاء الفندق في الانفجار، غالبيتهم بصورة طفيفة، وتم نقل ٩٠ منهم إلى مستشفى «يوسيفتال» في إيلات الذي أعلن عن حالة طوارئ قصوى. وقال شهود عيان، وبيان لوزارة الداخلية المصرية أنه شوهدت سيارة متفحمة أمام الفندق، ما يؤكد تفجير سيارة مفخخة. وتواجد في فندق هيلتون طابا وقت الإنفجار ٢٨٠ من النزلاء وطاقم الفندق، منهم ١٢٠ مصريًا والبقية من جنسيات أخرى، غالبيتم من إسرائيل.

المسؤولية..

أعلنت الجماعة التي تطلق على نفسها (كتائب التوحيد الإسلامية) مسؤوليتها عن العمليات في بيان نشرته في منتدى «الإصلاح» على الأنترنت، وهو منتدى كثيراً ما يستخدمه المتشددون الإسلاميون، وقال البيان: «قام أربعة من إخوانكم الاستشهاديين بتنفيذ هذه العملية البطولية.. على الرغم من الإجراءات الأمنية المشددة، وقاموا باختراق وكر من أوكار الدعارة والفساد وقتلوا المئات من العلوج.» وقالت الجماعة إنها شنت الهجوم للثأر للشيخ أحمد ياسين زعيم حركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس) الذي اغتالته إسرائيل في آذار الماضي. وتوعدت بأنه «ما هو إلا أول طلقة مباشرة في وجه اليهود حيث أن ضرباتنا لن تتوقف حتى إخراج هؤلاء الكفار من أرض الإسلام.»

رد فعل إسرائيل

هاتف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، آرئيل شارون الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك وطالبه بفتح الحدود الإسرائيلية المصرية فوراً لعبور قوات الإنقاذ الإسرائيلية إلى طابا. نقلت القناة التلفزيونية العاشرة عن مصدر في الحكومة الإسرائيلية قوله أنه «لا يمكن اتهام المصريين بعدم التعاون». إلى ذلك نقل التلفزيون الإسرائيلي الرسمي (القناة الأولى) صوراً من نقطة الحدود المصرية الإسرائيلية يظهر فيها دخول قوات من الجيش الإسرائيلي، تبدو إنها وحدات إنقاذ إسرائيلية، إلى الأراضي المصرية.

رأس الشيطان..

ثم حدث انفجاران بمنطقة رأس الشيطان، ومنطقة نويبع القريبة من طابا نتج عنهما إصابة ٤٠ شخصاً نحو الساعة ٣٠: ٢٣، أي بعد نحو ساعتين، وإنه قتل هناك سبعة أشخاص، معظمهم من المصريين واثنان آخران يحملان الجنسية الإسرائيلية.

تفجيرات شرم الشيخ

في ٢٣ تموز/يوليو ٢٠٠٥ استقل انتحاريان سيارتين فخخت كل منهما بعبوات غاز بينما كانت السيارة الثالثة تقل كيساً ممتلئا بقنابل يدوية الصنع، وقد اقتحم احد الانتحاريين بسيارته فندق غزالة غاردنز بينما فجر الثاني العبوات في سوق البلدة القديمة وقام الثالث بتفجير نفسه في موقف للسيارات.

وأسفرت الاعتداءات عن سقوط سبعين قتيلاً بينهم سياح أجانب.

وذكرت مصادر أمنية السبت ٣-٩-٢٠٠٥ أن الانتحاريين الثلاثة الذين نفذوا اعتداءات شرم الشيخ كانوا من البدو وأعضاء في خلية إسلامية أُعتقل زعيمها.

وقالت هذه المصادر أنه تم التعرف على محمود محمد حماد ومحمد عودة سعيد وموسى غنيم بواسطة تحليل الحمض النووي الريبي، واعترافات ٢٩ مشبوهاً أوقفوا في إطار التحقيق.

وقالت المصادر الأمنية أن أجهزة الأمن تأكدت من أن الخلية الإرهابية ليس لها أي ارتباطات بتنظيمات في الخارج، موضحة أن زعيم الخلية وهو إسلامي اعتقل بدون أن تذكر اسمه.

التشابه والإختلاف

إن أسلوب تنفيذ التفجيرات التي وقعت بمدينة دهب تؤكد التشابه بينها وبين تفجيرات طابا وشرم الشيخ من عدة جهات حيث اعتمد منفذو التفجيرات الثلاث على تفجير ثلاثة مواقع في وقت واحد واستهداف مناطق مزدحمة بالسائحين ومعروف عنها ارتياد سياح إسرائيليين لها.

وإن الاختلاف الوحيد هو طريقة التفجير التي كانت في التفجيرين الماضيين تتمثل في استخدام سيارات ملغومة بداخلها انتحاريين، بينما تمت هذه المرة عن طريق متفجرات موجهة يتم تفجيرها عن بعد.

وأحدثت التفجيرات لغطاً شديداً حول قدرة الخدمات الطبية القائمة بمدينة دهب وهي مدينة سياحية مهمة تبعد عن شرم الشيخ مائة كيلو متر تقريبا، وزاد الأمور تعقيداً إعلان تحويل جميع المصابين إلى مستشفى شرم الشيخ الدولي والاستعانة بفرق طبية متخصصة تحركت بطائرة خاصة من مطار القاهرة للمساعدة في عمليات العلاج.

وعندما تكون المفارقات بهذه الحدة، يكون الاستنتاج الأساسي كالتالي: هنالك تنظيم بارد جداً وواثق من نفسه يستطيع القيام بعملياته في الوقت الذي يريد، وبالتالي هنالك عناصر تمتلك من القدرة والوقت ما يتيح لها التخطيط لشن عمليات في أوقات محددة عادة ما يحتفل بها الناس كالمناسبات القومية، ليكون تأثير العملية بحكم وقوعها في مثل هذا التوقيت عنيف وقوي للغاية على نفسية الناس.

وقد أثار الهجوم أيضاً لدى المصريين فكرة المؤامرة إلى حد كبير، وبدا وكأن هنالك من يستهدف مصر في الخارج في مناسباتها القومية، مما دفع بعض المحللين

إلى الحديث عن ايد خارجية معينة في الجوار، لكن ربما كان الناس أميل لتصديق مثل هذه الأمور في المرة الأولى ربما الثانية، أما المرة الثالثة فلم يعد أحد يصدق مثل هذه التخمينات، وأصبحت المسائل تُفهم في نطاقها الصحيح، أي أن هناك جماعة في الداخل في سيناء تقوم بتوجيه رسالة قوية جدا، وتختار التوقيت المناسب لكي تؤتي هذه الرسالة تأثيرها الفعلي.

عندما تحدث عمليات في سيناء، إما أن تكون سيناء مستهدفة من الخارج، لأن هنالك من يستهدف هذه المنطقة تحديداً بحكم أهميتها السياحية والاستراتيجية، أو يكون هناك تنظيم في سيناء هو الذي ينفذ الهجوم. المسألة واضحة تماماً. فمن الصعب تصور أن يكون هناك من يستهدف سيناء من الخارج، ربما هنالك مستفيدون مما يحدث بشكل من الأشكال بحكم تأثر السياحة في مثل هذه الأحوال.

وربما تحمل العملية نفسها بصمات القاعدة، فهي عملية ثلاثية تتم في منطقة مكتظة بالناس وتهدف إلى قتل أكبر عدد من البشر. ولكن كل العمليات تحمل في كل منطقة بصمات القاعدة دون أن يعني ذلك أن يكون هنالك ارتباط تنظيمي بها.

وقد تكون المسألة داخلية في مصر ترتبط بتنظيم من أبناء سيناء أو من غيرهم، لكن لا تتم مثل هذه العمليات في الخارج رغم أن هناك بعد خارجي (تخطيط « تمويل» تسليح) لكل عملية إرهابية تحدث في أي مكان. لأنه يمكن فهم تلك العمليات بأكثر من وجه و المسألة كلها تبدأ وتنتهي في الداخل.

وإن ما حدث في ذهب له علاقة بما حدث في شرم الشيخ وما حدث قبله في طابا. إما أن يكون هنالك تنظيم يستكمل مهامه، أو رد فعل انتقامي من جانب عناصر من سيناء لما حدث لهم على يد أجهزة الأمن من قبل، واختاروا التوقيت الذي يؤلم الناس أكثر.

لقد أصبح مفهوماً من العمليتين السابقتين إن أي عملية تتم في سيناء سوف تسقط عدداً كبيراً من القتلى المصريين تحديداً، لأن السياحة الداخلية كانت نشيطة

للغاية، في تلك الفترة فهنالك أعداد كبيرة من المصريين تتوافد على سيناء وإلى منطقة دهب تحديداً، لأنها ليست من المناطق المرتفعة التكاليف بالنسبة للمصريين كما هو الحال في شرم الشيخ وطابا. وتتم تلك العمليات في الأسواق الشعبية عادة، وبالتالي يلقي عدد كبير من العاملين في المتاجر حتفهم.

وأثار هذا الانتباه إلى أن القصة ليست قتل أجانب فحسب بل هي أرواح تسقط في النهاية، سواء كانت أجنبية أو مصرية، وبدأ الاهتمام بسقوط الضحايا المصريين أيضا، وأصبحت العملية تتخذ طابعا سيئاً جداً بالنسبة للمصريين أنفسهم.

تفجيرات الكنائس:

تفجير الإسكندرية ٢٠١١ أو تفجير كنيسة القديسين..

عملية إرهابية حدثت فى مدينة الإسكندرية، وسط الاحتفالات بليلة رأس السنة. بعد حلول السنة الجديدة بعشرين دقيقة، حدث انفجار أمام كنيسة القديسين فى منطقة سيدى بشر. و أسفرت العملية الإرهابية عن وقوع ٢١ قتيلاً و حوالى ٩٧ مصاباً.

وتعتبر أول عملية إرهابية بهذا الأسلوب فى تاريخ مصر.

قبل العملية بفترة قام تنظيم القاعدة باستهداف كنيسة في بغداد وهدد الكنائس فى مصر بالتفجير إذا لم يتم الإفراج عن سيدات مسيحيات أسلمن -طبقا لرواية القاعدة.

وتحريض المسلمين على التعصب الديني وقبل التفجير بأسبوعين نُشرت على وسائل التواصل الاجتماعى السلفية المتطرفة دعوة لتفجير الكنائس فى مصر، بل ذكرت عناوين عدة كنائس منها كنيسة القديسين وطرق وأساليب صنع المتفجرات. وقد أصابت هذه العملية مصر والعالم بصدمة كبيرة.

نتائج التحقيقات

فى ٢٣ يناير ٢٠١١ أعلنت سلطات التحقيق المصرية إن العملية الإرهابية التى تمت فى كنيسة القديسين من تدبير منظمة جيش الإسلام الفلسطيني وهي منظمة

فلسطينية مقرها غزة، وأن الإرهابى الذي دبر العملية فى مصر مصرى متطرف اسمه «احمد لطفى ابراهيم» من مواليد ١٩٨٤ من الإسكندرية ومرتبط بالتنظيم الفلسطينى حيث اقتنع بفكر التنظيم عن طريق مواقع على الإنترنت وكان قد سافر إلى غزة سنة ٢٠٠٨ والتقى أعضاء التنظيم الذين اقنعوه بأن الاعتداء على كنائس ومعابد المسيحيين واليهود جهاد، وعندما عاد إلى مصر استمر فى الإتصال مع التنظيم الفلسطيني.

وفى سنة ٢٠١٠ كلفه التنظيم برصد دور العبادة المسيحية واليهودية، تمهيداً لتنفيذ عملية إرهابية ضدها. في أكتوبر٢٠١١ أبلغ التنظيم عن طريق الإنترنت بإمكانية تنفيذ عملية ضد كنيسة القديسين أو كنيسة مكسيموس في حى سيدى بشر في الأسكندرية بالقرب من مسكنه، وكذلك معبداً يهودياً فى المنشية، وأرسل صوراً لكنيسة القديسين للتنظيم، فكلفه التنظيم بأن يستأجر شقة لإقامة منفذى العملية وكذلك استئجار سيارة لاستخدامها في عملية التفجير، لكنه اقترح عليهم تنفيذ العملية بالإسلوب الانتحارى وغادر مصر لإجراء جراحة في أذنه.

فى ديسمبر ٢٠١١ أبلغه التنظيم أنهم دفعوا بعناصر لتنفيذ العملية وبعد ما تمت العملية واستشهد عشرات من الأبرياء في الكنيسة هنأه مسئول من تنظيم جيش الإسلام الفلسطينى بنجاح العملية وشكروه على دوره. وكان قد سبق اتهام تنظيم جيش الإسلام الفلسطينى بمشاركته فى التفجيرات الإرهابية في سيناء سنة ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧.

تفجير الكنيسة البطرسية..

تفجير كاتدرائية القديس مرقس بالقاهرة وقع يوم الأحد ١١ ديسمبر ٢٠١٦، قُتل على إثره ٢٩ شخصاً وأصيب ٣١١ آخرون في الكاتدرائية المرقسية في العباسية بمدينة القاهرة، بسبب عبوة ناسفة تزن ١٢ كيلوغراماً. تعتبر هذه هي المرة الأولى التى يتم فيها تفجير هذه الكنيسة.

تبنى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) مسؤوليته عن التفجير، وقال التنظيم أن التفجير تم بحزام ناسف ارتداه أبو عبدالله المصري. منفذ العملية شاب مصري يدعى محمود شفيق محمد مصطفى ويكنى بأبو دجانة الكنانى الذى يبلغ من العمر ٢٢ سنة.

البابا تواضروس وتفجير كنيسة طنطا..

سطرت الجماعات الإرهابية الموالية لتنظيم الإخوان، مرحلة جديدة من تصعيد العنف الذي يستهدف إسقاط الدولة المصرية، بتفجير الكنيسة المرقسية بمحافظة الإسكندرية، وكنيسة مارجرجس بمدينة طنطا وخاصة مع زيادة عدد الشهداء إلى أكثر من ٦٣ شهيداً وأكثر من ١٠٠ مصاباً.

المدقق فى تفجيرات الكنائس، يجد خيوط عديدة تكشف أوجه التشابه مع عملية تفجير الكنيسة البطرسية، التي شهدتها محافظة القاهرة فى ١١ ديسمبر ٢٠١٦، لتؤكد على ارتباط الأحداث بجهة واحدة خططت ومولت ونفذت.

الفارق الزمني والمكاني بين العمليات الثلاثة، لا يشير إلا إلى توحيد الأهداف التي يسعى الإرهابيون للوصول إليها من وراء تفجيراتهم، أهداف تربط جميعها تنظيم الإخوان بالخلايا الإرهابية التابعة لـ«داعش» بدافع المصلحة.

وجه التشابه في العمليات نجده في الشكل والمضمون والأهداف، فمن حيث الشكل تم تنفيذ التفجيرات عن طريق عناصر انتحارية تسللت إلى قلب الكنائس، ليس لهدف إلا زيادة عدد الخسائر فى الأرواح بخلاف العمليات المعتادة التى تستهدف المنشآت من الخارج أو قوات الأمن.

من حيث المضمون، تمثل العمليات الثلاثة ضربة نوعية استهدفت قلب الأمن المصري والكنيسة معا، باعتبار أن العملية الأولى استهدفت الكاتدرائية مقر البابا تواضروس، الواقعة فى قلب العاصمة المصرية. التحقيقات القضائية فى تفجير الكنيسة البطرسية، كشفت عن الخيط الرابط بين الإخوان والعملية، رغم تنفيذها من قبل انتحارى تابع لتنظيم «داعش»، إذ تبين أن العناصر التى شاركت فى التخطيط من بينها مسئول تأمين مظاهرات الإخوان بعدة مناطق فى محافظة القاهرة.

رغم الفارق الزمنى تكرر المشهد بعد أقل من ساعتين فى نفس اليوم فى مدينة طنطا بمحافظة الغربية، بتفجير انتحاري داخل كنيسة مارجرجس أودى بحياة ٢٧ شخصاً، وبهذا أعلن الإرهابيون أن نطاق عملياتهم اتسع ليشمل المدنيين بدلا من المنشآت الحيوية وقوات الأمن كما اعتادوا فى السابق. لم تمر ساعتين حتى فوجئ المصريون بتفجير انتحارى جديد استهدف الكنيسة المرقسية بمحافظة الإسكندرية، أثناء تواجد البابا تواضروس بداخلها.

حيث حاول الانتحارى التسلل للداخل محاولاً الوصول إلى رأس الكنيسة الأرثوذكسية لولا يقظة رجال الشرطة، وهذا يمثل تصعيداً أخطر فى مرحلة زمنية لها دلالتها.

وأكد بيان وزارة الداخلية أنه تم فحص وتفريغ كاميرات المراقبة بموقع الحادثين، وجمع التحريات والمعلومات ذات الصلة، وتتبع خطوط سير العنصرين الانتحاريين منفذى الحادثين، وملاحقة العناصر الهاربة على ذمة بعض القضايا الإرهابية مؤخرًا لفحص صلتها بالحادثين.

وباستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة، وفحص مقاطع الفيديو الخاصة بالحادثين ومضاهاة البصمة الوراثية لأشلاء الانتحاريين التى عُثر عليها بمسرح الحادثين مع البصمة الوراثية لأهلية العناصر الهاربة من التحركات السابقة والمشتبه بهم. أمكن التوصل لتحديد منفذ حادث التعدى على الكنيسة المرقسية بالإسكندرية وتبين أنه المدعو محمود حسن مبارك عبدالله (مواليد ١٩٨٦/٩/٢٨ بقنا يقيم بحى السلام بمنطقة فيصل بمحافظة السويس «عامل بإحدى شركات البترول) والمطلوب ضبطه وإحضاره فى القضية رقم ٢٠١٦/١٠٤٠ حصر أمن دولة.

وتبين ارتباطه بإحدى البؤر الإرهابية التى يتولى مسئوليتها الهارب عمرو سعد عباس إبراهيم (مواليد ١٩٨٥/١١/١٨ بقنا ويقيم في الأشراف البحرية» حاصل على دبلوم فنى صناعى- زوج شقيقة الانتحارى منفذ العملية) الذى اضطلع بتكوين عدة

خلايا عنقودية يعتنق عناصرها الأفكار التكفيرية الإرهابية، فضلاً عن قناعة بعضهم بالأسلوب الانتحارى لاستهداف مقومات الدولة ومنشآتها وأجهزتها الأمنية ودور العبادة المسيحية.

وسبق لإحدى خلايا هذه البؤرة ارتكاب حادث تفجير الكنيسة البطرسية الأرثوذكسية بالعباسية بواسطة انتحارى ونجحت الجهود الأمنية فى ضبط المتورطين بالحادث.

دلالات تفجيرات اليوم لم تختلف كثيراً عن الأمس، إذ تتمثل فى كونها رسالة من جماعات الدم تستهدف إيهام الرأى الخارجى باضطراب الأوضاع الأمنية فى مصر، خاصة بعد زيارة الرئيس السيسى إلى أمريكا، وعلى المستوى الداخلى تسعى لتخفيف الضغط على العناصر الإرهابية فى سيناء بسبب النجاح الذي حققته القوات المسلحة بالتعاون مع الشرطة فى تطهير بؤر التكفيريين.

بعيداً عن أشلاء الشهداء، ومشاهد الدماء التي غطت السعف الأخضر. وبعيداً عن المواكب الجنائزية التي أبكت عيون المصريين -مسيحيين ومسلمين- وأدمت قلوبهم، وبعيداً عن تفاصيل حادثي تفجير كنيستي مارى جرجس بطنطا، والمرقسية بالإسكندرية، والذين خلفا ما يزيد على ٤٤ شهيداً، وأكثر من ١٢٠ مصاباً. تبرز عدة تساؤلات أهمها: من يقف وراء هذين العملين الخسيسين؟ وهل هناك تقصير أمني يستوجب المحاسبة؟ وما تفاصيل خطة تأمين البابا والكنائس قبل وبعد الحادثين؟ إجابة هذه التساؤلات وغيرها في السطور التالية.

في البداية كشف مصدر خاص عن أن تفجير كنيستى «طنطا والإسكندرية» جاء في إطار مخطط إجرامى وضعته عناصر إرهابية متطرفة مرتبطة بتنظيم «داعش» الإرهابى، يستهدف نحو ٨ كنائس في عدة محافظات منها المنوفية والبحيرة وكفر الشيخ والقاهرة والإسكندرية والدقهلية، بالتزامن مع احتفالات المصريين بعيد القيامة المجيد، وهو المخطط الذي تم وضعه بالتنسيق مع جهات أجنبية، بغرض إحراج الدولة المصرية..

رصدت الأجهزة المختصة هذا المخطط، وعلى الفور تم التنسيق بين قطاعات الأمن الوطنى والمباحث الجنائية والأمن العام والأمن المركزى، واستهدف رجال الشرطة وكراً في مدينة السادات بمحافظة المنوفية، كان الإرهابيون يتجمعون فيه ويصنعون المواد المتفجرة، والأحزمة الناسفة تمهيدا لاستهداف الكنائس، وضبطت كميات كبيرة من العبوات الجاهزة للتفجير والدوائر الكهربائية المستخدمة فيها، كما تمت مداهمة وكراً آخر في محافظة البحيرة وتصفية اثنين من العناصر الإرهابية شديدة الخطورة.

هذه الضربات الاستباقية، إلى جانب الضربات القاسية التي تلقاها تنظيم بيت المقدس مؤخراً في سيناء، أحبطت مخطط التنظيم الإرهابى، فقرر بعض المنتمين إليه تنفيذ عمليات إرهابية بشكل منفرد «على طريقة الذئاب المنفردة» دون الانتظار لاحتفالات عيد القيامة، والاعتماد على الانتحاريين بدلاً من زرع العبوات المتفجرة داخل الكنائس، ووقع الاختيار على كنيسة مارى جرجس في طنطا، لتنفيذ العملية الأولى، والتي تمكن فيها انتحارى من التسلل إلى محيط الكنيسة وفجر نفسه بحزام ناسف.

أما اختيار الكنيسة المرقسية في الإسكندرية، فقد جاء نظراً لتواجد البابا تواضروس للصلاة فيها بمناسبة «أحد السعف»، ومن ثم من الممكن استهدافه، فضلا عن تواجد عدد كبير من المسيحيين في الكنيسة للاستماع لعظة البابا، أي إن التفجير سيوقع عدداً كبيراً من الضحايا في كل الأحوال. وبحسب المصدر، فإن المخطط الإجرامى، اشتركت فيه أجهزة مخابرات دولية، وقدمت الدعم المادى واللوجيستي له، وسهلت دخول المواد شديدة الانفجار سواء من الـ «TNT»، أو «٤C»

وفي إجابته عن سؤال حول التقصير في تأمين الكنيستين قال المصدر: «الأخطاء واردة في كل الأحوال، وعندما يكون حجم التهديد كبيراً، والمخططات تحاك على أعلى المستويات المخابراتية، فمن الطبيعى أن تحدث الأخطاء، كما أن التعامل مع الانتحارى من أصعب المهام والتحديات التي تواجه رجال الشرطة على مستوى العالم وليس في مصر فقط، لأنه شخص يسعى إلى الموت ولا يحرص على حياته، ويكفى تواجده

فقط في المكان المستهدف كى يحقق هدفه. بمعنى أن القوة المكلفة بتأمين الكنيسة لو أوقفته وألقت القبض عليه، وفجر نفسه بين أيديهم فإنه من المؤكد سيوقع عدداً من الضحايا، لذلك فإنه من الضرورى تطوير آليات البحث الجنائى، ورفع كفاءة أجهزة جمع المعلومات في وزارة الداخلية خصوصا «الأمن الوطنى»، بهدف توجيه ضربات استباقية للعناصر الإرهابية في أوكارها، وقبل أن تتحرك صوب أي أماكن مهمة، وهذا ما بدأت فيه وزارة الداخلية مؤخراً، بدليل تمكنها من تصفية العديد من البؤر الإجرامية والإرهابية في مختلف المحافظات. وشدد المصدر على أن حجم المخطط الذي يستهدف مصر كبير جداً، ويتطلب تضافر كل الجهود لمواجهته بقوة وحزم.

وبالنسبة لتأمين الكنائس قال المصدر إن كافة الكنائس تخضع لإجراءات تأمينية في ضوء المتغيرات الأمنية، طبقا لطبيعة كل محافظة، فهناك مجموعة من الكنائس يجرى على تأمينها شرطيان أو رقيبا شرطة وأحيانا يكون خفيراً تابعا للقرية يؤمن الكنيسة فيحمل بندقية آلية وخزينتين.

وأما في المدن التي تضم الكنائس الكبيرة فيكون هناك قوة تضم ضابطاً و٣ أفراد، فضلا عن قيام خبراء المفرقعات بإجراء عمليات التمشيط بصفة دورية على طوال ٢٤ ساعة، على كافة المواقع والمنشآت التابعة تحسباً لزرع أي أجسام غريبة، بالتنسيق مع قوات الأمن المديرية لدفع بتعزيزات في حالات الاحتفالات.

وذكر المصدر بأن هناك قصوراً أمنياً في تأمين الكنائس، بسبب عدم تركيب بواباب إلكترونية أو أجهزة الكشف عن المفرقعات وجهاز «YAR. X» لفحص الحقائب، لفحص المترددين بسبب قلة الموارد المالية المتوافرة لشراء هذه المعدات، فضلاً عن غياب منظومة متكاملة للمراقبة والمتابعة المنشآت، حيث قوات التأمين في المناطق البعيدة عن المحافظات الكبرى يكون هناك نوع من الإهمال في التأمين مما يسهل مهمة العناصر الإرهابية في تنفيذ مخططهم.

وأردف المصدر بأن حادث كنيسة مار جرجس بطنطا نتيجة الإهمال في التأمين، مما أسفر عن سقوط عشرات الضحايا، موضحًا أنه إذا استمر التعامل الأمني في تأمين الكنائس بهذا الشكل ستستمر عمليات التفجيرات وخاصة في الاحتفالات ومواقيت الصلاة يوم الأحد لكثرة تجمع المواطنين.

●●●

الفصل الثالث
المواجهة الأمنيـة

ويشمل:

- الأمن والحريات الفردية فى ظل الحرب على الإرهاب.
- إجراءات بوليسية في أنظمة ديموقراطية.
- أهمية المواجهة الأمنية.
- عناصر المواجهة الأمنية.

الأمن والحريات الفردية في ظل الحرب على الإرهاب:

لا أحد يعرف عدد ضحايا الإرهاب وردود الفعل عليه، لكن الضحية الأكيدة هي الحرية. فمع كل عملية إرهابية وكل خطوة من الحرب على الإرهاب تتقلص مساحة الحريات الشخصية، لا فرق في ذلك بين الحكومات الديمقراطية أو الديكتاتورية.

الأمن والحرية صنوان لا ينفصمان. فبدون الحرية والديمقراطية لا يتحقق الأمن والسلام الاجتماعي وبدون الأمن تصبح الحرية والديمقراطية بلا معنى. لكن عندما يتعارض الحفاظ على الأمن مع الحرية باسم الدفاع عن الحرية فان الحرية تفقد معناها والأمن قد لا يتحقق في هذه الحالة.

في إطار حملتها الأمنية لمكافحة الإرهاب تسعى الحكومات إلى اتخاذ إجراءات أمنية وقانونية للحيلولة دون وقوع هجمات إرهابية على أراضيها ولمكافحة مختلف النشاطات الإرهابية وتجفيف منابعها. ويدور الجدل في الأوساط السياسية والأمنية والقانونية حول الحدود التي تفصل بين مكافحة الإرهاب وبين ضمان الحريات في هذه الدول بما في ذلك الدول «الديمقراطية». ففي الوقت الذي يرى البعض ضرورة التنازل عن بعض الحريات الشخصية لصالح حماية المجتمع وصون حرياته، يرى البعض الأخر أن الحريات الشخصية هي جزء لا يتجزأ من منظومة قيم النظم الديموقراطية التي لا يمكن التنازل عنها أو عن جزء منها، وبان حماية الحرية لا يمكن أن تتحقق من خلال تقييد الحرية نفسها. وقد لجأت الحكومات الغربية مثلا إلى إتباع وسائل قانونية وأمنية تتعارض تماما مع القيم الديمقراطية ولا تختلف عن تلك المتبعة في الأنظمة الديكتاتورية والشمولية. وقد أصبح الباحثون عن الحرية في ذلك الغرب الديمقراطي الرحب متهمين من قبل السلطات والمجتمع بأنهم قنابل موقوتة قد تنفجر في أي وقت.

وهم غالباً مدانون حتى يثبتوا براءتهم بأنفسهم. جاليات معينة تخضع للمراقبة والمضايقة. أحكام مسبقة على أشخاص بسبب اللون، الجنسية، الديانة والهوية.

إجراءات بوليسية في أنظمة ديمقراطية:

تسعى الأجهزة الأمنية لاستصدار قوانين تمكنها من القيام باعتقال الأشخاص المشكوك فيهم أو اللذين يعتقد أنهم قد يشكلون خطرا أمنياً، وحبسهم حبساً احتياطياً لفترات قد تطول أو تقصر، وذلك دون محاكمة أو ثبوت أدانتهم بجرائم أمنية. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد لجأت عقب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ إلى تفعيل قانون عرف بقانون «باتريوت» خولت بموجبة أجهزة الأمن سلطات إضافية واستثنائية. وبناء على هذا القانون تم القيام بملاحقات واحتجازات لأشخاص دون محاكمات أو ثبوت تهماً محددة. وفي ألمانيا هناك من تبنى مثل هذه الفكرة، فمثلاً اقترح وزير داخلية أحدى الولايات الألمانية أن تلجأ السلطات الألمانية إلى السجن الاحتياطي، أو الترحيل للأجانب، الذين قد يمثلون خطراً إرهابياً، حتى دون محاكمة أو ثبوت إدانتهم بجريمة. كما يقترح الوزير، الذي نفذ بكل حماس مثل تلك الإجراءات في ولايته، تشديد الإجراءات على المتشددين الإسلاميين وتجنيد مخبرين يعملون في أوساط الجمعيات والتجمعات الإسلامية لجمع المعلومات عن نشاطاتها. وقد برر هذا الوزير ذلك بالقول: «يجب أن نكون على علم بما يدور في كل مسجد. هنا، في هذه ألاماكن التي يتم فيها تنمية الأفكار المتطرفة، يتوجب أن يكون لنا وسائلنا الاستخباراتية».

التنصت على المكالمات التليفونية:

سارعت الحكومات الغربية عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، سارعت إلى اتخاذ إجراءات قانونية لإتاحة المجال للجهات الأمنية للوصول إلى المعلومات التي كانت تعتبر شخصية ولا يمكن المساس بها. ومن ذلك وضع الأشخاص المشكوك فيهم، لمجرد الشك، تحت دائرة مراقبة الأمن، ومتابعة نشاطاتهم واتصالاتهم. مثلا من خلال رصد المكالمات التليفونية التي يجرونها والإطلاع على رسائلهم البريدية، ومعرفة أماكن تواجدهم وتحركاتهم مثلا من خلال رصد ذبذبات هواتفهم المحمولة. وتشير الكثير من الدلائل الى أن الجهات الأمنية

قد لجأت إلى هذه الوسائل حتى قبل أن يصدر بها قوانين تشريعية تجيزها، سواء من خلال الاستناد إلى قوانين قديمة كانت معطلة أو وفقا لاجراءات أمنية ليس إلا. وكانت بعض الولايات الألمانية مثلا قد سعت إلى تقنيين مثل تلك الاجراءات بحيث يسمح للشرطة، وفقا للقانون، التنصت على المكالمات التليفونية وتحديد أماكن تواجد المتحدثين والأشخاص الذين يتواصلون معهم، كما سعت أيضا الى تقنين قراءة الرسائل الالكترونية المرسلة عبر التليفون والرسائل المكتوبة. إلا أن هذه الاجراءات منيت بالفشل بسبب تصدي المحكمة الدستورية العليا لذلك التي أصدرت حكما، يسري على جميع الولايات الألمانية، قضى بأن مراقبة المراسلات بدون تهمة حقيقية مخالفاً للدستور الألماني. وقد برر أحد القضاة الحكم بأن الشرطة قد ذهبت أكثر مما يجب في السعي للحصول على صلاحيات على حساب الحقوق المدنية للأفراد، وأنه قد تثبت علاقة الشخص الموضوع تحت المراقبة بتهمة ما وقد لا تثبت.

وعقب هجمات لندن تسعى الحكومة البريطانية حالياً إلى حث الاتحاد الأوروبي على إقرار قانون جديد للأمن يسمح بموجبة للجهات الأمنية الحصول على معلومات عبر وسائل الاتصال.

وقد اعتبر وزير الخارجية البريطاني أنه بوجود الضوابط الملائمة فلن يؤدي الوصول وحفظ تلك المعلومات إلى أي تهديد للحريات المدنية، بل أن ذلك سيساهم في اشاعة الأمن والأمان، على حد قوله.

اختراق سرية المعلومات:

فى عالم يعتمد فيه المرء على تكنولوجيا الاتصال الحديثة، الكمبيوتر والشبكة العنكبوتية في مختلف المجالات، يصبح الحفاظ على سرية المعلومات الشخصية الخاصة أحد أهم التحديات التي تواجه الحريات الشخصية للأفراد. ويعد الفصل بين المعلومات الشخصية والمعلومات القابلة للتداول قضية غاية في الحساسية، كما أن سرية المعلومات الشخصية تعتبر إحدى الركائز الأساسية للحقوق الأصيلة للفرد

في المجتمعات الديمقراطية. غير أنه رغم الحماية القانونية للمعلومات الشخصية من احتمالات استخدامها في أغراض قد تضر بأصحابها، فإن ذلك لم يحد، في كثير من المرات، من استخدام المعلومات الشخصية في أغراض غير قانونية وربما غير أخلاقية. وتزداد رغبة السلطات الحكومية في الحصول على المعلومات الشخصية لأغراض قد تكون في معظم الأحيان أمنية أو في الدول غير الديمقراطية سياسية. وتمثل قوانين مكافحة الإرهاب أكبر تحد تواجهه المجتمعات الديمقراطية لجهة الحفاظ على سرية المعلومات الشخصية. وتضغط السلطات الأمنية المعنية بمكافحة الإرهاب على الجهات الخدمية والشركات، كالبنوك، شركات التلفونات، شركات الطيران وغيرها من أجل الحصول على معلومات عن عملائهم بغرض الاستفادة منها في التعرف على هويتهم، ممتلكاتهم وخصوصياتهم تحت مبرر مكافحة الإرهاب.

ازدواجية المعايير:

ويرى الكاتب أنه في الوقت الذي تنتقد حكومات الدول الغربية الأنظمة العربية وأنظمة العالم الثالث عموما بأنها أنظمة تقمع الحريات الأساسية لشعوبها وما إلى ذلك مما نسمعه في تقارير حقوق الإنسان وفي البنود البروتوكولية لزيارات المسؤولين الغربيين، في الوقت الذي تسعى هذه الأنظمة إلى فرض مزيد من القيود على الحريات الديمقراطية والفردية المكتسبة والمنصوص عليها في دساتير هذه الدول. الحكومات الغربية تبرر تلك القيود بالحفاظ على الأمن، وهو المبرر نفسه الذي تتخذه الأنظمة الديكتاتورية. وقد أعطت الحرب على الإرهاب المخرج للأنظمة الشمولية وغير الديمقراطية للتملص من الاستحقاقات الديمقراطية متخذة بذلك من الدول الديمقراطية مثالاً يحتذي به بأن الحفاظ على الأمن والاستقرار يحتم تقييد ومصادرة الحريات الديمقراطية. وصار بإمكان أي نظام ديكتاتوري أن يعتقل معارضيه السياسيين ويزج بهم في السجون تحت مبرر أنهم خطر على أمن المجتمع. وصار بإمكان أي نظام ديكتاتوري أن يدحض الانتقادات الموجهة له بمصادرة حقوق الإنسان من خلال التذكير بأن قدوة الديمقراطية في العالم عندما تعرضت للخطر

كان أول ما فكرت به هو اللجوء إلى الإجراءات البوليسية على حساب حقوق وحريات الإنسان.

إنه إذاً عالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر، لكن يحدونا الأمل بأن يكون ذلك مجرد سحابة صيف لا غير!

وتبدو أهمية التعاون بين جميع دول العالم للقضاء على التهديدات الإرهابية في أوروبا والشرق الأوسط من خلال تنسيق الجهود المبذولة لمواجهة مثل هذه التحديات.

كما أن مواجهة الأفكار المتطرفة يتطلب معالجة فكرية وسياسية وثقافية في الكثير من المجالات، فإن مصر تصدت لهذه الأفكار غير الصحيحة التي تهدد أمن الشعوب، وتعمل على تجفيف منابع تمويلها بالسلاح .وفى نفس الوقت تهتم بحقوق الإنسان والحريات في التعبير عن الرأي، حيث إنها دولة مدنية وليدة في المسار الديمقراطي.

● والمؤمن بالحرية والعدل والمساواة لا يمكن أن يدافع عن الإرهاب أو يدعمه، لكنه أيضاً لا يمكن أن يبرر انتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بدعوى الاستقرار والامن.

وأصبحت فلسفة واستراتيجية مكافحة الإرهاب هي محور الخلاف بين المؤمنين والمدافعين عن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، وبين الحكومات التي تختار الحل الامني فقط كطريق وحيد للمواجهة.

حيث لا يجب أن يتم مقايضة حرية المواطنين مقابل الأمن، فبدلاً من دخولا الأمن والحرية في منافسة يتعين فيها إضعاف أحدهما لتعزيز الآخر، يجب احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية وسيادة القانون، فهي الطريق إلى مكافحة الإرهاب ومحاصرته ومعالجة جذوره وأسبابه.

الالتزام بتحمل مسئولية حماية حقوق الافراد والمواطنين ليست رفاهية في هذا الصراع، بل ضرورة وضريبة يجب تحملها من أجل نجاح أي استراتيجية لمكافحة الإرهاب ومواجهة التحديات.

كيف ننجح في مكافحة الإرهاب دون قضاء مستقل يبحث عن الحقيقة ويلتزم بمنظومة العدالة الجنائية، وألا يكون يد الحكومات في الانتقام، ليصبح بذلك طرفا من الأطراف في طعن العدالة وسيادة القانون؟

وكيف تساهم التشريعات في مكافحة الإرهاب، عندما تكون مظلة السلطة التنفيذية للإفلات من العقاب، والتحلل من التزاماتها باحترام وحماية حقوق الإنسان؟

كيف نطلب من المواطنين تحمل الآثار المدمرة للإرهاب دون المشاركة في مناقشة السياسات المطروحة لمكافحته ومعرفة حقيقة الأوضاع؟

أهمية المواجهة الأمنية:

عندما تستشرى العمليات الإرهابية ويصبح الإرهاب ظاهرة يومية تهدد الوطن وتروع المواطنين، ولا يشعر الإنسان بأنه آمن في مسكنه ويتملكه الخوف إذا غادر بيته حتى يعود إليه، وتخشى الأسر من خروج أبنائها للتعليم أو الصلاة أو ممارسة الرياضة، ولا يملكون إلا الدعاء لله عز وجل أن يعيدهم إلى منازلهم.

إن الإرهاب الفكري يسلب حق الآخر في التعبير عن رأيه، ويحجر على العقول والحريات بحجة الخلاف في الثقافة أو المذهب أو العقيدة أو الرأي.

وكما أن الإرهاب الفكري يحمل مفاهيم مثل التعصب والتطرف والتكفير وعدم احترام التراث والتاريخ والحضارة، وهو نوع من أنواع العمليات الإرهابية لكنه يأتي قبل أعمال العنف.

وأن الإرهاب الفكري يظهر بألوان متعددة مثل: العنصرية التي تحمل أبشع صور الإرهاب، واعتبار بعض المواطنين الذين ينتمون إلى عرق معين مواطنين من الدرجة الثانية.

وكذلك فإن إنتهاك حقوق المرأة يعتبر من أنواع الإرهاب الفكري الأكثر انتشاراً، مثل سلب حق المرأة بالترشح أو التصويت اصلاً أو سلب المرأة حقها في العمل أو التعلم.

وإن الإرهابيين يزرعون الرعب والقلق في نفوس الناس الآمنين ويمارسون إرهابهم الفكري، والتضليل الإعلامي، لتنفيذ مخططاتهم الشيطانية، ويجب على وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والدينية للتصدي للإرهاب الفكري الذي يدعو لإقصاء الآخر وإلغائه مشدداً على ضرورة إتخاذ تدابير وقائية لمواجهة المد الإرهابي الذي يدفع ثمنه الأبرياء. وإن إنتهاك حقوق الإنسان الذي عرف منذ أقدم العصور يمثل إرهاباً فكرياً، كما أن الدكتاتورية تعتبر نوعاً من أنواع الإرهاب من أجل الحفاظ على السلطة.

وكما أن الإرهاب الفكري من الممارسات التي تقود إلى إعاقة التقدم في المجتمعات، ولذا فإن الأمن الفكري بات أكثر إلحاحاً من ذي قبل، حيث أن الإرهابيين يملكون أفكاراً يسعون إلى تنفيذها على أرض الواقع ما يدفعهم إلى نشر خطاب الكراهية وإحداث التخريب والتدمير في المجتمعات الآمنة.

ولذا فمن المهم التصدي للإرهاب الفكري بمواجهة منابعه الفكرية لمنع غلواء التطرف بالدليل والحجة والعقل لصد الشبهات المثارة والمغالطات المطروحة التي تستند إلى أفكار واهنة ومنطلقات واهية دون علم أو معرفة.

كما أن اتهام الآخرين من غير بينة والاستخدام الخطأ لبعض المفاهيم العامة كالإشاعة، والاستهزاء والسخرية، والتعصب، وغيرها يعتبر صورة من صور الإرهاب الفكرى، وعلى الجهات المختصة توجيه النظر إلى الأسباب النظرية التي يتشكل منها الفكر الإرهابي.

لأن الإرهاب ينطلق من قاعدة فكرية تغذيها جملة من المغالطات، ويظهر بأشكال مختلفة، مما يدعونا إلى نشر الوعي الحضاري من خلال الندوات والمؤتمرات واللقاءات العلمية والمحاضرات العامة في مختلف وسائل الإعلام والمساجد والنوادي والصالونات الثقافية والفكرية.

إن محاربة الإرهاب تحمل العديد من المعاني وكافة أوجه الصور، وأصبحت مؤثرة في حياة الشعب ففي كل حين يحدث حادث إرهابي يستهدف أبناء الوطن من رجال

أمـن ومواطنـين أبريـاء فقـد أصبحـت العمليـات الإرهابيـة خطـر داهـم يسـتهدف العديـد مـن الـدول.

عناصر المواجهة الأمنية:

عندمـا تـزداد العمليـات الإرهابيـة ويصبـح الإرهـاب ظاهـرة يوميـة تهـدد الوطـن وتروع المواطنـين، ولا يشـعر الإنسـان بأنـه آمـن في مسـكنه ويتملكـه الخـوف إذا غـادر بيتـه حتـى يعـود إليـه، وتخشـى الأسـر مـن خـروج أبنائهـا للتعليـم أو الصـلاة أو ممارسـة الرياضـة، ولا يملكـون إلا الدعـاء للّه عـز وجـل أن يعيدهـم إلـى منازلهـم.

عندمـا يعـزف الإنسـان عـن ركـوب الطائـرة خشـية اختطافهـا أو تفجيرهـا، أو أن يسـتقل قطـاراً خوفـاً مـن اشـتعاله، أو السـير فـى الطرقـات خوفـاً مـن أن تنفجـر إحـدى السـيارات المتوقفـة علـى جانـب الطريـق.

كل هـذا يسـتتبع إتخـاذ إجـراءات أمنيـة تعيـد الأمـن والأمـان إلـى الشـارع وتوفـر للمواطـن مجتمعـاً هادئـاً آمنـاً.

وهـذا مـا دفـع الحكومـات إلـى ضـرورة المواجهـة الأمنيـة ضـد الإرهـاب والإرهابيـين بجانـب المواجهـة الفكريـة لمكافحـة الأفـكار الإرهابيـة ومنـع انتشـارها.

ولابـد للمواجهـة الأمنيـة أن تتـم علـى أربعـة محـاور رئيسـية تعمـل بصفـة متوازيـة جنبـاً إلـى جنـب حتـى تحقـق الهـدف مـن المواجهـة وهـو القضـاء علـى الإرهـاب وهـى:

١- جمع المعلومات.

٢- رد الفعل السريع والعنيف.

٣- الإعداد والتدريب.

٤- الضربات الاستباقية.

أولا: جمع المعلومات.

لا يمكن مواجهة الخصم دون أن يكون لديك المعلومات الكافية عنه، فلا بد من البحث لمعرفة ماهيته والوقوف على نقاط الضعف والقوة التى يتمتع بها أو التي يمكن من خلالها النفاذ إليه ومقاومته وهدم أركانه أو القضاء عليه.

وقد تتوافر المعلومات عن الخصم خاصة إذا كان عدواً ظاهراً معلناً عن نفسه، ولا يخفى وجوده فى المجتمع. وهذا الفرض نادراً ما يحدث فى حالات العمليات الإرهابية والعدائية، لأن كلا من طرفى العداء يخفى جميع أوراقه وكل ما يدل على وجوده ولا يكشف منها إلا ما أراد به التمويه على الطرف الآخر وخداعه.

وإذا كان هذا التصور صعباً فى حالات العداء الظاهر فإنه يكاد يكون مستحيلاً إذا كانت المواجهة بين طرف شرعى واضح المعالم وطرف آخر كالأشباح يعمل تحت ستر الظلام وتحت الأرض ولا تكاد تراه أو تسمعه، ولكنك دائما تشعر بوجوده فى كل مكان من خلال العمليات الإرهابية.

وهنا تأتى أهمية توافر معلومات كافية عن العدو أو الخصم، ولذا فإن جميع المنظمات الإرهابية تعمل بطرق سرية تبدأ من حيث الهيكل التنظيمى للمنظمة كأن يتم تشكيله على هيئة مجموعات عنقودية وغالباً لا يزيد عدد أعضاء المجموعة الواحدة عن خمسة أفراد لا يعرفون أعضاء المجموعات الأخرى ثم ترتفع دائرة السرية إلى تعامل أعضاء المجموعة الواحدة فيما بينهم، فلا يجوز الحديث بينهم فيما يخص أهداف أو استراتيجيات المنظمة أو تشكيلها أو مناقشة قراراتها أو الأعتراض عليها، فلا مجال للفرد إلا تنفيذ ما يملى عليه ويكلف به، فالشك يسكن بينهم والجميع محل شك وريبة، دون تمييز.

ولذلك فإن اختراق هذه التنظيمات يعد شبه مستحيل، بل ويتطلب إجراءات أمنية على مستوى عال من السرية، ورجال أمن مدربون تدريباً عالياً على اختراق مثل هذه التنظيمات، ويتمتعون بقدرات ذهنية فائقة مع أعلى درجات الذكاء.

ورغم هذه الدرجة العالية من السرية التى تفرضها هذه التنظيمات الإرهابية على كياناتها، فإن الأجهزة الأمنية استطاعت اختراقها للحصول على المعلومات التي تحتاجها، بل وصلت إلى تجنيد بعض قيادات هذه التنظيمات للعمل لحساب الأجهزة الأمنية.

وسائل جمع المعلومات:

a. **الوثائق الرسمية (الحكومية):**

وتشمل جميع الوثائق والمستندات التي يستخرجها المواطن من الجهات الحكومية والتي لابد أن يكون مسجلاً بها ويستخدمها فى الحصول على الخدمات الضرورية والأساسية مثل بطاقة الرقم القومى ووثيقة السفر وبطاقة الحصول على المواد التموينية، ورخصة قيادة السيارة ورخصة حمل السلاح، وبطاقة الإئتمان، وبطاقات عضوية الأندية الرياضية والجمعيات.

فكل تلك الوثائق تحتوى بيانات ومعلومات عن المواطن ويمكن لأجهزة جمع التحريات الحصول على هذه المعلومات والإستفادة منها فى تحليل بعض الأحداث، واستنتاج الصلات التى تربط بعض الأشخاص، مثل صلة القرابة أو المصاهرة، أو العضوية فى مكان واحد، أو جمعية بعينها تتبنى أفكاراً واحدة.

b. **وسائل الاتصال:**

وهى الوسائل التى يستخدمها المواطنون للتواصل فيما بينهم، مثل أجهزة التليفونات الثابتة والمحمولة وكذلك وسائل التواصل الاجتماعى المتوفرة على الشبكة العنكبوتية، وسائل التراسل كالخطابات البريدية والبريد الإلكترونى، وكل هذه الوسائل يمكن الحصول منها على معلومات مفيدة لأجهزة الأمن سواء كانت فائدة مباشرة كأن تكشف عن جريمة أو تحرك مناهض معين، أو غير مباشرة يمكن إضافتها إلى معلومات أخرى أو الربط بينها وبين حدث معين حيث يؤدى هذا الربط إلى استنتاج معلومة جديدة، أو دليل إدانة أو تأكيد ما هو مشكوك فى صحته ليصبح يقيناً، يمكن التعامل معه كحقيقة واقعة.

c. الجمهور:

تقوم الأجهزة الأمنية بنشر ثقافة إحساس المواطن ورجل الشارع بأنه شريك مهم ومؤثر فى العملية الأمنية بالنسبة للمجتمع، وبالتالى فهو عنصر من العناصر الرئيسية فى مكافحة الإرهاب والتطرف والتصدى للأفكار والمعتقدات الغريبة عن المجتمع والتى تبعد عن الوسطية، ومن هذا المنطق فيجب عليه أن يقدم العون والمساعدة لرجال الأمن الذين يسهرون على حماية المجتمع وحمايته شخصياً بالضرورة.

وتتنوع صور هذه المساعدة بين الإبلاغ عن واقعة أو تصرف غريب عن أعراف المجتمع شعر به المواطن أو شاهده بنفسه أو سمع عنه، كرؤية غرباء يحومون حول موقع معين، مما أثار الشك لديه، أو يستأجرون سكناً أو مخزناً، ويسلكون سلوكاً يثير الريبة والشك من حيث عدم توافقه وعادات وتقاليد المنطقة، أو يبدو غريباً لطبيعة المكان المستأجر.

وتستعين الأجهزة الأمنية بوسائل الإعلام والاتصال المختلفة لنشر هذه الثقافة بين المواطنين، وتوفير وسائل الاتصال بالأجهزة الأمنية والشرطة مع التأكيد على ضمان الحماية الكاملة لسرية بيانات المتصل وعدم الإفصاح عن شخصيته، خشية تعرضه للانتقام من جانب التنظيمات الإرهابية وأعوانهم.

d. الخدمة السرية:

ويقصد بها الأجهزة الرسمية والحكومية المنوط بها جمع المعلومات فى كافة المجالات لتقديمها إلى صانع القرار، مثل: جهازالمخابرات العامة والمخابرات الحربية والرقابة الإدارية وجهاز الأمن الوطنى والأمن العام وكافة الأجهزة الأخرى التى ينصب عملها في البحث والتحري لتوفير المعلومات الحقيقية، التى تفيد فى إصدار القرارات المناسبة ومواجهة الأحداث.

وهو عمل شاق جداً فى ضوء إحجام كثير من المواطنين عن التعامل مع هذه النوعية من الأجهزة خوفاً من افتضاح أمرهم، رغم ما تقدمه هذه الأجهزة من ضمانات السرية والأمان.

ولكن هذه الأجهزة لديها من الذكاء والحرفية والتدريب ما يجعلها قادرة على استخلاص المعلومات من المواطن بطرق غير مباشرة، كما أنها تستطيع تأكيد المعلومات أو نفيها عن طريق استخدام التقنيات الفنية الحديثة في مراقبة الأشخاص ومراقبة وسائل الاتصال والأماكن وكافة التحركات، وكذلك التنصت والتصوير في إطار الشرعية القانونية.

ثانيا: رد الفعل السريع الرادع.

رأينا كيف تتم المواجهة الأمنية للعمليات الإرهابية، وكيف أن أجهزة الأمن تحصل على المعلومات اللازمة للمواجهة ثم تقوم بالضربات الاستباقية التي تجهض العمليات الإرهابية قبل دخولها مرحلة التنفيذ.

ولأن العمليات الإرهابية لا يقوم بها أفراد من تلقاء أنفسهم، بل يتم التخطيط والإعداد لها بمعرفة أجهزة استخباراتية دولية ومنظمات إرهابية تتعاون جميعها في عملية واحدة وتشارك بالمعلومات، وكذلك أعمال رصد الأهداف، والمراقبة بالإضافة إلى جهات التمويل والتدريب على التنفيذ والإمداد بالسلاح المطلوب لتنفيذ العملية، كما تساعد بخبراتها في معرفة أقصر الطرق وأكثرها أمناً للوصول إلى الهدف، وطرق الهروب بعد التنفيذ، فكل هذه العناصر تحتاج إلى وقت وجهد في إطار من السرية التي تغلف العملية بكاملها.

وبالرغم من الضربات الاستباقية التي تقوم بها الأجهزة الأمنية، فقد تنجح المنظمات الإرهابية في تنفيذ بعض العمليات الإرهابية في ضوء موجات الكر والفر بين هذه التنظيمات والأجهزة الأمنية. وهنا تصبح الأجهزة الأمنية في موقف رد الفعل، ولابد لإثبات ذاتها وسيطرتها على أمن المجتمع، أن تلاحق من قاموا بهذه العملية وارتكبوا عملاً إجرامياً لضبتهم وتقديمهم إلى المحاكمة، ولذا فهي تبذل جهوداً مضنية وجبارة لكشف ملابسات الحادث وضبط مرتكبيه.

وقد نجحت أجهزة الأمن المصرية فى ضبط عدداً كبيراً من العناصر التى قامت بتنفيذ معظم العمليات الإرهابية التى وقعت فى مصر فى السنوات الأخيرة، بنسبة عالية تكاد تصل إلى خمسة وتسعون بالمائة من العمليات الإرهابية التى اجتاحت مصر.

ورغم الخسائر البشرية والإقتصادية التى نتجت عن هذه العمليات الإرهابية وما تركته من أثر نفسى للمصريين فإنها قد أتت بأثر عكسى تماما، فلم تهن عزيمة الشعب المصرى ورغبته فى القضاء على الإرهاب واقتلاعه من جذوره، بل إنها زادته إصراراً على مساعدة الأجهزة الأمنية والوقوف بجانب الشرطة والقوات المسلحة فى مهمتهم الوطنية، كما عمقت كراهية المجتمع المصرى للإرهاب بكافة صوره الفكرية والعقائدية.

وقد ساعد على ذلك قدرة الأجهزة الأمنية على كشف مرتكبي هذه العمليات وضبطهم فى زمن قياسي أثار إعجاب المصريين، بل العالم أجمع مما أدى إلى تقوية ثقة المصريين فى أجهزتهم الأمنية، وأشاع الأمن والطمأنينة فى المجتمع المصرى، والتى كانت مفقودة عقب أحداث شهر يناير ٢٠١١ والتى أدت إلى انتشار الفوضى وانعدام الأمن والأمان بالشارع المصرى، بسبب انهيار جهاز الشرطة، والذى استطاع أن يتعافى فى وقت قصير جداً وأصبح قادراً على ضبط الشارع المصرى وإعادة الأمن المفقود، ثم استطاع بالتعاون والتنسيق مع القوات المسلحة والأجهزة الأمنية الأخرى أن يرد وبقوة وعنف على أية محاولات تستهدف أمن البلاد، بل أتسمت الردود الأمنية بالحرفية العالية والتى أظهرت قوة الجهاز وخبرته العالية فى التعامل مع مثل هذه الحوادث، ولم يكن هذا العمل سهلاً، بل أنه كلف جهاز الشرطة الكثير من الشهداء حتى أنه طبقاً للإحصاءات الرسمية فقد قدم جهاز الشرطة فى الفترة من ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى ٣١ ديسمبر ٢٠١٦ ثمانمائة وواحد وسبعون شهيداً (٨٧١) من بينهم مائة وتسعة وثمانون ضابطاً(١٨٩). وعقب قيام ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ضد حكم جماعة الإخوان ونتيجة للعمليات الإرهابية التى قامت بها خلايا تنظيم الإخوان، قدمت الشرطة ستمائة وثمانية وخمسون شهيداً (٦٥٨) بينهم مائة وخمسة وأربعون ضابطاً (١٤٥) فى الفترة من ٣٠ يونيو ٢٠١٣ وحتى ١٣ ديسمبر ٢٠١٦.

وظهرت قوة الشرطة فى نتيجة الضربات التي قامت بها وقد تساقط أعضاء التنظيم الإرهابى وخلاياه النوعية فى أيدى الشرطة، وتوالت الاعترافات بتوجيهات التنظيم لمهاجمة مرافق الدولة ورجال الشرطة والقوات المسلحة، وتم إحالتهم إلى السلطات القضائية لمحاكمتهم.

وفي هذا الصدد اتخذت أجهزة الشرطة والأمن المصرية إسلوب الرد السريع والرادع ضد الإرهابيين لردعهم عن الأعمال التى يقومون بها، بقصد هدم أركان الدولة وتقويض المجتمع على أساس عدم التحاور معهم -سبق فشل التحاور معهم- أو مهادنتهم، بل مؤاخذتهم بالقوة وتدمير أوكارهم فى إطار شرعى وفى ظل القوانين المعمول بها لمكافحة الإرهاب.

وأصبحت المشاركة الشعبية ضرورة حتمية لمكافحة الإرهاب، ومواجهة كافة الأفكار المتطرفة، وكذلك المشاركة الشعبية والمجتمعية فى تجديد الخطاب الدينى، وتصحيح مساره طبقا للشريعة الإسلامية الغراء والسنة النبوية الشريفة. وتنقيته من الأفكار المغلوطة والمدسوسة.

ثالثا: الإعداد والتدريب.

اجتازت المواجهة بين الأجهزة الأمنية والتنظيمات الإرهابية والجماعات المتطرفة مراحل عديدة فى العصر الحديث منذ بدايات القرن الماضى وتحديداً منذ نشأة جماعة الإخوان المسلمين كجماعة دينية دعوية بدأت فى الانتشار بين أوساط الشعب المصرى وخاصة فى الأقاليم حيث تزداد النزعة الدينية المتأصلة في المصريين، فى وقت كان الجهل وضحالة التعليم تسيطر على أغلبية الشعب بالإضافة إلى الفقر والمرض نتيجة الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة حتى انتهاء العهد الملكى فى مصر.

وعندما ظنت جماعة الإخوان المسلمون أنها أصبحت تشكل قوة لها ظهير شعبى داخل الدولة المصرية، مما جعلها تطمح أن يكون لها دور فى حكم مصر، ونصيب من السلطة، وأن تشارك فى الحكم بما لها من قوة على الأرض تساندها وتعتمد عليها

فى الحشد لتنفيذ رغباتها بإرهاب السلطة الحاكمة بهذه القوة الشعبية، رغم أنها لم تكن حزباً سياسياً يقوم بدوره فى إطار الشرعية القانونية والسياسية.

ولأن هذه الجماعة بحكم نشأتها الدينية الدعوية لم تكن حزباً سياسياً لتتمكن من المشاركة فى الحكم فقد شاركت بطريق غير مباشر، وذلك بمساندة حزب ضد آخر فى الإنتخابات التشريعية، ولأن أعضاؤها قد أعطوا البيعة وتعهدوا بالسمع والطاعة، فكل ما يصدر عن مكتب إرشاد الجماعة هو أمر غير قابل للمناقشة وواجب التنفيذ، فإذا صدر الأمر من مكتب الإرشاد بمساندة حزب معين والدعوة والتصويت له، فلابد على جميع أعضاء الجماعة من الالتزام بذلك، لأن ذلك سيساعدها على الضغط على هذا الحزب في حالة فوزه ليكون العائد مجزياً للجماعة وتستطيع أن تجنى ثمار مساندتها للحزب بمكاسب سياسية جديدة.

ونتيجة لهذه السياسة أصبح للجماعة أصدقاء وأعداء تتباين مواقفهم من الجماعة طبقاً للظروف السياسية التى تمر بها البلاد.

ولأن الهدف الأساسى الغير معلن للجماعة هو الاستيلاء على السلطة وإعادة إقامة دولة الخلافة الإسلامية التى انتهت بزوال الدولة العثمانية، فقد كونت الجماعة تنظيماً سرياً داخلها تحت الإشراف الشخصي والمباشر لمرشد الجماعة حسن البنا واضلع هذا التنظيم بالأعمال السرية الغير شرعية للجماعة وتطورت إلى القتل والاغتيال وتفجير المنشأت الاقتصادية لإثارة الرعب وإرهاب خصوم الجماعة وإجبار السلطة الحاكمة على اتخاذ قرارات فى صالح الجماعة.

وهنا بدأت الأجهزة الأمنية تعمل على تطوير توجهاتها فى محاربة الجماعة من مجرد متابعة الأنشطة الدعوية، والخيرية التى يقوم بها أفراد الجماعة، إلى مواجهة أنشطتها التخريبية، وبدأ السباق بين الأجهزة الأمنية والجماعة الإرهابية، فكل منها يسعى إلى التفوق على الآخر، حيث تسعى الجماعة إلى زيادة نشاطها التخريبي للضغط على السلطة الحاكمة، بينما تسعى الأجهزة الأمنية إلى مقاومة هذا النشاط ودحره والقضاء عليه لحماية الدولة من الانهيار.

ولأن وزارة الداخلية هى حائط الصد الأول وجبهة المواجهة ضد الجماعة الإرهابية، والتى تبذل الجهد فى سبيل القضاء على هذا النشاط الإرهابى، فكان لابد لها أن تغير من أساليب ووسائل المواجهة، بداية من التطوير الفكري لرجال الشرطة إلى الإعداد البدنى والمهارى والنفسى الجيد لاستيعاب الفكر الإرهابى الجديد، إلى تحديث الأجهزة والمعدات الأمنية والمساعدات الفنية المناسبة لمواجهة الفكر المتطرف والنشاط التخريبي.

هذا وأدخلت نظم التدريب الحديثة لاستيعاب التكنولوجيا المتقدمة فى الأجهزة والمعدات والأسلحة التى تتطلبها المواجهة. وسوف نلقى الضوء بشئ من الإيجاز على هذا التطور فى آداء الأجهزة الأمنية.

حيث يبدأ إعداد الضباط والأفراد منذ اللحظات الأولى لالتحاقهم بالعمل الشرطي، وتتولى مصلحة التدريب وضع مناهج الدورات التدريبية للأفراد بينما تتولى أكاديمية الشرطة ومصلحة التدريب هذه المهمة بالنسبة للضباط، فعندما يلتحق الشاب بكلية الشرطة فى مرحلة الإعداد الأولى، يتم تأهيله من حيث الانضباط وطاعة الأوامر والتعاون وتنظيم العمل مع زملائه، وقيمة الوقت والجهد، وهذا من خلال التدريبات اليومية بجانب التأهيل الرياضي والبدني من خلال ممارسة جميع أنواع الرياضات الخفيفة كالألعاب المختلفة والعنيفة التي تشمل الملاكمة والمصارعة ورياضات الدفاع عن النفس والكاراتية.

وكذلك دراسة العمليات الشرطية وهى التى تختص بعمليات الدفاع والقبض فى جميع الظروف التى يمكن أن تتم فيها هذه العمليات من حيث الطقس والمناخ والتضاريس والطبيعة السكانية للأماكن التى يمكن أن تتم فيها هذه العمليات، وذلك باستخدام الأسلحة والمعدات والأجهزة المختلفة.

كما تهتم الكلية بتدريب الطلاب على أعمال البحث الجنائى والتحقيق وأعمال المراقبات وطرق التمويه والتخفي وكيفية تجنيد الأشخاص للحصول منهم على المعلومات وفحص آثار الجرائم.

هـذا بالإضافة إلـى دراسـة القانـون ممـا يضفـى علـى عملهـم الصبغـة القانونيـة فـى التعامـل مـع الأشـخاص مـع المحافظـة علـى حقوقهـم القانونيـة التـي يكفلهـا لهـم القانـون أثنـاء التحقيـق والاسـتجواب.

وفي هـذا الإطـار فـإن وزارة الداخليـة تعطـى اهتمامـا بالغـا لدراسـة حقـوق الإنسـان طبقـا للتشـريعات والقوانـين المصريـة والمواثيـق الدوليـة وجعلهـا أساسـاً فـى تعامـلات رجـال الشـرطة مـع الجمهـور، بـل يتعـرض مـن يتجـاوز فـى حـق مـن حقـوق الإنسـان لأشـد العقـاب، وهـو مـا زاد مـن ثقـة المواطنـين فـى جهازهـم الأمنـى.

ولا ينتهـى الإعـداد والتدريـب بتخـرج الضابـط مـن الكليـة بـل يسـتمر التدريـب طـوال فتـرة عملـه بالشـرطة، فـلا يلتحـق بـأى فـرع مـن فـروع العمـل الشـرطى إلا بعـد الحصـول علـى دورات تدريبيـة تؤهلـه للعمـل بهـذا الفـرع، بـل يسـتمر التدريـب كذلـك أثنـاء عملـه فـى ذلـك التخصـص للوقـوف علـى أحـدث الوسـائل والنظـم التـى تسـاعد علـى جـودة العمـل حيـث تنعقـد هـذه الـدورات بكليـات ومعاهـد أكاديميـة الشـرطة.

وإضافـة إلـى ذلـك فهنـاك المعاهـد الخاصـة بإعـداد أفـراد الشـرطة وتأهيلهـم مـن الناحيـة البدنيـة والنفسـية والقانونيـة والتخصصيـة للعمـل بجميـع الأعمـال الشـرطية.

هـذا بالإضافـة إلـى الاهتمـام بتثقيفهـم وتوعيتهـم حتـى يكونـوا علـى وعـى تـام بمـا يـدور مـن أحـداث ممـا يسـاعدهم في أداء الأعمـال التـي يكلفـون بهـا.

وتشـمل الـدورات التدريبيـة الجانـب العملـي والجانـب النظـري، حيـث يتمثـل الجانـب العملـى فـى التدريـب علـى الأجهـزة والمعـدات التـى تسـتخدمها أجهـزة الشـرطة فـى العمليـات التـى تقـوم بهـا وعلـى سـبيل المثـال أجهـزة التنصـت والمراقـب والتصويـر وكذلـك أجهـزة ومعـدات الإطفـاء والإنقـاذ واكتشـاف المتفجـرات والشـراك الخداعيـة والتعامـل معهـا بإبطـال مفعولهـا أو تفجيرهـا أو نقلهـا مـن مـكان وجودهـا إلـى مـكان آخـر أكثـر آمانـاً للتعامـل معهـا.

وهـذا ممـا يزيـد مـن قـدرات الأجهـزة الأمنيـة للتعامـل ومواجهـة منظمـات الشـر والعـدوان وعلـى أن تحمـي مقـدرات الشـعب وصيانة المرافق الحيوية والمنشـأت الاقتصادية وحمايـة أرواح المواطنـين فـى سـبيل أن تبقـى هـذه الدولـة التـى تمتـد جذورهـا فـى أعمـاق التاريـخ، والتـى أشـرقت شـمس حضارتهـا علـى العالـم أجمـع.

ولـن تسـتطيع جماعـات الشـر والظـلام مهمـا أوتيـت مـن قـوة أن تطفـئ شمسـها أو تدنـس أرضهـا، ولـن يرتفـع علـى أرض مصـر إلا أعـلام الحريـــة والعـــدل والمســاواة.

رابعا: الضربات الاستباقية.

مفهوم الضربات الاستباقية.

ظهـر مفهـوم الضربـات الاسـتباقية منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة، وقـد أطلـق عليـه البعـض تعبيـر «الضربـات الوقائيـة» كمـا ظهـرت لـه مرادفـات كثيـرة فـى السياسـة الدوليـة.

وقـد ارتبـط هـذا المفهـوم بالمعـارك الحربيـة، أى أنـه مفهـوم عسـكرى فـى الأصـل، اسـتخدم فـى الحـروب بـين الـدول، ولـم يكـن مفهومـاً أمنيـاً بالمعنـى الصريـح للأمـن الـذى هـو حمايـة المواطنـين داخـل حـدود الوطـن، فهـو يعتمـد أساسـاً علـى مفاجـأة العـدو بعمـل غيـر متوقـع يهـدف إلـى إربـاكـه وضـرب خططـه التـى أعدهـا سـلفاً حتـى يضطـر إلـى إلغائهـا أو محاولـة تعديلهـا لتحقيـق أهدافـه.

فمثـلاً عندمـا قامـت اليابـان فـى عـام ١٩٤١ بالهجـوم علـى ميناء (بيـرل هاربـور) الأمريكـي وهـو ميناء حيـوى للبحريـة الأمريكيـة، حيـث أصابـت عصـب الحيـاة اللوجيسـتية للقـوة الأمريكيـة، واعتبـر هـذا الهجـوم ضربـة اسـتباقية وجهتهـا اليابـان للولايـات المتحـدة الأمريكيـة لمنـع قيـام أى هجـوم أمريكـى عليهـا مـن هـذا الميناء.

وكذلـك يعتبـر العـدوان الإسـرائيلى علـى مصـر عـام ١٩٥٦ ضربـة وقائيـة اسـتباقية بررتهـا إسـرائيل بأنهـا ضـد قـرار مصـر بإتمـام صفقـة الأسـلحة التشـيكية وإن هـذا العـدوان لمنـع إتمـام هـذه الصفقـة، وفـى نفـس هـذا العـدوان اشـتركت المملكـة المتحـدة وفرنسـا فـى

الهجوم على مصر، ولكل منها هدف مغاير لهدف إسرائيل، فقد اشتركت فرنسا في العدوان رداً على وقوف مصر ودعمها لثورة الجزائر وإمدادها بالسلاح والمال وتدريب الثوار فى مصر، وكذلك لإجبار مصر على إلغاء قرارها بتأميم قناة السويس، والتى لفرنسا مصالح اقتصادية واستراتيجية فيها وهو نفس الهدف الذي تذرعت به المملكة المتحدة للاشتراك فى العدوان، وأرادت العودة مرة أخرى لاحتلال منطقة قناة السويس، ويرى آخرون أن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م كان بمثابة حرب استباقية أو ضربة وقائية لصالح فرنسا وبريطانيا التي رأت في تأميم قناة السويس من جانب مصر زمن الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر، بمثابة تهديد مباشر لأمنهما ومصالحهما ويستوجب ضربة استباقية لإعادة الأمور لنصابها دون سابق إنذار لذلك، فيما زعمت إسرائيل أنه ضربة استباقية لمنع مصر من استيعاب صفقة الأسلحة التشيكية التي عقدتها عام ١٩٥٤م حتى لا تشكل تهديداً ضدها. ويعتقد الخبراء أن العدوان الإسرائيلى على الدول العربية فى ١٩٦٧ كان ضربة وقائية تعتمد على نوايا محتملة لهجوم طرف على آخر وهذا ما اعتقدته إسرائيل لمحاولة وقاية نفسها بنقل الحرب المحتملة إلى الطرف الآخر بصورة استباقية، وهو نفس الهدف الذي قاما من أجله بضرب المفاعل النووى العراقى فى ١٩٨١ وذلك لمنع تطوير القدرات النووية العراقية ومنع أى دولة عربية من امتلاك السلاح النووى.

وينطبق نفس المفهوم على حرب أكتوبر ١٩٧٣ والتى قامت فيها مصر وسوريا بالهجوم على القوات الإسرائيلية التى تحتل الأرض العربية منذ عام ١٩٦٧.

وحسب العلوم العسكرية فإنه لا يمكن الفصل أو التمييز بسهولة بين الضربة الاستباقية والضربة الوقائية على الصعيد العسكرى، فإذا كانت الضربة الوقائية تعتمد على النوايا المحتملة لدى الخصم، فإن الضربة الاستباقية تأتى فى مرحلة متقدمة لتوجيه ضربة سريعة ومباغتة لقوات الخصم قبل المبادرة فى بدء الحرب. والضربة الاستباقية أو الوقائية، كما يحلو للبعض تسميتها، والتي بدأت الكتابات الأكاديمية الغربية والعربية تروج لها كنسق جديد في العلاقات الدولية أو كنظرية

ذات مواصفات معينة ولها رواد ومفكرين، اتخذت اليوم صفة مبدأ بوش أو سياسة المحافظين الجدد في العلاقات الدولية.

ويشبه بعض المراقبين الطريقة التي وصل بها المحافظون الجدد إلى السلطة في واشنطن، بما كان عليه الحال عندما أمسك الحزب النازي بزمام الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٦، فلم تكن القوى السياسية في ألمانيا وأوربا على دراية كافية بالأجندة الخفية للنازيين، ومساعيهم لإثارة نزاعات إقليمية ودولية انتهت باندلاع الحرب العالمية الثانية.

لقد أظهر فريق بوش قدرة ملحوظة على مباغتة الرأي العام الدولي بأجندته السياسية، مستفيداً من حالة الارتباك التي صاحبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ومهيئاً الأجواء داخل الولايات المتحدة وخارجها لتقبل مبدأ الحرب الاستباقية الوقائية، وهو ما مكنه من استقطاب تأييد دولي واسع النطاق في الحرب على أفغانستان والعراق، وساعياً لتوظيف هذا التأييد في الحروب التالية على دول «محور الشر» (إيران وكوريا)، ومن ثم إطلاق جملة مبادرات سياسية وأمنية ترمي إلى إحداث تغيير واسع المدى في عدة أقاليم، في مقدمتها الشرق الأوسط.

ويعرف أهل السياسة الضربة الاستباقية أو الوقائية بأنها: «التحول من الرد على هجوم فعلي إلى المبادرة بالهجوم لمنع هجوم محتمل، خاصة إذا تمكنت أجهزة الدولة من اكتشاف نوايا مبكرة بالهجوم لدى الخصم بغض النظر عن مظاهر هذه النوايا»، بمعنى أن الاعتماد في الضربات الاستباقية أو الوقائية يكون على نوايا الطرف الآخر أو لمجرد كونه عدو محتمل أو قائم للدولة الأولى التي بادرت بهذه الضربة، وسواء قام الخصم بإظهار هذه النوايا من خلال تحرك عسكري أو تصعيد سياسي أو لم يظهر.

وإن كان يتفق دارسو العلوم العسكرية والمختصين في التخطيط الاستراتيجي للعمليات الحربية مع المفهوم السابق على إنه يخص الضربات الوقائية، إلا أنهم يميزون بين هذا المفهوم السياسي والعسكري في آن واحد وبين الضربات الاستباقية، إذ يعتبرون أن الضربات الاستباقية مفهوم عسكري «استراتيجي وليس سياسي

ويخضع لقيادة الجيش وآليات إدارتها للحرب بعد نشوبها أو قبل نشوبها بفترة قصيرة، وملخص وجهة نظرهم أن الضربات الوقائية توجه مبكراً عند اكتشاف نوايا بالهجوم لدى الخصم بغض النظر عن نشر وسائل هجومه أم لا، بينما الضربات الاستباقية فإنها توجه ضد قوات الخصم التي تم نشرها فعلاً في أوضاع هجومية مختلفة استعداداً لهجوم حقيقي، ويبدو أن الفرق عملياً مركز في التخطيط لإدارة الحرب بعد توافر النوايا لخوضها لدى أحد الطرفين، ما يعني أن لا خلاف جوهري بين المصطلحين السياسي والعسكري من الناحية النظرية، باعتبار أن عنصر القيام بالفعل متوفر في كلا الحالتين.

ويطرح خبراء العلوم العسكرية أمثلة تميزّ بين الضربتين، إذ يعتبر الهجوم الياباني على ميناء بيرل هاربر الأمريكي عام ١٩٤١م بمثابة ضربة استباقية، حيث وجهت اليابان للولايات المتحدة ضربة تستبق فيها أي هجوم أمريكي عليها، بينما تعتبر إسرائيل أن حربها ضد مصر في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م كان ضربة وقائية لمنع مصر من إتمام صفقة الأسلحة التشيكية، وكذلك ضرب المفاعل النووي العراقي (أوزيراك) عام ١٩٨١م كان ضربة وقائية للحيلولة دون تطوير القدرات النووية العراقية، وذات الشي يطبقه خبراء العلوم العسكرية على حرب إسرائيل على الدول العربية عام ١٩٦٧م، وكذلك على حرب أكتوبر ١٩٧٣م من جانب مصر وسوريا ضد إسرائيل، ويلاحظ في الأمثلة المطروحة على الضربة الوقائية أن جميعها كانت تعتمد على نوايا محتملة لهجوم طرف على الأخر، فيحاول وقاية نفسه بنقل الحرب إلى الطرف الآخر بصورة استباقية.

مما يعني أن ثمة تداخل بين الضربتين على الصعيد العسكري نوعاً ما، فإذا كانت الضربة الوقائية تعتمد على النوايا المحتملة لدى الخصم، فإن الضربة الاستباقية تأتي في مرحلة متقدمة -حسب العلوم العسكرية- لتوجيه ضربة سريعة ومباغتة لقوات الخصم قبل المبادرة في بدء الحرب.

وحول مفهوم الإدارة الأمريكية للضربة الاستباقية أو الوقائية -رغم الاختلاف البسيط بينهما من الناحية العسكرية والتكتيكية وحسب- قال الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه للشعب الأمريكي بعد عشرة أيام على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م: «علينا أن ننقل المعركة إلى العدو وأن نزعزع خططه، علينا أن نواجه أسوأ التهديدات قبل أن تظهر، إن الطريق الوحيد الذي يضمن لنا السلامة في هذا العالم الذي أقحمنا فيه هو طريق الفعل»، وأضاف بوش: «على الولايات المتحدة أن تكشف خلايا الإرهاب في ستين دولة أو أكثر»، وهو ما يعني أن بوش قد أعلن -من طرف واحد- انتهاج سياسة الضربة الأولى الاستباقية ضد الإرهاب والإرهابيين والدول التي تأويهم في المكان والزمان الذي تختارهما الولايات المتحدة سواء كانت هناك نوايا إرهابية فعلا أو مجرد توجس ومخاوف قد لا يكون لها أساس من الصحة، وهو ما يفسر قول بوش: «لو أننا انتظرنا التهديدات التي نشعر بها إلى أن ننفذ فسوف ننتظر طويلاً».

وعاد الرئيس بوش ليؤكد على نظرية أو سياسة الضربة الاستباقية أو الوقائية في خطاب له أمام الحزب الجمهوري بتاريخ ١٥ حزيران ٢٠٠٢م، حيث أوضح أن عنصري الردع والاحتواء اللذين قادا سياسة أمريكا الخارجية منذ طرحها في إطار مبدأ ترومان عام ١٩٤٧م، لم يعودا كافيين، وبعد يومين من هذا الخطاب، شرحت مستشارة الأمن القومي السابقة ووزيرة الخارجية فيما بعد (كونداليزا رايس) مبدأ بوش الاستباقي أو الوقائي بقولها: «إنه يعني منع أعمال تدميرية معينة ضدك، ومن خصم لك، وأن هناك أوقاتاً لا تستطيع فيها الانتظار حتى يقع عليك الهجوم، ثم ترد»، ومن الواضح أن الضربات الاستباقية بهذا المفهوم وعلى هذه الصورة، تقوم على دلائل غير مؤكدة وليس رداً على هجوم فعلي، لذلك فهو سلوك هجومي في أساسه بينما مبدأ ترومان للردع والاحتواء يبقى دفاعي في مفهومه.

والسؤال المطروح هو ما إذا كانت الأعمال الاستباقية تميز هذه السياسة الجديدة عن غيرها؟

إذ تعرف وزارة الدفاع الأمريكية العمل الاستباقي بأنه «هجوم يتسم بأخذ المبادرة بناء على أدلة دامغة بأن هجوم العدو وشيك»، وعلى النقيض من ذلك، فإن الحرب الوقائية هي «حرب تُشن بناء على اعتقاد بحتمية حدوث نزاع عسكري رغم أنه غير وشيك ويستلزم تأخيره قدراً كبيراً من المخاطرة».

ويبرر جراهام أليسون المحاضر في جامعة هارفارد الحرب الاستباقية بقوله: «قد أدخل معك في يوم ما في حرب، وفي الوقت الراهن أتمتع بالقوة في حين تفتقر إليها، لذا فإنني سوف أشن الحرب حالياً».

ويشير أليسون إلى أن هذا المنطق نفسه هو الذي دفع باليابانيين إلى شن هجومهم على (بيرل هاربر)، بل إن بعض اليابانيين يعتقدون أن الخطأ الفادح الذي ارتكبوه هو أنهم تأخروا أكثر من اللازم.

وهناك فرق جوهري بين الهجوم الاستباقي والحرب الوقائية، فكما تم الإشارة آنفاً، فإن الهجوم الاستباقي يكون مبرراً إذا كان التهديد وشيكاً وساحقاً، ولا يترك مجالاً لاختيار الوسائل أو متسعاً من الوقت للتخطيط. وفي الحرب الوقائية لا يكون التهديد مؤكداً أو وشيكاً، وهذا ما يجعل الإدارة الأمريكية تصرّ على أن استراتيجيتها استباقية رغم أن بعض المسؤولين الأمريكيين يستخدمون المصطلحين معاً.

ولهذا يرى البعض أن حرب الولايات المتحدة على العراق أو العدوان الأمريكي «البريطاني على العراق في آذار ٢٠٠٣م يندرج تحت ما يسمى بالحرب أو الضربة الاستباقية والوقائية، بينما تعتبر حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م حربا دفاعية عن سيادة الكويت واستقلالها وبموجب ميثاق الأمم المتحدة الذي يجيز استخدام القوة العسكرية للدفاع عن دولة أو دول من تهديد واقع عليها، وكان أمام العراق فرصة استخدام الضربة الوقائية الاستباقية لضرب قوات التحالف وهي في طريقها للتجمع أو التكّيف مع ساحة الحرب قبل بدايتها في يناير عام ١٩٩١م، خاصة أن عملية نشر وتجميع هذه القوات في منطقة الخليج أخذت فترة ستة شهور كاملة ، فيما كان

العراق يحتل الكويت وينشر قواته على مختلف الجبهات وكانت قواته الجوية في أهب الاستعداد لانتظار الأوامر بالقصف الجوي منذ أول لحظة لوصول القوات الأمريكية والغربية إلى ساحة المعركة، وهو ما أثار استغراب خبراء الحروب من منهجية وعقلية صانع القرار العراقي آنذاك.

وكشفت الفترة من سبتمبر ٢٠٠١م إلى إبريل ٢٠٠٣م عن صعوبة تطبيق الهند استراتيجية الضربة الوقائية ضد باكستان، فقد حاولت الهند خلال تلك الفترة وتحت تأثير تجربة أحداث سبتمبر وسيناريو الرد الأمريكي على تلك الأحداث من ناحية، ثم صدور وثيقة استراتيجية الأمن القومي الأمريكي عام ٢٠٠٢م من ناحية أخرى، والتي تبنت مفهوماً مرناً لمفهوم وشروط الضربة الاستباقية، عند تطبيق هذا المفهوم ضد باكستان.

بل رأت الهند في باكستان حالة مثالية لتوفر شروط الضربة الاستباقية على النحو الذي طورته التجربة الأمريكية، والذي ركز على التنظيمات الإرهابية وما أطلق عليه الدول المارقة ذات النظم غير الديمقراطية، والتي تسعى إلى تطوير أسلحة الدمار الشامل ودعم الإرهاب، وقد ذهب وزير الشئون الخارجية الهندية ياشوانت سنها في الأسبوع الأول من أبريل ٢٠٠٣م إلى القول بأن الهند يتوفر لديها حالة جيدة لتوجيه ضربة استباقية ضد باكستان، معتبراً أنه إذا كان غياب الديمقراطية وامتلاك أسلحة دمار شامل، وتصدير الإرهاب هي شروط الضربة الاستباقية، فإن باكستان تمثل الحالة الأولى بالعمل الاستباقي، غير أن التجربة العملية كشفت بوضوح عن تعقيدات تطبيق تلك الاستراتيجية آنذاك، رغم أن هذا مؤشر خطير لمحاولات الدول الأخرى لتبني هذه النظرية والاستراتيجية في سياساتها الخارجية.

ومنذ نهاية الحرب الباردة وأحداث الحادي عشر من سبتمبر دفع العديد من السياسيين والمحللين السياسيين داخل الإدارة الأمريكية وخارجها إلى بناء وتنمية مفهوم الضربة الاستباقية من أجل استثمار هذه القوة الأمريكية الهائلة والضاربة لأهداف وأغراض سياسية تصب بمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، ورغم خطورة

هـذا المنهـج السياسـي» العسـكري، إلا أنهـا غيـر قـادرة علـى تعميمـه علـى العديـد مـن المناطـق في العالـم خصوصـاً أن مفهـوم الضربـة الاسـتباقية يتطلـب شـروطا رئيسـية، أهمهـا: ضعـف الطـرف المقابـل، وإمكانيـة تطبيـق الضربـة الاسـتباقية تجـاه الـدول والمناطـق التـي تعانـي مـن الاختـراق السياسـي والاقتصـادي الخارجـي، وكذلـك ضـرورة توافـر تواجـد عسـكري ضخـم في المناطـق التـي سـوف ينفـذ فيهـا الضربـة الاسـتباقية مـن أجـل احتـواء ردود الفعـل المحتملـة بعـد الضربـة.

إن نظريـة الضربـة الاسـتباقية تُشـجع علـى إسـاءة اسـتخدام القـوة، وترسّـخ سـابقة خطيـرة يحـذو حذوهـا الآخـرون.

أن هـذه الإسـتراتيجية لا تضـع معيـاراً محـدداً للحكـم علـى التهديـد الـذي يبـرر توجيـه ضربـة اسـتباقية، فالدولـة الخصـم أو العـدو تبعـاً للنوايـا المحتملـة، ليسـت هدفـاً تلقائيـاً للضربـة الاسـتباقية.

وربمـا يكـون أهـم إنجـاز للاسـتراتيجية الأمريكيـة أو لصقـور اليمـين الجديـد، هـو الثنـاء علـى نظـرة بـوش لإحضـار الديمقراطيـة إلـى الشـرق الأوسـط وسـط مظاهـر غيـر عاديـة لكراهيـة الديمقراطيـة واحتقارهـا، وتـم تصويـر هـذا بالتمييـز الـذي قامـت بـه واشـنطن بـين أوروبـا القديمـة والجديـدة، فالأولـى تـم التنديـد بهـا، أمـا الجديـدة فتـم الترحيـب بهـا وبشـجاعتها، وكان المعيـار محـددا بشـدة: تتكـون أوروبـا القديمـة مـن حكومـات تتخـذ نفـس الموقـف الـذي تتخـذه الأغلبيـة بـين شـعوبها مـن الحـرب علـى العـراق برفضهـا تمامـاً، بينمـا أبطـال أوروبـا الجديـدة يتبعـون أوامـر صـادرة إليهـم مـن البيـت الأبيـض في واشـنطن.

إن الاسـتراتيجية العظمـى تعطـي الولايـات المتحـدة سـلطة تنفيـذ حـرب وقائيـة لا حربـا اسـتباقية، ومهمـا كانـت التبريـرات التـي تحـاول تسـميتها بالحـرب الاسـتباقية، فهـي لا تسـري علـى الحـرب الوقائيـة خاصـة، حيـث أن الفكـرة ينهـض لتفسـيرها المتحمسـين لهـا الآن فاسـتخدام القـوة العسـكرية للحـد مـن تهديـد مخـترع أو متخيـل أو محتمـل، ومـن ثـم حتـى التعبيـر بكلمـة وقائيـة هـو تعبيـر فضفـاض للغايـة، فالحـرب الوقائيـة –حسـب

المفهوم الأمريكي- هي ببساطة شديدة الجريمة العظمى التي تمت إدانتها من الغالبية العظمى من دول وشعوب العالم حينما تركت الولايات المتحدة لنفسها العنان لإعلان الحرب على العراق واحتلاله، ومن ثم تهديد دول أخرى بنفس مصير العراق.

وعندما غزت الولايات المتحدة العراق، كتب المؤرخ أرثر شليزنجر أن الاستراتيجية الكبيرة لبوش ضمن مفهوم الحرب الاستباقية أو الوقائية، كانت «مشابهة بوضوح لنفس السياسة التي استخدمتها اليابان الإمبريالية أيام اعتدت على بيرل هاربر في يوم يلطخه العار كما قال الرئيس الأمريكي السابق فرانكلين روزفلت»، وأضاف شليزنجر أنه لا عجب أن موجة التعاطف العالمية التي احتضنت أمريكا بعد ١١ سبتمبر، قد انتهت لتحل محلها موجة عالمية من كراهية الغطرسة الأمريكية والعسكرية الأمريكية، والاعتقاد بأن بوش أكثر تهديداً للسلام من صدام حسين بكثير.

لقد اختير العراق ليكون أول ساحة نموذجية لتطبيق الضربة الاستباقية وجعله أمثولة يرهب بها الآخرون، ثم يستسلمون لأمريكا بلا قتال، كما أشار ريتشارد بيرل، الذي وصف بـ أمير الظلام. عقب غزو العراق مباشرة، وهنا يكمن مقتل المشروع الإمبراطوري الأمريكي، حيث كان تطبيق الضربة الاستباقية في العراق لا يقوم على إسقاط نظامه السياسي فقط، للتخلص من عقبة وجود نظام حر غير خاضع للسيطرة الامريكية ويجلس «فوق بحيرة نفط»، كما قال مسؤولون أمريكيون، وهو أمر يمنع تطبيق نظرية «أن من يمسك بالنفط يسيطر على العالم»، بل يجب أيضا إلحاق دمار شامل وجذري بالدولة العراقية، لضمان حل الجيش والمؤسسات وإعادة العراق إلى عصر ما قبل الصناعة.

ويخطئ من يظن أن التهديد، طبقا لهذه الاستراتيجية، يقتصر على الجانب العسكري فقط، فبالرغم من إعلان سياسة تقوم على تجريد كل الأطراف من القدرة على حيازة أسلحة دمار شامل والتخلص من أسلحة دمار شامل مملوكة حاليا، ووسائل إيصالها، كالصواريخ والطائرات ومنع أي محاولة جديدة للحصول عليها، فان تدقيق وتحليل مفهوم الضربة الاستباقية يؤكد أن التهديد يشمل وجود منافسين

للولايات المتحدة في المجالات التكنولوجية والتجارية والعلمية، واحتمال تفوق هؤلاء مستقبلاً عليها، وفي هذه الحالات على الولايات المتحدة أن تسارع لاحتواء كل هؤلاء ومنعهم من تحقيق أي تفوق عليها واستخدام كافة السبل، وبلا استثناء، بما في ذلك الغزو العسكري والتدمير الاقتصادي والتكنولوجي، لضمان إعادة تشكيل العالم وفقا لرؤية ومصالح الولايات المتحدة فقط لا غير.

استخدام الضربات الاستباقية في مواجهة الإرهاب:

تأتي الضربات الاستباقية لأجهزة الأمن، لتعمق جراح تنظيم الإخوان الإرهابي، وتزيده أوجاعاً، بعدما نجحت في تقويض بنائه وشل حركته، وإحباط مخططه الخسيس، لنشر العنف والفوضى في الشارع المصرى، تلك الضربات التي بدأت منذ مارس ٢٠١٥، وأتت بثمارها في اقتلاع جذور الإرهاب من أرض مصر الطيبة. أن الضربات الاستباقية لرجال الشرطة تؤكد أن وزارة الداخلية تسير على الطريق الصحيح.

وإنه منذ أن بدأت الحرب على الإرهاب في مصر كنا نتعامل بسياسة رد الفعل بعد كل حادث إرهابي، إلي أن تم توجيه عدداً من الضربات القوية التي أصابت الإرهاب في مقتل.

وكشف قطاع الأمن الوطني بوزارة الداخلية جهوده خلال الفترة الماضية، لإحباط مخططات الجماعة الإرهابية التي تستهدف تنفيذ عمليات عدائية ضد مؤسسات الدولة ورجال الجيش والشرطة والقضاء، خلال التظاهرات التي تدعو إليها فى كل مناسبة، وضبط القائمين عليها، وهو ما كان له أثر إيجابي في تحقيق الأمن والاستقرار بالشارع المصري.

وبعد الكشف عن الخلية الإرهابية في مزارع البحيرة وما تحويه من أسلحة ومتفجرات ومخابئ سريه تحت الأرض، وكنز معلومات عن الإرهاب وما يخططون له وعن مموليهم، وفي نفس الوقت كان الكشف عن الخلية الإرهابية في قنا وإحباط ما كانوا يخططون له، وكذا الكشف عن الخلية الإرهابية في كفر الشيخ وأخيراً الخلية

الإرهابية في دمياط، كل هذه النجاحات تؤكد أن جماعة الإخوان هم من يريدون دمار البلاد.

وأن القياديين الإخوانيين شكري نصر محمد البر ورجب عبده مغربي، مسئولي التنظيم بكفر الشيخ هم من وفرا مزرعتين بنطاق البحيرة والإسكندرية بها العديد من المخابئ السرية تحت الأرض.

وفي النهاية يتم التأكيد أن القيادات الإخوانية بالبلد تلقت تكليفات من قيادات الاخوان بقطر وتركيا بتشكيل مجموعات وكيانات إرهابية للعمل على إحداث حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، وتأجيج الفتن الداخلية. واستطاعت الداخلية أن تفك طلاسم خريطة الإرهاب وتقتحم البؤر الإرهابية قبل تنفيذ مخططاتها.

وقامت وزارة الداخلية بتفعيل الضربات الاستباقية التي ساهمت في زلزلة التنظيمات الإرهابية، وإحباط مخططات المتطرفين لارتكاب العديد من الأعمال التخريبية بالبلاد خلال الفترة المقبلة، وجعلت الكوادر الإخوانية تتساقط في قبضة الأمن، بعد نجاح الأجهزة المعلوماتية بوزارة الداخلية في رصد تحركات العناصر المتطرفة وفك طلاسم خريطة الارهاب ومداهمة البؤر الارهابية في ضربات استباقية متتالية شلت حركت الإرهاب وجعلته يتساقط في قبضة الأمن.

ونجحت الضربات الاستباقية في إسقاط ١٣ كادر إخواني تلقوا تكليفات من قيادات الإخوان بالخارج للقيادات داخل البلاد، بتشكيل مجموعات لهذه الكيانات بمحافظات «دمياط، والبحيرة، والإسكندرية، وكفر الشيخ»، لتنفيذ سلسلة من التفجيرات والعمليات العدائية ضد مؤسسات الدولة، ومنشآتها الحكومية، والمسيحية، وعدد من الشخصيات العامة، ورجال الشرطة، بهدف إحداث حالة من الفوضى، وعدم الاستقرار، والعمل على تأجيج الفتن الداخلية، وعثر بحوزتهم على نصف طن مواد متفجرة وألغام تستخدم في حفر الأنفاق ومفجرات حروب وأدوات تصنيع العبوات الناسفة والقنابل، قبل ارتكابهم سلسلة من العمليات الإرهابية بالبلاد.

وواصل جهاز الأمن الوطني ضرباته الاستباقية لكشف البؤر الإرهابية التى تعتنق الأفكار الجهادية والتكفيرية، والتى تستهدف تنفيذ عمليات عدائية ضد رجال الشرطة والقوات المسلحة ومؤسسات الدولة، وكذا المنشآت الهامة والحيوية وممتلكات أبناء الطائفة المسيحية ودور عبادتهم،

وواصلت وزارة الداخلية جهودها لكشف البؤر الإرهابية التي تعتنق الأفكار الوهابية التكفيرية والتي تستهدف تنفيذ عمليات عدائية ضد رجال الشرطة والقوات المسلحة ومؤسسات الدولة، وكذا المنشآت المهمة والحيوية وممتلكات أبناء الطائفة المسيحية ودور عبادتهم، حيث نجحت في قتل أحد العناصر التكفيرية شديدة الخطورة بدمياط وبحوزته كمية من الأسلحة والعبوات الناسفة.

ضربات استباقية سحقت الإخوان والسلفيين، هكذا دمر الأمن الوطني أوكار الوهابية في مصر

تمكن قطاع الأمن الوطني بوزارة الداخلية خلال شهر من إحباط عشرات العمليات الإرهابية التي خطط لها ومولها التنظيم الدولي للجماعة الإرهابية الهاربين في الخارج بالتحالف مع المليشيات الوهابية السلفية لتنفيذها على الأراضي المصرية، فيما توافرت معلومات لقطاع الأمن الوطنى بصدور تكليفات من قيادات الإخوان بالخارج للقيادات الإخوانية والسلفية داخل البلاد بتشكيل مجموعات إرهابية بمحافظات دمياط، والبحيرة، والإسكندرية، وكفر الشيخ لتنفيذ سلسلة من التفجيرات والعمليات العدائية ضد مؤسسات الدولة ومنشآتها الحكومية والمسيحية، وعدد من الشخصيات العامة ورجال الشرطة؛ بهدف إحداث حالة من الفوضى وعدم الاستقرار والعمل على تأجيج الفتن الداخلية.

وواصلت وزارة الداخلية جهودها لكشف البؤر الإرهابية التي تعتنق الأفكار الوهابية التكفيرية والتي تستهدف تنفيذ عمليات عدائية ضد رجال الشرطة والقوات المسلحة ومؤسسات الدولة، وكذا المنشآت المهمة والحيوية وممتلكات أبناء الطائفة

المسيحية ودور عبادتهم، حيث نجحت في قتل أحد العناصر التكفيرية شديدة الخطورة بدمياط وبحوزته كمية من الأسلحة والعبوات الناسفة، بينما اضطلعت خلية أخرى بالهجوم على كمين النقب بالوادى الجديد واستشهاد عدد من أفراده وأمكن تحديد المتورطين وضبط بعضهم، ومصرع اثنين منهم حال مقاومتهما أثناء عملية ضبطهما، كما تم توجيه ضربة أمنية مؤخرًا لخلية ثالثة تابعة لذات البؤرة أسفرت عن مصرع سبعة من أبرز كوادرها أثناء ملاحقتهم بنطاق الجبل الشرقى بمحافظة أسيوط أبريل الجارى، وأسفر ذلك عن ضبط العديد من الأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة وأنواع أسلحة مختلفة وكميات من الذخيرة ومجموعة من الكتب التكفيرية، وجاري ملاحقة العناصر الهاربة السابق الإعلان عن صورهم وبياناتهم، كما تهيب الوزارة بالمواطنين بسرعة الإبلاغ عن أي معلومات تسهم فى ضبطهم.

فيما أعلنت وزارة الداخلية في بيان لها عن زيادة المكافأة المالية إلى مبلغ خمسمائة ألف جنيه لمن يتقدم بمعلومة تُمكن أجهزة الأمن من ضبط أى عنصر من الهاربين المتهمين في تفجير الكنائس، وتتقدم بالشكر لكل من أدلى بمعلومات ساهمت في التوصل للعناصر الهاربة حفاظًا على أمن واستقرار البلاد وتؤكد على الاحتفاظ بالسرية الكاملة لكل من يساهم بتقديم أي معلومات.

وأعلنت وزارة الداخلية عن نجاحها في تصفية ٧ إرهابيين بجبل أسيوط تابعين لتنظيم «داعش» الإرهابي وقالت وزارة الداخلية إنه فى إطار ملاحقة العناصر الإرهابية الهاربة فى القضية رقم ٣٨٥ / ٢٠١٧ حصر أمن دولة عليا، والسابق ضبط عدد من المتهمين فيها، فقد توافرت معلومات لدى قطاع الأمن الوطنى باتخاذ مجموعة من هؤلاء العناصر ممن يعتنقون فكر تنظيم داعش الإرهابى إحدى المناطق الجبلية بمحافظة أسيوط وكرًا لاختبائهم، ولتجهيز العبوات المتفجرة تمهيدًا لارتكاب سلسلة من الأعمال الإرهابية.

وأضافت الوزارة أنه عقب اتخاذ الإجراءات القانونية تم مداهمة الوكر المشار إليه والكائن بجبل عرب العوامر دائرة مركز أبنوب بمنطقة الظهير الصحراوى

الشرقى لمحافظة أسيوط، إلا أنه حال استشعار العناصر الإرهابية باقتراب القوات قاموا بإطلاق الأعيرة النارية بكثافة، مما دفع القوات للتعامل معهم وأسفر ذلك عن مصرع سبعة عناصر من الإرهابيين أمكن تحديد عدد ثلاثة منهم، ومصرع ٢ من العناصر الإرهابية إثر تبادل لإطلاق النار بمزرعة البحيرة، ضبط ٥ عناصر إرهابية بوكر بالإسكندرية والعثور بحوزتهم على أسلحة نارية ومواد تستخدم في المتفجرات، ضبط قنابل ومواد متفجرة فى شقة بالمنوفية.

وفي نفس السياق أعلنت وزارة الداخلية تلقى قطاع الأمن الوطنى لمعلومات تفيد باتخاذ عناصر الكيان المسلح لجماعة الإخوان الإرهابية والذى يتخذ مسمى (حسم، لواء الثورة) لوحدتين سكنيتين بنطاق محافظتى (الإسكندرية، المنوفية) ومزرعة بمحافظة البحيرة أوكارًا لإيواء وتدريب عناصرها على إستخدام السلاح وتصنيع العبوات المتفجرة، وكذا تخزين الأسلحة والعبوات والمواد المستخدمة فى عمليات التصنيع.

وأكدت الوزارة تجهيز تلك العناصر لعدة عبوات لاستخدامها فى ارتكاب الحوادث الإرهابية التى كانوا يعتزمون تنفيذها خلال الفترة القادمة وتمكنهم من زرع إحداها بالقرب من قسم شرطة ثان الرمل / الإسكندرية بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٧ لاستهداف قوات الشرطة حال تحركها، إلا أن يقظة القوات حالت دون ذلك، كذا تخطيطهم لتنفيذ عدد من حوادث الاغتيالات لرجال الشرطة وتمكنهم بالفعل من إغتيال أ.ش/ جمال الديب من قوة قطاع الأمن الوطنى بالبحيرة.

وأعلنت وزارة الداخلية عن تمكنها من تصفية مسؤول الحراك المسلح «حسم» بجماعة الإخوان بعد تبادل لإطلاق الرصاص مع قوات الأمن بدمياط.

وقالت وزارة الداخلية في بيان لها، إنه فى إطار الجهود المبذولة لكشف ملابسات واقعة وفاة الخفير النظامى مسعود عبدالله حسن الأمير -من قوة مركز شرطة دمياط- خلال مارس الماضى وتحديد وضبط مرتكبيها فتوافرت معلومات حول اختفاء أحد منفذى الحادث عضو الحراك المسلح الهارب محمد عادل عبده بلبولة مواليد

١٩٨٤ نجار ومقيم قرية البصارطة في دمياط بمنطقة المزارع السمكية «السيالة» دائرة مركز شرطة دمياط.

وأضافت الوزارة أنه تم التعامل الفورى مع تلك المعلومات وإعداد الأكمنة اللازمة إلا أنه حال محاولة القوات استيقافه أثناء قيادته دراجة بخارية قام بإطلاق النيران على القوات مما دفعها للتعامل معه وأسفر ذلك عن مصرعه والعثور بحوزته على بندقية آلية بداخلها ٩ طلقات وتم التحفظ على الدراجة البخارية قيادته.

وأعلنت وزارة الداخلية أنه فى إطار الجهود الأمنية المبذولة للحفاظ على حالة الاستقرار الأمنى بالبلاد فقد توافرت معلومات، تفيد اضطلاع عدد من أعضاء تنظيم الإخوان الإرهابى التابعين لجبهة القيادى المتوفى محمد محمد كمال (قائد الجناح المسلح للتنظيم) بمحافظة الإسكندرية، بعقد لقاء تنظيمى بأحد المراكز التعليمية؛ للتخطيط لإعادة هيكلة جبهتهم عقب توجيه عدة ضربات أمنية لها والعمل على تصعيد عملياتهم العدائية خلال الفترة المقبلة، بهدف تقويض مؤسسات الدولة وتم استهدافهم وضبط عدد (١٣) منهم.

وفى ذات الإطار تم ضبط عدد (٦) عناصر بإحدى الشقق السكنية بذات المدينة كانوا يسعون لإثارة الذعر والبلبلة في أوساط المواطنين من خلال طباعة منشور ورقى منسوب صدوره لوزارة الداخلية يتضمن عبارة «الشرطة تهيب بالمواطنين توخى الحذر خشية الاختطاف» ومزيل بعبارة «تحيا مصر»، وعُثر بحوزة المضبوطين على ما يلى «مبالغ مالية مصرية وأجنبية، مجموعة كبيرة من الأوراق التنظيمية».

وأكد مصدر أمنى مسئول أن مأموريات من الأمن الوطنى والعمليات الخاصة بالتنسيق مع مديريات الأمن بالمحافظات للبحث عن أعضاء الخلية الإرهابية الهاربة والمتهمين بالتخطيط وتنفيذ العمليات الانتحارية على الكنائس.

وأضاف المصدر أن الفريق مكون من عناصر من قطاعات الأمن العام والأمن الوطنى وجميع قطاعات الوزارة المعنية بالتعاون مع مديريات الأمن لسرعة ضبط

الإرهابيين، وأكد المصدر أنه يتم تكثيف الجهود داخل محافظاتهم وإغلاق مداخل ومخارج تلك المحافظات، بالإضافة إلى تمشيط الظهير الصحراوى وإغلاق مداخل العاصمة وتوسيع دائرة الاشتباه لضبط الجناة.

وقالت وزارة الداخلية في بيان لها: إن معلومات توافرت لقطاع الأمن الوطني تفيد تورط التكفيري (السيد السيد غازي كحله) بقيام المذكور بإعداد وتجهيز عدد من العبوات الناسفة لاستخدامها في ارتكاب سلسلة من الحوادث الإرهابية خلال الفترة القادمة، وتمكنت مأمورية أمنية من تصفيته.

وتمكن قطاع الأمن الوطني والأمن العام بوزارة الداخلية من تحديد وضبط ١٣ من تلك العناصر الإرهابية وتحديد مزرعتين بنطاق محافظتي البحيرة الإسكندرية، عبارة عن العديد من المخابئ السرية تحت الأرض ضبط بها كميات كبيرة من المتفجرات والألغام والأسلحة النارية فى المخابئ ومن ضمنها ضبط ١٢ مفجرًا حربيًا يُستخدم فى إعداد الأحزمة الناسفة.

وأعلنت وزارة الداخلية في بيان لها أنه استمرارًا للجهود المبذولة لملاحقة الجناح المسلح لتنظيم الإخوان الإرهابى، والتى أسفرت مؤخرًا عن ضبط العديد من عناصره المرتكبين للعديد من الحوادث الإرهابية، كما تم تحديد مزرعتين بنطاق محافظتي البحيرة، الإسكندرية، يمتلكهما القياديان شكرى نصر محمد البر، ورجب عبده عبده مغربى، مسئولا التنظيم بمحافظة كفر الشيخ، عبارة عن العديد من المخابئ السرية تحت الأرض يتم استخدامهما كوكر لتصنيع العبوات المتفجرة وتخزين الأسلحة والذخائر بمختلف أنواعها لحين تسليمها للعناصر المنفذة للحوادث الإرهابية.

وتم توجيه القوات بمشاركة قطاعات الوزارة المعنية ورجال الحماية المدنية وفرق المفرقعات لاستهداف وتفتيش المزرعتين عقب استئذان نيابة أمن الدولة، حيث أسفرت النتائج عن ضبط عدد من أجهزة تصنيع مادة XDR شديدة الانفجار تستخدم فى تصنيع العبوات المتفجرة، كميات هائلة من بودرة وعجينة XDR، وعاء حديدى

كبير الحجم يستخدم فى تكثيف الحمض الخاص بمادة XDR، أعداد كبيرة من البنادق الآلية والأسلحة الرشاشة والخرطوش وبنادق NF والسلاح الجرينوف المتعدد والطبنجات ٩ مم بالإضافة إلى كميات كبيرة من الذخائر والخزن الخاصة بها.

وتم ضبط ألغام أرضية مضادة للأفراد مدون عليها عبارات باللغة الفارسية، قنابل ١F يدوية، كميات كبيرة من القطع الحديدية صغيرة الحجم ورمان البلى يستخدم في تجهيز العبوات الناسفة، كميات كبيرة من بوادئ الانفجار معدة للاستخدام وتحت التجهيز، دوائر توصيل كهربائية ومعدات للتفجير عن بعد، كميات كبيرة تزن نصف طن من مادة نترات الصوديوم، كمية من مادة TNT شديدة الانفجار، ١٢ مفجراً حربياً يستخدم فى إعداد الأحزمة الناسفة.

كما تم ضبط عدد كبير من العبوات الناسفة مختلفة الأحجام جاهزة للتفجير وهياكل عبوات متفجرة بداخلها قطع حديدية صغيرة الحجم، كمية من حمض النايتريك، أقماع نحاسية تستخدم فى تكبير وتوجيه الموجة الانفجارية، نظارة مزودة بكاميرا وكارت ميمورى محمل عليه بعض الأهداف المزمع استهدافها، كمية كبيرة من المواد الكيميائية والأدوات والآلات المستخدمة فى تصنيع العبوات المتفجرة، كما أعلنت وزارة الداخلية عن الخلية الإرهابية المتورطة فى ارتكاب حادثي تفجير كنيستي المرقسية بالإسكندرية، ومار جرجس بطنطا.

حيث رصدت أجهزة الأمن تحركات«السيد كحله» بمحافظة دمياط الذي كان يعد عدداً من العبوات الناسفة لاستخدامها فى ارتكاب سلسلة من الحوادث الإرهابية خلال الفترة المقبلة، وتبين أنه من العناصر التكفيرية شديدة الخطورة المعتنقة للأفكار الجهادية والتكفيرية، وأثناء مداهمة مكان وجوده تبادل إطلاق الرصاص مع الشرطة مما أسفر عن مقتله.

ونجحت الضربات الإستباقية أيضاً لأجهزة الأمن في ضبط ٣ من المحرضين على استهداف كنيستى طنطا والاسكندرية، قبل ارتكابهم سلسلة من الأعمال التخريبية

تستهدف دور العبادة خلال الفترة المقبلة، فتم ضبط «سلامة. و» ويقيم بها الأشراف البحرية - مركز قنا - حاصل على ليسانس حقوق ويعمل عامل بشركة لحفر آبار المياه، و»عبد الرحمن.ح» ويقيم بقرية المخادمة - مركز قنا - أخصائى اجتماعى بمعهد أزهرى، و»على.ش «، ويقيم بقرية الأشراف البحرية - الشويخات -مركز قنا - حاصل على دبلوم فنى صناعى.

الضربات الاستباقية لم تتوقف عند هذا الحد، وإنما تم رصد ٦ كوادر إرهابية يتواصلون مع داعش في الصعيد، وتم مداهمة وكر لهم في صحراء أسيوط والاشتباك مع المتهمين مما أسفر عن مقتلهم جميعاً، وضُبط بالمكان أوراق تنظيمية وخرائط تؤكد تخطيطهم لارتكاب سلسلة من استهداف الكنائس في الصعيد واغتيال شخصيات قبطية، إلا أن الأمن وصل لهم قبل تنفيذ مخططاتهم الإرهابية.

وهذا ما يؤكد أن مواجهة الإرهاب فى مصر تتم فى صورة ملحمة وطنية شعبية رفيعة تتضافر فيها فعاليات جميع قطاعات المجتمع فى لحمة وتآزر مع الجهود المضنية التي تبذلها القوات المسلحة الباسلة والشرطة الوطنية.

وأن المؤامرة الحقيقية للإرهاب تستهدف نسيج الدولة بشكل مخطط ومنظم، ورغم النجاحات الضخمة التي حققتها قوات الشرطة والجيش فى مواجهة تلك المخططات إلا أن المعركة لم تنتهِ وأن وزارة الداخلية مصرة كل الإصرار على كسر شوكة الإرهاب، والوقوف بصلابة ضد الموجة الإرهابية الشرسة والتى أصبحت آفة دولية.

كما أنه لا توجد دولة فى العالم يمكنها أن تحمى نفسها بمفردها من الإرهاب، وهو ما يتطلب جهداً ممنهجاً إقليمياً ودولياً لمواجهة هذه الظاهرة، مع ضرورة أن يعى الجميع طبيعة المرحلة وتحدياتها، حيث أن هناك جهوداً ضخمة تبذل بسيناء لإقرار الأمن والإستقرار بها وأن الحالة الأمنية أصبحت أفضل بكثير بعد النجاحات الأمنية التى تحققت وبات يشعر بها المواطن السيناوى، حيث أن النهج التدريبى لأعضاء هيئة الشرطة يعد من الثوابت الإستراتيجية لدى الوزارة لصقل قدراتهم فى مواجهة

الجريمة سواء الجنائية أو الإرهابية، كما يشمل بذات القدر إدماج قيم ومفاهيم حقوق الإنسان فى منظومتها التدريبية.

● وخلال أربعة أيام فقط، نجح قطاع الأمن الوطني، بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية المعنية في ضبط ٧ أوكار للتنظيمات الإرهابية المنتمية لتنظيم الإخوان الإرهابي، وفي مقدمتها أجناد مصر، والحراك المسلح ولواء الثورة بمحافظات القاهرة والفيوم والشرقية وأسوان، وبداخلها كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة والنارية والمواد التفجيرية، التي كانوا يعتزمون استخدامها خلال التظاهرات. لاستهداف مؤسسات الدولة، ورجال الجيش والشرطة والقضاء، والمواطنين الأبرياء، لكن الضربات الأمنية الناجحة أصابتهم في مقتل ودحضت مخططاتهم الدنيئة.

وبعد فشل تلك الدعوات الإثارية لعناصر تنظيم الإخوان الإرهابي، دبت الخلافات بين إخوان الداخل، وقيادات التنظيم الدولي للجماعة الإرهابية بالخارج، حيث اتهم إخوان الداخل قياداتهم بالزج بهم في مواجهات مع المواطنين والدولة، في الوقت الذي ينعم فيه هؤلاء القيادات وحلفاؤهم من المرتزقة السياسيين، بأموال أجهزة المخابرات والدول المعادية لمصر.

لقد تيقن الجميع بعد فشل تلك الدعوات، من أن الجماعة الإرهابية صارت جزءا من الماضي، موصوماً بالعار والخيانة، لتؤكد انتهاء تواجدها الفعلي على أرض الواقع في الشارع المصري، في الوقت الذي يلقن المواطن المصري الأصيل تلك الجماعة درساً في الوطنية والانتماء، ويؤكد أنها لن تستطيع أن تستخدمه لهدم الوطن، وأنه سيظل دائما معولاً للبناء وليس للهدم.

أمثلة للضربات الاستباقية:

-شن جهاز الأمن الوطني في الدقهلية بالتنسيق مع مديرية أمن الدقهلية عدداً من ضرباته الاستباقية لضبط العناصر الإخوانية الخطرة، حيث تمكنت خلال يومين من ضبط ٥ عناصر إخوانية، ثلاثة منهم بمركز المنزلة واثنان منهم بمركز طلخا،

وبحوزتهم أجهزة لاب توب وهواتف محمولة ومنشورات تضمن رسائل تحريضية ضد الدولة وتدعو لاعتناق الفكر التكفيرى والجهادى.

-قد أكدت تحريات جهاز الأمن الوطنى بقيام كل من برهام عاصى عبد الهادى مزارع ٥٠ سنة، ومقيم بالروضة طلخا، والمغاورى فاروق عبد المنعم ٤٠ سنة ومقيم بالروضة طلخا مزارع، بالقيام بتحركات تهدف إلى نشر الفكر التكفيرى والجهادى لاستهداف مؤسسات الدولة والممتلكات العامة وإثارة الفوضى وحيازة منشورات تحريضية ضد الجيش والشرطة ومؤسسات الدولة.

وبتقنين الإجراءات واستئذان النيابة تمكن جهاز الأمن الوطنى بالتنسيق أجهزة الشرطة من ضبطهم وبحوزتهم هواتف محمولة عليها رسائل تحريضية ومنشورات تحتوى على الفكر الإخوانى والفكر التكفيرى والجهات وتدعو إلى إثارة الشغب والعنف وهدم مؤسسات الدول .

-كما وردت معلومات لضباط الأمن الوطنى بقيام كل من أشرف ال م ال ف ٥٠ سنة فنى معامل بالإدارة الصحية بالمنزلة، ومقيم بأرض صقر ببندر المنزلة، وعبدالمنعم ج ب ال ٣١ سنة ليسانس آداب ومقيم بشارع الفقاعى بندر المنزلة ومحمد م ا ع ٤٢ سنة مدرس بمدرسة الصنايع، ومقيم بقرية المواجد وخالد م ع ع ال ١٨ سنة، طالب ومقيم بشارع الرياح ببندر المنزلة «هارب» بالقيام بتحركات تهدف إلى نشر الفكر التكفيرى والجهادى لاستهداف مؤسسات الدولة والممتلكات العامة وإثارة الفوضى.

ونجحت أجهزة وزارة الداخلية فى ضبط ٣ منهم فيما تمكن الرابع من الهرب وبتفتيشهم عثر بحوزتهم على أجهزة لاب توب وأجهزة محمول عليها رسائل ومنشورات تحريضية ضد الدولة.

- في ضربات استباقية، أحبطت قوات مكافحة الإرهاب في شمال سيناء محاولات لاستهداف القوات بمتفجرات أثناء سيرها على طرق بمناطق الشيخ زويد ورفح. فيما قرر مجلس الدفاع الوطني نشر قوات من الجيش في جميع المحافظات

للمساعدة في حماية المنشآت وتأمين الطرق، إضافة إلى المشاركة في ضبط المطلوبين والخارجين عن القانون.

- خطوات ملموسة اتخذها الجيش والشرطة لمواجهة الجماعات المتطرفة في سيناء خصوصاً بعد تطبيق استراتيجية توحيد قيادة القوات الأمنية في ما يعرف بمنطقة شرق القناة.

- وفي القاهرة قال بيان صادر عن وزارة الداخلية المصرية، أن اشتباكات بين قوات أمن الطريق الدائري قبل نفق السلام تجاه مدينة القاهرة الجديدة ومسلحين كانوا يحاولون اختطاف أحد المواطنين أسفر عن مقتل مسلحين اثنين وإصابة آخر.

أن الإرهاب يتنوع فى عملياته نتيجة الضربات الاستباقية التي توجهها القوات المسلحة بمدينة شمال سيناء مما أدى إلى هروبهم إلى عدد من المدن والمحافظات الأخرى. وإن التنظيم الإرهابى يحاول الهرب من الملاحقات الأمنية المستمرة من قبل الأمن.

أن العناصر الإرهابية المأجورة والجهات الإقليمية والدولية التى توجههم يعرفون تماما أن معركة الإرهاب فى مصر خاسرة، وأنهم يواجهون أبطالاً وقيادة سياسية واعية ولذا سيندحرون من حيث ما جاءوا ولكنهم يواصلون أعمالهم الإجرامية من منطلق التشويش على الخطوات المصرية ناحية التنمية والتطور والإصلاح الاقتصادى.

وأنه بالرغم من بعض الضربات الإرهابية التى تقوم بها بعض العناصر الإجرامية هنا وهناك، إلا أن هذا لن يغير حقيقة أن مصر نجحت من خلال قيادتها السياسية، وجناحي أمن الوطن، وهما القوات المسلحة الباسلة، ورجال الشرطة، فى تحقيق نقلة نوعية فى مواجهة الإرهاب، والتخفيف من وطأته إلى أقل حد ممكن من الإضرار، علاوة على تحقيق طفرة فى المواجهة النوعية، وتحويل أسلوب مكافحة الإرهاب، من رد الفعل، إلى امتلاك زمام المبادرة وتوجيه ضربات استباقية مؤثرة واجهاض العديد من العمليات الإرهابية التى خطط لها المجرمون.

فى إطار جهود الوزارة بمجال تتبع وملاحقة كوادر وعناصر جناح الحراك المسلح الإخوانى وتحديد أوكارهم التنظيمية التي يتخذونها مأوى لهم خشية الملاحقات الأمنية.

فقد أكدت المعلومات بإختباء كلٍ من عضوى الحراك المسلح الهاربان (عبدالله رجب على عبد الحليم) مواليد ١٩٩٢/٥/١ «مهندس» يقيم قرية العدوة / مركز الفيوم، محمد عبدالستار إسماعيل مصطفى غيث، مواليد ١٩٧٣/٧/٣ «مدرس» يقيم بعزبة الفار -قرية المهدية- أبو المطامير/البحيرة، مطلوب ضبطهما وإحضارهما فى القضية رقم ٢٠١٧/٢٤٠ حصر أمن دولة عليا، الجناح المسلح لتنظيم الإخوان الإرهابى، بقطعة أرض زراعية على الطريق الدولى/مركز طنطا.

وحال إقتراب القوات من المكان المُشار إليه فوجئت بإطلاق أعيرة نارية بكثافة مما دفعهم إلى التعامل مع مصدر النيران وأسفر ذلك عن مصرعهما والعثور بالمكان على عدد ٢ بندقية آلية وكمية من الذخيرة.

يشار إلى أن المذكورين من مسئولى تصنيع ونقل العبوات الناسفة للحركات المسلحة التابعة لتنظيم الإخوان الإرهابى (حسم، لواء الثورة) حيث أكدت المعلومات اضطلاع الأول بتصنيع العبوة المستخدمة فى واقعة استهداف أفراد الشرطة بمحافظة الغربية أثناء خروجهم من مركز تدريب قوات الأمن بتاريخ ٢٠١٧/٤/١ مما أسفر عن استشهاد إثنين من أفراد الشرطة وإصابة آخرين، واضطلاع الثانى بنقل وإيواء العناصر القائمة على تنفيذ الواقعة (موضوع القضية رقم ٢٠١٧/١١٥٤٢ جنح مركز طنطا)، بالإضافة إلى تلقيهم التدريبات على تصنيع العبوات المتفجرة بإحدى المزارع الكائنة بقرية الإمام الغزالى / مركز الدلنجات / محافظة البحيرة، والتى كانت تستغل فى تصنيع العبوات المتفجرة والتي تم استهدافها مؤخراً والعثور بها على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والعبوات المتفجرة والمواد التي تدخل في تصنيعها.

تم اتخاذ الإجراءات القانونية حيال الواقعة المشار إليها، وتوالى نيابة أمن الدولة العليا التحقيق فيها.

لم يتخيل أحداً أن يعود الأمن لمصر مرة أخرى بعد أحداث جمعة الغضب في ٢٨ يناير ٢٠١١، إلا أن المولى عز وجل هيأ لها رجالاً حافظوا على أمنها بمساندة شعبية كبيرة.

ومنذ ٥ مارس ٢٠١٥ حرصت وزارة الداخلية على إعادة الأمن لهذا الوطن، خلال تبنيه الضربات الاستباقية المتكررة لوأد الجماعات الإرهابية، حيث نجحت الداخلية تصفية بعض الجماعات الارهابية والقبض على البعض الآخر، فتم ضبط أخطر خلية إرهابية، والتى تمركزت فى منطقة جنوب الجيزة، وضمت ١٧ متهماً اعتنقوا فكر تنظيم «داعش» الإرهابى، وألقت الأجهزة الأمنية القبض على ١٢ منهم، بينما تم تصفية ٤ فى تبادل لإطلاق النار مع الشرطة أثناء القبض عليهم، أحدهم كان فى حلوان، بينما كان الـ٣ الآخرين فى دمياط؛ وذلك قبل تنفيذهم عملية إرهابية كبرى.

وفى إبريل عام ٢٠١٥، كانت الأجهزة الأمنية قد دقّت المسمار الأخير فى نعش الخلية الإرهابية المسماة ب»أجناد مصر»؛ وذلك بعد تصفية قائدها همام عطية، فى معركة مسلحة بمنطقة فيصل بالجيزة، تلك الخلية التى نفذ عناصرها عشرات من العمليات الإرهابية ضد رجال الشرطة فى أنحاء متفرقة من القاهرة الكبرى، لكن معظمها وأخطرها كانت فى الجيزة.

ومنذ اللحظات الأولى لظهور حركة «حسم» الإرهابية، أيقنت الأجهزة الأمنية، أنها تتعامل مع خلية عنقودية رئيسية تابعة لجماعة الإخوان الإرهابية، ومن الضرورى بذل جهد مكثف لتقويض نشاط كوادرها وإفشال مخططاتهم الإجرامية ضد مؤسسات الدولة، وأعلنت وزارة الداخلية أن تحريات الأجهزة الأمنية أكدت أن الخلية نتاج مخطط قيادات الإخوان الهاربة بالخارج، بتطوير هيكلها التنظيمى بالداخل، وتشكيل كيانات مسلحة بمسميات جديدة، منها (حركة سواعد مصر – حسم – لواء الثورة)، واستغلالها كواجهة إعلامية تنسب إليها عمليات العنف التى تنفذها الجماعة الإرهابية.

وتم كشف غموض جرائم «حسم» الإرهابية، بعد ضبط عناصرها، فى ضربة قوية لقوى الشر فى البلاد، والذين اعترفوا بارتكاب العديد من العمليات الإرهابية، من أبرزها محاولة اغتيال الدكتور على جمعة مفتى الجمهورية السابق، فى هجوم بالأسلحة الخفيفة على شخصه، بأحد أحياء مدينة ٦ أكتوبر، واغتيال العميد عادل رجائى قائد الفرقة التاسعة مدرعات، أمام منزله بمدينة العبور بالقليوبية، ومحاولة اغتيال النائب العام المساعد المستشار زكريا عبدالعزيز، بحى البنفسج بالقاهرة الجديدة، باستخدام عبوة ناسفة تم تفجيرها عن بعد بالقرب من موكبه.

ومحاولة اغتيال القاضى أحمد أبوالفتوح، عضو محكمة الجنايات، التى أصدرت حكماً على الرئيس المعزول محمد مرسي وعدد من قيادات الإخوان، بمحاولة تفجير سيارته أثناء توجهه لصلاة الجمعة بأحد أحياء مدينة نصر بالقاهرة، فضلاً عن اغتيال أمين شرطة بقطاع الأمن الوطنى بمحافظة البحيرة، واغتيال أمين شرطة بمباحث تنفيذ الأحكام بأكتوبر، وتفجير مقر نادى الشرطة بمحافظة دمياط، وأخيراً تبنيها لحادث استهداف كمين أمنى بالهرم، باستخدام عبوة متفجرة، تسببت فى استشهاد ٦ من قوات الأمن بينهم ضابطان، وحرص وزير الداخلية على تدعيم منطقة سيناء بكوادر أمنية كبيرة وزارها بنفسه عدة مرات ووجه ضربات استباقية نجحت في ضبط العديد من الخلايا الإرهابية.

حققت وزارة الداخلية خلال ٣٦٥ يومًا العديد من النجاحات والضربات الأمنية الاستباقية من خلال رؤية اعتمد فيها على تفعيل استراتيجية إحباط العمليات الإرهابية والجرائم الجنائية قبل حدوثها عن طريق ضرب البؤر الإرهابية والجنائية في مختلف المحافظات النشطة إرهابيًا على الرغم من تنفيذ الجماعة الإرهابية عدة هجمات إرهابية أودت بحياة العشرات من المصريين.

في نفس السياق قال مصدر أمني: إن مواجهة الإرهاب مهمة صعبة للغاية إلا أن الكوادر الأمنية المصرية بوزارة الداخلية خلال أقل من عام نجحت في تحقيق العديد من النجاحات والضربات الأمنية الاستباقية من خلال رؤية جديدة تستهدف

تفعيل إستراتيجية إحباط العمليات الإرهابية والجرائم الجنائية قبل حدوثها، عن طريق ضرب البؤر الإرهابية والجنائية في مختلف المحافظات النشطة إرهابيًا، وهو ما كشفت عنه البيانات الإعلامية للوزارة بتحقيق الضربات الاستباقية المكثفة ومنها ضبط أكبر مزرعة بمحافظة البحيرة تحوي أطنان من المتفجرات والقنابل والآلاف من الأسلحة التركية والإيرانية.

ولفت المصدر الأمني إلى أن وزارة الداخلية رصدت العديد من المخططات التي انتوت جماعة الإخوان الإرهابية تنفيذها مستغلة الأزمات الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وأبرزها التلاعب في سوق صرف العملات الأجنبية والاستيلاء على السلع الاستراتيجية واحتكارها كالزيت والسكر وغيرها، بالإضافة إلى تكوين خلايا عنقودية لإثارة الرأي العام، وهو ما نجحت الوزارة في إحباطه خلال العام الحالي.

في سياق متصل نجحت الوزارة في تنفيذ العديد من الضربات الاستباقية ضد الجماعة والتنظيمات والحركات الإرهابية وأعضاء اللجان النوعية والقيادات الوسطى، وكذلك القبض على الكثير من أعضائها أو تصفيتهم إضافة إلى القبض على أبرز ١٠٠ قيادي من المنتمين لهم في جميع محافظات الجمهورية بمعدلات قياسية حدت من موجة الإرهاب التي كانت تستهدف تخريب المنشآت الحيوية ومحاولة بث حالة من عدم الاستقرار في المجتمع المصري.

الجيش المصري يوجه ضربات استباقية للمتطرفين في سيناء.

- ضربات استباقية في سيناء أفشلت ٤ هجمات على الأقل للمتطرفين على مقار للجيش ومكامن ومراكز للشرطة المصرية في شمال سيناء كادت أن تسفر عن نتائج كارثية حال نجاحها في تحقيق أهدافها.
- أفادت مصادر أمنية بأن قوات الأمن تمكنت من قتل ٢٢ عنصراً من جماعة أنصار بيت المقدس المتطرفة أثناء محاولتهم استهداف بعض الأكمنة والمقرات الأمنية جنوب الشيخ زويد بشمال سيناء.

- ضربات استباقية لصد هجوم المتطرفين على رجال الجيش والشرطة، استراتيجية جديدة للجيش المصري نجحت في إحباط عمليات إرهابية كانت على وشك الوقوع في سيناء.

- عملية جديدة كانت جماعة أنصار بيت المقدس المتطرفة تخطط لها بغية استهداف أكمنة ومقرات أمنية، وتمكنت قوات الأمن من منع وقوعها والإيقاع بالعناصر التي كانت تهم بتنفيذها، الأمر الذي أسفر عن مقتل أكثر من عشرين من المتطرفين.

- المصادر الأمنية أكدت أن قوات الأمن هاجمت مجموعة من عناصر التنظيم في الشيخ زويد كانوا يخططون لمهاجمة نقاط أمنية واستهداف رجال الجيش، ما أسفر عن قتلهم جمعيا، إضافة إلى استهداف مركبة كانت تقل أربعة مسلحين، واثنين آخرين كانا يركبان دراجة نارية.

- جهود أمنية مكثفة أثمرت في الآونة الأخيرة عن تناقص ملحوظ في العمليات الإرهابية في شمال سيناء، وإن لم تنجح حتى الآن في القضاء عليها تماما، حيث أفادت مصادر أمنية وطبية بإصابة ثمانية من أفراد الشرطة والمدنيين على الأقل في تفجيرات استهدفت منزلين في العريش، وبحسب المصادر فإن متطرفين نجحوا في زرع عبوتين ناسفتين وتفجيرهما عن بعد.

- وفي السياق، نفذت مصر أحكام إعدام بحق ستة من أنصار بيت المقدس كانوا أدينوا بشن هجوم على جنود مصريين بالقرب من القاهرة، وهي الحادثة المعروفة بقضية عرب شركس.

- أحدث العمليات على الأرض تمكنت خلالها قوات مكافحة الإرهاب بشمال سيناء من تصفية ٧ عناصر إرهابية خلال قصف جوي استهدف ٦ مواقع تابعة للعناصر التكفيرية جنوب مدينة الشيخ زويد ورفح بينهم أربعة عناصر قيادية مسلحة ونجل مفتي التكفيريين الملقب بأبو منير.

- كما تم توجيه ضربة جوية لموقع تجمع عدد من المسلحين وقتل ٣ وإصابة ستة آخرين وهدم خمسة منازل وإحراق ٢٠ بؤرة إرهابية وضبط وتدمير ثماني سيارات ودراجات بدون أوراق.

- من جانبها، واصلت قوات مديرية أمن شمال سيناء جهودها الميدانية لملاحقة العناصر المطلوبة أمنياً وتوسيع عمليات الفحص والتحري، وانتشرت فرق أمنية بمختلف شوارع العريش وعلى أكمنة الطريق الدولي العريش القنطرة.

- وغداة الضربة الجوية التي وجّهتها مصر لتنظيم داعش المتطرف في ليبيا، قرر مجلس الدفاع الوطني في خطوة رئيسية للتأمين، نشر قوات من الجيش في جميع المحافظات للمساعدة في حماية المنشآت وتأمين الطرق، إضافة إلى المشاركة في ضبط المطلوبين والخارجين عن القانون.

- قال المتحدث العسكري المصري، إن الجيش الثالث الميداني تمكن من ضبط كميات كبيرة من المتفجرات والذخائر الخاصة بالعناصر الإرهابية، واصفا إياها بـ«ضربات استباقية ناجحة».

- وأضاف المتحدث العسكري، في بيان له، أن قوات الجيش الثالث الميداني داهمت مناطق تجمع العناصر الإرهابية في وسط سيناء وجبل الحلال، مما أسفر عن مقتل ١٣ إرهابياً.

- كما ضبطت ٥٠ لغماً مضاداً للدبابات و٩٥ من الألغام المفرغة من المواد المتفجرة بمنطقة شمال غرب جبل الحلال، ومخزن للمتفجرات داخل خور بجبل الحلال.

- ودمرت قوات الجيش ٣٠ عبوة ناسفة كانت معدة ومجهزة لاستهداف قوات الجيش، و٣ عربات ودراجتين بخاريتين بدون لوحات معدنية خاصة بـ «العناصر التكفيرية».

- وفي سياق متصل أعلن مصدر أمني مصري، مقتل ٧٠ مسلحاً وإصابة ١٣٠ آخرين في حملة أمنية على تجمعات لجماعة ما تعرف بـ «أنصار بيت المقدس» علي مدار يومين بقرى جنوب الشيخ زويد شمالي سيناء.

إن مصر تواجه حرباً شرسة وقوية مع عدو خفي وغير محدد، فالإرهاب لا دين ولا خلاق له، مشيراً إلي أن المحن توحد المصريين ولا تفرقهم.

إن عملية تفجير الكنيسة البطرسية هي نتيجة لنجاح أمني في الضربات السابقة، حيث تم توجيه ضربات استباقية أجهضت ٩٠٪ من العمليات الإرهابية ولكن وسائل الإعلام لم تشر إليها، فكلما خطت مصر خطوة نحو الاستقرار تزداد هذه العمليات ولن تكون هذه آخر الضربات.

إن الحل الأمني ليس هو الحل بل نحتاج إلي حل سياسي واقتصادي وفكري ومواجهة إستراتجية شاملة.

وأكد بيان وزارة الداخلية أنه تم فحص وتفريغ كاميرات المراقبة بموقع الحادثين، وجمع التحريات والمعلومات ذات الصلة، وتتبع خطوط سير العنصرين الانتحاريين منفذى الحادثين، وملاحقة العناصر الهاربة على ذمة بعض القضايا الإرهابية مؤخرًا لفحص صلتها بالحادثين.

وباستخدام الوسائل والتقنيات الحديثة، وفحص مقاطع الفيديو الخاصة بالحادثين ومضاهاة البصمة الوراثية لأشلاء الانتحاريين التى عُثر عليها بمسرح الحادثين مع البصمة الوراثية لأهلية العناصر الهاربة من التحركات السابقة والمشتبه بهم، أمكن التوصل لتحديد منفذ حادث التعدى على الكنيسة المرقسية بالإسكندرية وتبين أنه المدعو محمود حسن مبارك عبدالله (مواليد ١٩٨٦/٩/٢٨ بقنا يقيم حى السلام بمنطقة فيصل بمحافظة السويس (عامل بإحدى شركات البترول) والمطلوب ضبطه وإحضاره فى القضية رقم ٢٠١٦/١٠٤٠ حصر أمن دولة.

وتبين ارتباطه بإحدى البؤر الإرهابية التى يتولى مسئوليتها الهارب عمرو سعد عباس إبراهيم (مواليد ١٩٨٥/١١/١٨ بقنا ويقيم في الأشراف البحرية) حاصل على دبلوم فنى صناعى- زوج شقيقة الانتحارى منفذ العملية) الذى اضطلع بتكوين عدة خلايا عنقودية يعتنق عناصرها الأفكار التكفيرية الإرهابية، فضلاً عن قناعة بعضهم بالأسلوب الانتحارى لاستهداف مقومات الدولة ومنشآتها وأجهزتها الأمنية ودور العبادة المسيحية.

وسبق لإحدى خلايا هذه البؤرة ارتكاب حادث تفجير الكنيسة البطرسية الأرثوذكسية بالعباسية بواسطة انتحارى ونجحت الجهود الأمنية فى ضبط المتورطين بالحادث، بينما اضطلعت خلية أخرى بالهجوم على كمين النقب بالوادى الجديد واستشهاد عدد من أفراده وأمكن تحديد المتورطين وضبط بعضهم، ومصرع اثنين منهم حال مقاومتهما أثناء عملية ضبطهما، كما تم توجيه ضربة أمنية مؤخرًا لخلية ثالثة تابعة لذات البؤرة أسفرت عن مصرع سبعة من أبرز كوادرها أثناء ملاحقتهم بنطاق الجبل الشرقى بمحافظة أسيوط أبريل الجارى، وأسفر ذلك عن ضبط العديد من الأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة وأنواع أسلحة مختلفة وكميات من الذخيرة ومجموعة من الكتب التكفيرية، وجاري ملاحقة العناصر الهاربة السابق الإعلان عن صورهم وبياناتهم، كما تهيب الوزارة بالمواطنين بسرعة الإبلاغ عن أي معلومات تسهم فى ضبطهم.

فيما أعلنت وزارة الداخلية في بيان لها عن زيادة المكافأة المالية إلى مبلغ خمسمائة ألف جنيه لمن يتقدم بمعلومة تُمكن أجهزة الأمن من ضبط أى عنصر من الهاربين المتهمين في تفجير الكنائس، وتتقدم بالشكر لكل من أدلى بمعلومات ساهمت في التوصل للعناصر الهاربة حفاظًا على أمن واستقرار البلاد وتؤكد على الاحتفاظ بالسرية الكاملة لكل من يساهم بتقديم أي معلومات.

وأعلنت وزارة الداخلية عن نجاحها في تصفية ٧ إرهابيين بجبل أسيوط تابعين لتنظيم «داعش» الإرهابى وقالت وزارة الداخلية إنه فى إطار ملاحقة العناصر الإرهابية الهاربة فى القضية رقم ٣٨٥ / ٢٠١٧ حصر أمن دولة عليا والسابق ضبط عدد من المتهمين فيها، فقد توافرت معلومات لدى قطاع الأمن الوطنى باتخاذ مجموعة من

هـؤلاء العناصـر ممـن يعتنقـون فكـر تنظيـم داعـش الإرهابـى إحـدى المناطـق الجبليـة بمحافظـة أسـيوط وكـرًا لاختبائهـم، ولتجهيـز العبـوات المتفجـرة تمهيـدًا لارتـكاب سلسـلة مـن الأعمـال الإرهابيـة.

وأضافـت الـوزارة أنـه عقـب اتخـاذ الإجـراءات القانونيـة تم مداهمـة الوكـر المشـار إليـه والكائـن بجبـل عـرب العوامـر، دائـرة مركـز أبنـوب بمنطقـة الظهيـر الصحـراوى الشـرقى لمحافظـة أسـيوط، إلا أنـه حـال استشـعار العناصـر الإرهابيـة باقتـراب القـوات قامـوا بإطـلاق الأعيـرة الناريـة بكثافـة، ممـا دفـع القـوات للتعامـل معهـم وأسـفر ذلـك عـن مصـرع سـبعة عناصـر مـن الإرهابييـن أمكـن تحديـد عـدد ثلاثـة منهـم، ومصـرع ٢ مـن العناصـر الإرهابيـة إثـر تبـادل لإطـلاق النـار بمزرعـة البحيـرة، ضبـط ٥ عناصـر إرهابيـة بوكـر بالإسـكندرية والعثـور بحوزتهـم علـى أسـلحة ناريـة ومـواد تسـتخدم في المتفجـرات، ضبـط قنابـل ومـواد متفجـرة فـى شـقة بالمنوفيـة.

وفي نفـس السـياق أعلنـت وزارة الداخليـة تلقـى قطـاع الأمـن الوطنـى لمعلومـات تفيـد باتخـاذ عناصـر الكيـان المسـلح لجماعـة الإخـوان الإرهابيـة والـذى يتخـذ مسـمى (حسـم، لـواء الثـورة) لوحدتـين سـكنيتين بنطـاق محافظتـى (الإسـكندرية، المنوفيـة) ومزرعـة بمحافظـة البحيـرة أوكارًا لإيـواء وتدريـب عناصرهـا علـى إسـتخدام السـلاح وتصنيـع العبـوات المتفجـرة، وكـذا تخزيـن الأسـلحة والعبـوات والمـواد المسـتخدمة فـى عمليـات التصنيـع.

وأكـدت الـوزارة تجهيـز تلـك العناصـر لعـدة عبـوات لاسـتخدامها فـى ارتـكاب الحـوادث الإرهابيـة التـى كانـوا يعتزمـون تنفيذهـا خـلال الفتـرة القادمـة، وتمكنهـم مـن زرع إحداهـا بالقـرب مـن قسـم شـرطة ثـان الرمـل / الإسـكندرية بتاريـخ ٢٠١٧/٣/١٧ لاسـتهداف قـوات الشـرطة حـال تحركهـا، إلا أن يقظـة القـوات حالـت دون ذلـك، كـذا تخطيطهـم لتنفيـذ عـدد مـن حـوادث الاغتيـالات لرجـال الشـرطة وتمكنهـم بالفعـل مـن إغتيـال أ.ش/ جمـال الديـب -مـن قـوة قطـاع الأمـن الوطنـى بالبحيـرة، وأعلنـت وزارة الداخليـة عـن تمكنهـا مـن تصفيـة مسـؤول الحـراك المسـلح «حسـم» بجماعـة الإخـوان بعـد تبـادل لإطـلاق الرصـاص مـع قـوات الأمـن بدميـاط.

وقالت وزارة الداخلية في بيان لها، إنه فى إطار الجهود المبذولة لكشف ملابسات واقعة وفاة الخفير النظامى مسعود عبدالله حسن الأمير -من قوة مركز شرطة دمياط- خلال مارس الماضى وتحديد وضبط مرتكبيها فتوافرت معلومات حول اختفاء أحد منفذى الحادث عضو الحراك المسلح الهارب محمد عادل عبده بلبولة مواليد ١٩٨٤ نجار ومقيم قرية البصارطة في دمياط بمنطقة المزارع السمكية «السيالة» دائرة مركز شرطة دمياط. وأضافت الوزارة أنه تم التعامل الفورى مع تلك المعلومات وإعداد الأكمنة اللازمة، إلا أنه حال محاولة القوات استيقافه أثناء قيادته دراجة بخارية قام بإطلاق النيران على القوات مما دفعها للتعامل معه وأسفر ذلك عن مصرعه والعثور بحوزته على بندقية آلية بداخلها ٩ طلقات وتم التحفظ على الدراجة البخارية قيادته.

وأعلنت وزارة الداخلية أنه فى إطار الجهود الأمنية المبذولة للحفاظ على حالة الاستقرار الأمنى بالبلاد فقد توافرت معلومات، تفيد اضطلاع عدد من أعضاء تنظيم الإخوان الإرهابى التابعين لجبهة القيادى المتوفى محمد محمد كمال (قائد الجناح المسلح للتنظيم) بمحافظة الإسكندرية، بعقد لقاء تنظيمى بأحد المراكز التعليمية؛ للتخطيط لإعادة هيكلة جبهتهم عقب توجيه عدة ضربات أمنية لها والعمل على تصعيد عملياتهم العدائية خلال الفترة المقبلة، بهدف تقويض مؤسسات الدولة وتم استهدافهم وضبط عدد (١٣) منهم.

وفى ذات الإطار تم ضبط عدد (٦) عناصر بإحدى الشقق السكنية بذات المدينة كانوا يسعون لإثارة الذعر والبلبلة في أوساط المواطنين من خلال طباعة منشور ورقى منسوب صدوره لوزارة الداخلية يتضمن عبارة «الشرطة تهيب بالمواطنين توخى الحذر خشية الاختطاف» ومزيل بعبارة «تحيا مصر»، وعُثر بحوزة المضبوطين على ما يلى «مبالغ مالية مصرية وأجنبية» مجموعة كبيرة من الأوراق التنظيمية.

وأكد مصدر أمنى مسئول أن مأموريات من الأمن الوطنى والعمليات الخاصة بالتنسيق مع مديريات الأمن بالمحافظات للبحث عن أعضاء الخلية الإرهابية الهاربة والمتهمين بالتخطيط وتنفيذ العمليات الانتحارية على الكنائس.

وأضاف المصدر أن الفريق مكون من عناصر من قطاعات الأمن العام والأمن الوطنى وجميع قطاعات الوزارة المعنية بالتعاون مع مديريات الأمن لسرعة ضبط الإرهابيين، وأكد المصدر أنه يتم تكثيف الجهود داخل محافظاتهم وإغلاق مداخل ومخارج تلك المحافظات، بالإضافة إلى تمشيط الظهير الصحراوى وإغلاق مداخل العاصمة وتوسيع دائرة الاشتباه لضبط الجناة.

كشف قطاع الأمن الوطنى، عن اعتزام قيادات تنظيم الإخوان الإرهابي، الإعداد لمخطط يستهدف إثارة الرأى العام من خلال استغلال الظروف الاقتصادية التى تمر بها البلاد والتنسيق مع الكيانات المتطرفة لمحاولة الإخلال بالنظام والأمن خلال تلك الفترة بتكليف عناصرهم بمحاولة افتعال العديد من الأزمات بمختلف القطاعات الجماهيرية، العمالية.

وأكدت المعلومات، اعتزام عدد من قيادات الجماعة الإرهابية تنظيم العديد من اللقاءات ببعض الأوكار بمنطقتى مدينة نصر والمقطم والخاص بالإخوانى أحمد السيد أحمد شحاتة، محكوم عليه غيابيًا بالسجن ٢٣ عاما فى قضايا مختلفة للتحريض على أعمال التظاهر والعنف والشغب، لوضع آليات تنفيذ مخططهم المشار إليه وتوفير الدعم المالى له.

وعلى الفور تم التعامل مع تلك المعلومات واستهداف المكان المشار إليه عقب استئذان نيابة أمن الدولة الذى أسفر عن ضبط المذكور عالية و٧ آخرين، أبرزهم القيادى عمر أحمد عبدالغنى حسانين ومحكوم عليه بالسجن الغيابى لمدة ثلاثة سنوات فى القضية رقم ٢٠١٤/١٦٥٩٣ جنايات بلبيس، تظاهر، ومحمد فياض عبد المنعم وشهرته صبرى فياض، عضو مجلس شعب سابق عن حزب الحرية والعدالة، محكوم عليه غيابيًا ٦ أشهر فى القضية ٢٠١٦/١٤١٤٥ جنح ديرب نجم، و٦ أشهر فى القضية ٦١٠٢/١٣٢٤ جنح ديرب نجم، ومطلوب ضبطه فى القضية ٢٠١٦/١٨٩٤ إدارى ديرب نجم، تظاهر.

وعوض محمد الضوى أحمد محكوم عليه بالسجن المؤبد فى القضية ٢٠١٦/٢٥ جنايات عسكرية كلى الإسماعيلية، اقتحام محافظة الإسماعيلية. وأحمد محمد إبراهيم شبانة، محكوم عليه بالسجن ١٠ سنوات فى القضية ٢٠١٥/١٨٧ جنايات عسكرية السويس، تحريض على العنف، ومطلوب ضبطه فى عدد ٨ قضايا تظاهر. والسادات إبراهيم على عبدالعال وصبحى حسن السيد عبدالعال، وحاتم محمد راشد موسى مستشار وزير التموين إبان حكم جماعة الإخوان ومن العناصر الإخوانية القيادية.

وأسفر تفتيش مقر اللقاء التنظيمي عن العثور على العديد من الأوراق التنظيمية تتضمن العديد من الخطط الإثارية وتكليفات لعناصرهم للمشاركة فى الفاعليات، مبلغ مالى وقدره ٣١٥،٣٠٠ جنيه مصرى.

وبتفتيش باقى تلك الأوكار تم ضبط القيادى الهارب سعد الدين محمد خليفة سعد (محكوم عليه بالسجن المؤبد فى القضية ٢٠١٤/٢٠١ جنايات عسكرية السويس، ومطلوب ضبطه فى عدد ١١ قضية أحداث عنف وشغب، وذلك بالعقار رقم ٩٠٩٠ منطقة س / المقطم وبحوزته (عدد ٢ جهاز لاب توب، مجموعة من الفلاشات، عدد من الهواتف المحمولة، بعض الأوراق التنظيمية، كذا ضبط مبلغ مالى وقدره ٨٥،٣٨٥ ألف جنيه مصرى بمنزل الهارب / عماد الديب محمد أحمد الديب بالعقار ٢ شارع مهدى عرفه – الحى العاشر / مدينة نصر.

●●●

الفصل الرابع
الإرهـاب الإلكترونـى

ويشمل:

- الإرهاب الإلكترونى.
- ماهية الإرهاب الإلكترونى.
- خطورة الإرهاب الرقمى.
- الحماية من الإرهاب الإلكترونى فى الدول المتقدمة.
- سيناريوهات حروب المعلومات.
- تصاعد الهجمات الإلكترونية.

الوبـاء الإرهابـي كالمـرض السـرطاني، في خبثـه ومقاومتـه للعـلاج، وفي ضـرورة مواجهته بكافة أنواع العلاجات الأمنية والثقافية والدينية، بهدف قطع دابره واجتثاث جذوره، هكذا حال الإرهاب الخبيث في مراوغته واستعصائه على العلاج، ومن ثم تسلله لاصطياد ضحاياه من الشباب الغر، فبعد أن أحكم المجتمع الدولي الخناق على الإرهاب وتنظيماته ودعاته، عبر الملاحقة الأمنية -دولياً- وإصدار دول عديدة تشريعات تجرِّم دعاة الإرهاب والمحرضين وتبعدهم عن منابر التوجيه والتثقيف والتعليم والإعلام بهدف حماية الشباب من أفكارهم الضالة، استثمروا الفضاء الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، وبخاصة «تويتر»، لنشر أفكارهم المسمومة، لتجنيد الشباب ممن يستهويهم هذا النوع من الفكر المريض، بسبب «القابلية» النفسية والعقلية لديهم، وبسبب ضعف تحصينهم دينياً وثقافياً.

لذلك بدأ المجتمع الدولي في الآونة الأخيرة التحرك لسد هذه الثغرة الإلكترونية الخطيرة في جبهة مكافحة الإرهاب عبر العديد من الإجراءات.

ومن ذلك دعوة «اليونسكو» لعقد مؤتمر في باريس لدراسة السبل الكفيلة بمكافحة التطرف والتشدد لدى الشباب في المجال الإلكتروني، وجاء في بيانها الإعلامي: «أن الإنترنت بات يشكل جزءاً أساسياً من حياة الشباب اليوم، من التنشئة الاجتماعية والترفيه، إلى أداء الواجبات المنزلية، وهي تتيح فرصاً جديدة واسعة النطاق للاتصال والتعليم، وفي الوقت نفسه توفر الشبكة الإلكترونية للمتطرفين والمتشددين أدوات فعالة لنشر الكراهية والعنف واصطياد المجندين المحتملين، وإعدادهم للتحرك، مما يؤدي إلى إنشاء جماعات في الفضاء الإلكتروني من شأنها تشجيع التشدد على الصعيد العالمي».

ويمكن أن تدعم توصيات المؤتمر عمل الدول في هذا المجال، وكذلك منظمات المجتمع الدولي، من خلال فهم أكثر وضوحاً لاستخدام الإنترنت في إذكاء التطرف العنيف واكتشاف أدوات فعالة للتصدي له.

وفي سيدني، تعهد وزراء دول منطقة آسيا والمحيط الهادئ، خلال اجتماعاتهم بمواجهة التشدد العنيف الذي تروج له جماعات مثل تنظيم «داعش»، وكان من النقاط الأساسية التي ناقشها المؤتمرون، الحاجة إلى مواجهة انتشار أيديولوجية «داعش» على الإنترنت، وكيفية تحقيق ذلك.

وكانت الحكومة الأسترالية قد أقرّت عدداً من القوانين لهذا الغرض، مثل إلزام شركات الاتصالات بحفظ بيانات الزبائن الرقمية لمدة عامين.

وفي الولايات المتحدة، اعترف الفتى شكري علي أمين (١٧ عاماً)، أمام المحكمة، بأنه مذنب بتهمة دعم منظمة إرهابية، بعدما نشر أكثر من ٧ آلاف تغريدة دعائية لـ«داعش» ونداءات لتقديم دعم مادي أو إرشادات للراغبين في الانخراط في الجهاد في سوريا.

وكانت دراسة أميركية أخيرة، كشفت أن ما لا يقل عن ٤٦ ألف حساب على تويتر من مؤيدي «داعش»، وأن ثلثاها بالعربية! إن الأخطر في كل ما سبق، ما كشفته دراسة حديثة قام بها فريق بحثي سعودي بيّن أن تزايد استخدام موقع التواصل الاجتماعي (تويتر) في دول المجلس، نتج عنه تزايد ظاهرة التطاول على قيادات دول مجلس التعاون الخليجي، وازدراء الأنظمة الخليجية، كما أنتج ارتفاعاً في استعلاء بعض فئات المجتمع على بعضها الآخر، ونشاطاً كبيراً لإحياء النعرات الإقليمية والانحراف الفكري، متمثلاً في التطرف والتطاول على العلماء، إضافة إلى محاولات الإساءة إلى أمن بلدان الخليج وزعزعته، سواء في التغريدات نفسها أو في إعادتها أو في تفضيلاتها.

الدراسة بعنوان «الأبعاد الأمنية للتغريدات المسيئة في توتر وتأثيراتها في شباب دول مجلس التعاون الخليجي»، وانتهت إلى توصيات مهمة:

١. ضرورة مسارعة دول الخليج إلى إنشاء مركز إعلامي موحد، من مهماته: إبراز الحقائق، وسرعة التفاعل في تفنيد الإشاعات ودحضها على وسائل التواصل الاجتماعي.

٢. أهمية سن تشريعات تواكب تطورات الجريمة التي تقع عبر وسائل التواصل.

٣. أهمية إنشاء مركز حقوقي موحد في دول المجلس، يتولى رفع الدعاوى على المغردين المسيئين إلى هذه الدول بهدف ملاحقتهم قضائياً في الداخل والخارج.

ونبهت الدراسة إلى أن «تويتر» أهم منصة اجتماعية لنشر التغريدات المناوئة لأنظمة الدول وللتطاول على القيادات وتأليب الرأي العام.

ولذا فقد أصبح الفضاء الإلكتروني، بما يبثه ويرسخه من مشاعر الكراهية والتطرف والتعصب في نفوس الشباب، أخطر التحديات التي تواجه الدول في سعيها لتحصين وحماية الشباب من التطرف.

إن خطورة هذه التغريدات المسيئة للأنظمة والمحرضة عليها، كونها تهيئ نفسيات وعقليات قابلة لاعتناق فكر التطرف الذي يحول الشباب إلى «قنابل» بشرية مدمرة.

ماهية الإرهاب الإلكتروني:

الإرهاب الإلكتروني هو استخدام التقنيات الرقمية لإخافة وإخضاع الآخرين.

أو هو القيام بمهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو عرقية أو دينية .

ولا شك في أن اتجاه وكالات المباحث والاستخبارات المركزية في الولايات المتحدة في أعقاب الحادث إلى الحصول على حريات أكبر في تعقب المعلومات الرقمية، لهو دليل على أهمية الشبكات الرقمية في عالم اليوم، وخطورتها إذا ما استُخدمت بالشكل غير الصحيح.

مفهوم الإرهاب الإلكتروني:

ظاهرة الإرهاب الإلكتروني أو الرقمي Electronic or Digital Tmsirorre هو نوع آخر من الإرهاب نتيجة التطور التكنولوجي والثورة المعلوماتية، بإستغلال شبكة الإنترنت للهدم والتخريب.ويمكن تعريفة بأنه «العدوان أو التخويف أو التهديد ماديًا أو

معنويًا باستخدام الوسائل الإلكترونية الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان دينه، أو نفسه، أو عرضه، أو عقله، أو ماله، بغير حق بشتى صنوفه وصور الإفساد في الأرض.»

ويعرف أيضاً «الإرهاب الإلكتروني هو استخدام التقنيات الرقمية لإخافة وإخضاع الآخرين. أو هو القيام بمهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو عرقية أو دينية»

أشكال الإرهاب الإلكتروني:

استغلال المنابر الإلكترونية للتواصل مع أعوانهم ومموليهم لسهولة الاتصال والتنسيق عبر الشبكة العالمية ووفرة المعلومات وقلة تكاليفها.

والتلقين الإلكتروني بحشد المؤيدين والمتعاطفين معهم، وبث مبادئهم وطرقهم ووسائلهم في محاولة لتجنيد إرهابيين جدد.

حيث وجدت لبعض المنظمات الإرهابية آلاف المواقع لنشر أفكارهم ومعتقداتهم والتخطيط والتجهيز للعمليات الإرهابية وتنسيق وتبادل الخبرات الميدانية العملية فيما بينهم، حيث كشفت مواقع لتعليم صناعة المتفجرات والألغام والأسلحة الكيماوية الفتاكة، وأخرى توضح آلية اختراق وتدمير المواقع والبيانات والنظم المعلوماتية واختراق البريد الإلكتروني، وكيفية الدخول على المواقع المحجوبة، والتجسس الإلكتروني وطريقة نشر الفيروسات.

ناهيك عن مواقع مخصصة لشن حملات نفسية على الدول والمجتمعات التي تقوم بترويعها، حيث تعرض الرهائن والأسرى وإعدامهم.

وكما أن الإرهاب عبر شبكة الانترنت يمكن أن يتسبب في إلحاق الشلل بأنظمة القيادة والسيطرة والاتصالات أو قطع شبكات الاتصال بين الوحدات والقيادة أو تعطيل أنظمة الدفاع الجوي أو إخراج الصواريخ عن مسارها أو اختراق النظام المصرفي أو إرباك حركة الطيران المدني أو شل محطات الطاقة الحرارية والنووية.

فاختراق موقع البورصة العالمية يهدد الاقتصاد الدولي، أو اختراق موقع مطار دولي والتلاعب ببرامج الاتصالات يهدد سلامة ووصول الطائرات.

ومثال ذلك ما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية حين تمكن أحد القراصنة من السيطرة على نظام الكمبيوتر في مطار أمريكي صغير، وأطفأ مصابيح إضاءة ممرات الهبوط، مما هدد بحصول كارثة.

وما حدث في إيطاليا حينما هوجمت عدة وزارات وجهات حكومية ومؤسسات مالية من قبل أحد الإرهابيين.

والإرهاب الإلكتروني يمثل البعد الخامس إلى:

١- الإرهاب التقليدي.

٢- الإرهاب النووي.

٣- الإرهاب البيولوجي.

٤- الإرهاب الكيماوي.

الإرهاب الإلكتروني أخطر معارك حروب الفضاء:

التنظيمات الإرهابية تستخدم أحدث التقنيات التكنولوجية لتنفيذ هجماتها الهجمات تستهدف التدمير العسكري والتخريب الاقتصادي وضرب المنشآت العامة.

الجريمة الإلكترونية هي الأب الشرعي للإرهاب الرقمي، تبدأ بـ «التحرير» وتنتهي بـ «التفجير»

موجة من الإرهاب تضرب غالبية دول العالم بصفة عامة والمنطقة العربية على وجه الخصوص، تمت فيها استخدام تقنيات الفضاء الالكتروني والتطور التكنولوجي لتنفيذ مقاصد الجماعات الإرهابية في تدمير أهدافها، وباتت الأطراف الفاعلة في منظومة الإرهاب على دراية بكل المستجدات والتطورات والتقنيات التكنولوجية

الجديدة بل واستطاعت أن تطور أداءها للهروب من رصد الأجهزة الاستخباراتية والفرار من احتياطات المؤسسات الأمنية بطواقمها وأسلحتها، فباتت كل دول العالم تحت مرمى نيران الإرهاب الالكتروني في ظل وجود فضاء مفتوح لم يستطع أحد السيطرة عليه.

من هو الإرهابي:

وصف الشخص بأنه إرهابيًّا على الإنترنت، يتطلب أن تؤدي الهجمات التي يشنها إلى عنف ضد الأشخاص أو الممتلكات، أو على الأقل تحدث أذى كافياً من أجل نشر الخوف والرعب، وغالباً يبتعد هذا الوصف عن الشخص المخترِق، فالإرهاب الإلكتروني يعتمد على استخدام الإمكانيات العلمية والتقنية، واستغلال وسائل الاتصال والشبكات المعلوماتية، من أجل تخويف وترويع الآخرين، وإلحاق الضرر بهم، أو تهديدهم.

حروب رقمية:

التعريف الذي تعتمده كليات الحرب الأميركية، وتدعوه بهجمات الشبكات الكمبيوترية، وتصنفه تحت بند الحرب الإلكترونية، يقضي بأنها الإجراءات التي يتم اتخاذها للتأثير بشكل سلبي على المعلومات ونظم المعلومات، وفي الوقت نفسه الدفاع عن هذه المعلومات والنظم التي تحتويها، وحسب تعريف كلية الحرب فإن العمليات الإلكترونية تتضمن أنشطة مثل أمن العمليات، والعمليات النفسية، والخداع العسكري، والهجمات الفيزيائية، والهجمات على شبكات الكمبيوتر، وهناك الكثير من الطرق التي يمكن من خلالها تنفيذ الهجمات الرقمية، منها الهجمات المباشرة من خلال التدمير المادي لأجهزة الخصم، أو نقاط الاتصالات الهامة ضمن شبكاته، وذلك باستخدام القوة العسكرية المباشرة.

وهنالك أيضا سرقة المعلومات من أجهزة الخصم، مما يمكن الجهات الصديقة من اتخاذ قرارات أفضل في المعركة، إضافة إلى تخريب قواعد بيانات العدو والتلاعب بها، لجعل العدو يخطئ في اتخاذ القرارات، وبالطبع هناك استخدام الفيروسات

وأساليب رقمية مثل هجمات الحرمان من الخدمات لتركيع مواقع العدو، مما يؤدي إلى التقليل من مقدرة العدو على الاتصال، وإبطاء قدرته على اتخاذ القرار.

الثورة الكبيرة والطفرة الهائلة التي جلبتها حضارة التقنية في عصر المعلومات كانت السبب وراء بروز مصطلح الإرهاب الإلكتروني أو الإرهاب الرقمي، وشيوع استخدامه، وزيادة خطورة الجرائم الإرهابية وتعقيدها، سواء من حيث تسهيل الاتصال بين الجماعات الإرهابية وتنسيق عملياتها، أو من حيث المساعدة على ابتكار أساليب وطرق إجرامية متقدمة، فأصبح الإرهاب الإلكتروني هاجسًا يخيفُ العالم الذي يتعرض لهجمات الإرهابيين عبر التكنولوجيَا الحديثة، فالإرهاب والإنترنت مرتبطان عن طريق ممارسة الأعمال التخريبية لشبكات الكمبيوتر والإنترنت، بجانب أن الشبكات الالكترونية أصبحت منبرا للجماعات والأفراد لنشر رسائل الكراهية والعنف والاتصال ببعضهم البعض وبمؤيديهم والمتعاطفين معهم وبث السموم، وحشد التأييد لأفكارهم وتجنيد من يتبعهم لتنفيذ مخططاتهم الشيطانية عبر الفضاء السيبراني.

جيوش وتنظيمات الكترونية:

وكما هي الحال في أية حرب، فإن الجيوش المتصارعة تستهدف دوماً ثلاثة عناصر أساسية من أجل كسب المعركة، وهي العناصر العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، نجد في عالم حروب المعلومات تجد العناصر السابقة وعلى رأسها مراكز القيادة والتحكم العسكرية، والبنوك والمؤسسات المالية، ومؤسسات المرافق العامة كمؤسسات المياه والكهرباء والصرف الصحي والمنشآت الطبية وذلك لإخضاع إرادة الشعوب.

ويستهدف الجيش الالكتروني للإرهابيين الأهداف العسكرية غير المدنية، والمرتبطة بشبكات المعلومات، ومن السيناريوهات التي تمثل هذا النوع من الهجمات، هو تعطيل مراكز القيادة والسيطرة العسكرية ووسائل الإتصال للجيوش بهدف عزلها عن قواتها، والنفاذ إلى النظم العسكرية واستخدامها لتوجيه الجنود إلى نقطة غير آمنة قبل قصفها أو تفجيرها.

الهجمات ضد نظم المعلومات الاقتصادية يمكن لها أن تكون مؤذية جدا، ومن أمثلتها قيام بعض الإرهابيين بتحويل ملايين الدولارات من بعض الحسابات الشخصية لكبار العملاء بعد إختراق نظام التحويلات المشفر الدولي بين البنوك، وقيام بعض الهاكرز المحترفين بسرقة بيانات كروت الإئتمان من بعض أكبر معاقل التسوق الإلكتروني الدولية وخصم ملايين الدولارات من أصحاب تلك البطاقات، وكذلك قيام بعض المنظمات الإرهابية بالعمل على تدمير اقتصاد إحدى دول الشرق الأوسط بشراء سندات دولية لتلك الدولة من داخلها عبر البورصات العالمية وبيعها بالخارج بأسعار أقل من قيمتها مما أدى لإنهيار عملتها ولتوفير تمويل لاعمالها الإرهابية في الدول التي تم بيع السندات فيها.

عمليات إرهابية:

الظروف التي مر بها العالم العربي منذ ما سمي (ثورات الربيع العربي) أي الحريق الغربي لبلداننا وقبلها غزو العراق، وما أعقب ذلك من استخدام التنظيمات الإرهابية المتطرفة مثل داعش للفضاء الإلكتروني في تجنيد عناصر من مواطني دول غربية، وجهت الانتباه إلى أهمية المجال الإلكتروني في حركة العلاقات الدولية والأمن والسلم العالميين، خاصة مع دوره في الحشد والتعبئة والتجنيد واستخدامه في نشر الأفكار المتطرفة، ونجحت عدة منظمات وجماعات إرهابية دولية وعلى رأسها داعش والقاعدة في التخطيط والتنسيق لعملياتها الإرهابية الكبرى في أوروبا، وخاصة في فرنسا وبلجيكا، من خلال شبكات معلومات وتواصل إجتماعي مغلقة لا يمكن رصدها، بل وتمحى بعد قراءتها مباشرة من خلال أجهزة ألعاب الفيديو المتصلة عبر الإنترنت، وأدت هذه العمليات الإرهابية لمقتل نحو مائتي شخص في نوفمبر ٢٠١٥، وفشلت أجهزة المخابرات الأوروبية في رصد العمليات قبل وقوعها لكنها اكتشفت هويات منفذيها من خلال هواتفهم المحمولة ومكالماتهم المتبادلة مع أفراد المنظمة.

الانتشار:

يعزو الخبراء انتشار الإرهاب الإلكتروني إلى ضعف بنية الشبكات المعلوماتية وعدم خصوصيتها وقابليتها للاختراق بسهولة، حيث تحتوي الأنظمة الإلكترونية والشبكات المعلوماتية على ثغرات معلوماتية يمكن للمنظمات الإرهابية استغلال هذه الثغرات في التسلل إلى البنى المعلوماتية التحتية وممارسة العمليات التخريبية والإرهابية، إضافة إلى سهولة الاستخدام التقنى وقلة التكلفة المادية، مما هيأ للإرهابيين فرصة ثمينة للوصول إلى أهدافهم غير المشروعة، ومن دون الحاجة إلى مصادر تمويل ضخمة، فالقيام بشن هجومٍ إرهابي إلكتروني لا يتطلب أكثر من جهاز حاسب آلي متصل بالشبكة المعلوماتية ومزود بالبرامج اللازمة.

صعوبة اكتشاف وإثبات الجريمة الإرهابية الإلكترونية تعتبر من أقوى الدوافع المساعدة على ارتكاب جرائم الإرهاب الإلكتروني؛ لأنها تعطي المجرم أملاً في الإفلات من العقوبة، فضلاً عن الفراغ التنظيمي والقانوني وغياب جهة السيطرة والرقابة على الشبكات المعلوماتية بسبب عدم وجود جهة مركزية موحدة تتحكم فيما يعرض على الشبكة وتسيطر على مدخلاتها ومخرجاتها.

خطورة الإرهاب الرقمي:

للأسف لقد أصبح اليوم وفي عصر الإرهاب الرقمي الحاسب الآلي المحمول وكاميرا الفيديو بأهمية وخطورة الكلاشينكوف و«الآر بي جي»، وهذا ما أشار إليه أحد قادة الإرهاب عندما ذكر: «أننا نخوض أكثر من نصف معركتنا في الساحة الإلكترونية والإعلامية» وقدم نصيحة لكوادره قائلاً: «عليكم أن تدركوا أن كل لقطة تلتقطونها هي بأهمية صاروخ يطلق على العدو....».

لقد استغل الإرهاب الحاسب والكاميرا إلى أقصى حد ممكن فأصبحت تقدم أدلة عسكرية على شكل كتب وأفلام وسلايدات «باور بوينت» تتضمن معلومات شتى عن الأسلحة والاغتيالات وصنع المتفجرات والسموم، لقد أصبحت شبكة الإنترنت

الواسعة وكأنها معسكر تدريب افتراضي للإرهابيين، ولقد نشرت النيويورك تايمز تقريراً يؤكد أن ٩٠٪ من الهجمات الإرهابية استخدم فيها متفجرات صناعة يدوية من تلك التي توجد وصفاتها بكثرة على الإنترنت. لقد لعب البريد الإلكتروني دوراً مهماً في التواصل بين الإرهابيين وتبادل المعلومات بينهم، للأسف يُوجد على الشبكة الإلكترونية بعض المواد التي تُعتبر بمثابة دروس مجانية للإرهابيين، ابتداء من بيان كيفية صناعة الزجاجة الحارقة، مروراً بكيفية صنع الطرود المفخخة وصولاً إلى كيفية صناعة بعض القنابل، لقد أصبح الإرهاب الحديث أكثر ضراوة لاعتماده على التكنولوجيا المتطورة للإنترنت التي ساعدت المنظمات الإرهابية في التحكم الكامل في اتصالاتهم ببعض، مما زاد من اتساع مسرح عملياتهم الإرهابية، وبالتالي أصبح من الصعوبة اصطياد هذا الوحش الإلكتروني الجديد وتدميره وقتله.

الإرهاب الالكتروني هو إرهاب الغد نظراً لتوسع وتعدد وتنوع مجال الأهداف التي يمكن مهاجمتها مع توفير قدراً كبيراً من السلامة للمهاجمين وعدم تعرضهم لخطر اكتشاف هوياتهم أو حتى المواقع التي شنوا هجومهم منها إلا بعد وقت طويل وجهد في البحث. هذا الإرهاب الإلكتروني له خسائر هائلة فتوقف التجارة الإلكترونية مثلاً ليوم واحد قد يتسبب في خسائر لأكثر من ستة مليارات دولار، وهكذا يمكن لمنظمة إرهابية إلحاق الكثير من الأذى والخلل لأعمال البنوك والبورصات وحركة الطيران، بل وحتى تغيير مواصفات تركيبة الأدوية في مصانع الأدوية مما يترتب عليه خسائر في أرواح البشر.

لقد دمرت منظمة إرهابية في أستراليا عام ٢٠٠٠م شبكة الصرف الصحي بواسطة عملية إلكترونية وفي نفس العام عندما أفلحت منظمة آوم شيريكو الإرهابية اليابانية من اختراق نظام البرمجة المتحكم في مسار أعداد هائلة من سيارات الخدمة العامة بواسطة التلاعب بأنظمة الحاسب، والإنترنت من أعطال أنظمة أكثر من خمسين شركة يابانية كبرى واختراق أنظمة عشر إدارات حكومية وتوجيهها لصالحها، ولم يتم اكتشاف هذه الاختراقات إلا بعد أن تكبدت الشركات والحكومة خسائر باهظة، كذلك

استطاعت إحدى المنظمات الإرهابية مسح جميع البيانات السكانية لليابان بواسطة اختراق أحد المواقع الحكومية، وفي عام ٢٠٠٠م حصلت أكثر من مائة وثمانين ألف حالة اختراق إلكترونية لمؤسسات اقتصادية ومالية كبرى في العالم، وهذه الهجمات والاختراقات تزيد بمعدل ٦٠٪ سنوياً.

لقد أضحى «الإنترنت» الساحة المتاحة لمعتنقي الفكر التكفيري لاجتذاب الشباب من خلال الشات وغرف البالتوك أو بنشر أفكارهم على التويتر والفيس بوك وعلى المنتديات أو من خلال المواقع التي تُعبّر عن الجماعات التي تعتنق هذه الأفكار. ولقد تولدت قناعة لدى بعض المؤمنين بأفكار التنظيمات الإرهابية أن الإنترنت مجال لما أطلقوا عليه الجهاد الإلكتروني ودفعهم ذلك لتدمير المواقع المخالفة لنهجهم ومحاولة نشر فكر التنظيم، وبالتالي أصبحت الشبكة هي البديل لمن لم يتمكن من الإرهاب كسلوك، هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو تصوير وإظهار ممارسي الإرهاب الرقمي بمظهر البطولة والقدرة والتي جعلت منهم نجوماً يسعى الكثير من المراهقين لتقليدهم والإفادة من تجاربهم الإرهابية والمتطرفة والتكفيرية، هل يصدق أن إحدى المواقع الإرهابية الكبيرة أسست ما أسمته جامعة الجهاد الإلكترونية تحتضن عدة كليات منها كلية الجهاد الإلكتروني، وكلية جهاد النفس، وكلية تقنية العبوات الناسفة والسيارات المفخخة، وكلية الجهاد الإعلامي، بإمكانيات هائلة في التواصل الصوتي والمرئي والمكتوب بطبيعة سرية وفورية وقليلة التكلفة لتساعد التنظيم الإرهابي على بناء علاقات بين أعضائه في الفضاء الخارجي بعيداً عن المراقبة الأمنية يُستفاد من ذلك في أعداد هائلة من الزوار من مختلف الجنسيات يمكن للتنظيم أن يجند بعضهم أو يكسب تعاطف البعض الآخر.

وكعينة لإرهابيي الإنترنت يونس واسمه في الإنترنت (إرهابي ٧٠٠) وقبض عليه في أكتوبر ٢٠٠٥م. ويونس هذا لم يطلق طلقة واحدة في حياته ولكنه أكثر خطراً من عشرات الإرهابيين حيث لعب هذا الشاب في إعادة تنظيم القاعدة بعد سقوط نظام طالبان، كان يونس يعمل مع اثنين من المتعاملين معه ومع أنه لم يسبق لهم الالتقاء

وجهاً لوجه مطلقاً فإن جميع الاتصالات واللقاءات كانت عبر الشبكة العنكبوتية. لقد كانت هذه الخلية تدير شبكة لبطاقات الاعتماد المزيفة بقيمة بلغت ١,٨ مليون جنيه إسترليني وأنفقت هذه الأموال على شراء معدات لتنظيمات إرهابية وتصميم مواقع تكفيرية متطرفة على الشبكة الإلكترونية. كما تبيَّن أن لهذه الخلية خاصة (إرهابي ٧٠٠) ارتباطاً بالتخطيط لتفجير مواقع عسكرية ومدنية في واشنطن ولندن وله علاقة بالخلية من الأطباء التي حاولت تفجير مطار جلاسكو وعثر بجهاز (إرهابي ٧٠٠) على رسالة تقول «نحن ٤٥ طبيباً مصممون على نقل الحركة إلى داخل أمريكا الفاسدة». كما وجد في حاسبه كذلك على مخطط لضرب قاعدة بحرية أمريكية في فلوريدا. وهذه عينة فقط لإرهابيي الإنترنت ومدى فاعليتهم وخطرهم على المجتمع والأمن ككل.

من المهم معرفة التمويل الإلكتروني، فعددٌ كبير من المواقع الإلكترونية تقدم دعايات وإعلانات وخدمات وتقبض أموالاً طائلة في مقابل ذلك، وقد يكون الموقع عادياً ولكنه واجهة لخلية إرهابية، ودلَّت بعض الدراسات أن بعض هذه المواقع يصل دخلها إلى ملايين الريالات، وهذه المواقع «العادية» تبهر المتصفح بالإعلانات المصممة تصميماً أقرب للخيال العلمي، وهي بذلك تربح الملايين من الأموال من هذه الدعايات والإعلانات والخدمات المقدمة، وللأسف الشديد لا يُعرف أين تذهب هذه الأموال؟

كذلك من الإستراتيجيات الفعَّالة التنسيق مع محركات البحث أمثال جوجل، وياهو، ويوتيوب، ووندوز لايف، ومكتوب، والفيس بوك، وغيرها لمنع دخول الإرهابيين لهذه المواقع وعدم استخدام مواقعهم كوسيلة نشر للفكر الإرهابي. كما أن ضرورة توحيد التشريعات الأمنية على المستوى الدولي؛ بغية تعزيز قاعدة البيانات للمطلوبين أمنياً. ومن الإستراتيجيات كذلك محاولة إنشاء هيئات وطنية تهتم بمكافحة الإرهاب والجرائم المرتبطة بشبكة الإنترنت.

ولذا يعمل العالم جاهداً للحد من جرائم الفضاء الإلكتروني وعلى رأسها الإرهاب المعلوماتي وفي هذا الإطار طرح توقيف مهندس هندي يدير حساباً لتنظيم داعش

على تويتر عدة أسئلة حول مدى إمكانية التنظيم شن هجمات إلكترونية موجعة لمؤسسات غربية خصوصاً مع الاحترافية التي توظف بها عناصر التنظيم مواقع التواصل المختلفة، هل استخدام الإنترنت بكفاءة مؤهلاً لشن هجمات إلكترونية؟ أم أن هناك فروقاً بين الأمرين؟

قوة استراتيجية:

توقف الكثيرون أمام توظيف تنظيم داعش الفضاء الإلكتروني لا سيما مواقع التواصل الاجتماعي التي استخدمها التنظيم بشكل غير مسبوق في أية تنظيمات مشابهة.

ففي الوقت الذي يخوض فيه عناصره معارك لاحتلال هذه المدينة أو تلك، ويقومون بانتهاكات ربما تكون الأبشع بين الجماعات المتطرفة يخوض أفراد تابعون أو متعاطفون مع التنظيم معركة من نوع آخر للاستيلاء لا على بنك أو قطعة آثار بل على عقول وقلوب الرأي العام، ويتم بث مقاطع فيديو على موقع يوتيوب تتسم في مجملها بحرفية واضحة في الإخراج غالباً ما تجد طريقها لدى المشاهد وبصفة خاصة من الأجانب.

كما يقومون بالتفاعل مع موقعي فيسبوك وتويتر وغيرهما بطريقة لا تخلو من احترافية لنشر فكر التنظيم والترغيب في الانضمام له أو حتى التعاطف على أقل تقدير.

يضاف إلى هذا إنشاء مجلات إلكترونية لافتة للنظر نتيجة القالب الاحترافي الذي تخرج به في الشكل والمضمون، ويجمع هذه الوسائل هدف التأثير على المتابع لنشر فكر التنظيم، والرد على ما يثار حوله، وكذلك تثبيط همم الأعداء. ويعتبر تقرير نشره موقع سيكيورتي ويك أن استخدام التنظيم الإعلام الاجتماعي يعتبر قوة استراتيجية لا يستهان بها، كما تعتبر سبباً رئيساً في انضمام عدد كبير من العناصر التي وفدت من دول أجنبية عديدة، لكن هل يرتبط استخدام الفضاء الإلكتروني بطريقة غير مسبوقة بإمكانية شن حرب إلكترونية موازية للحرب على الأرض؟

الخيارات المرعبة مطروحة:

يرى ديفيد ديولت -رئيس شركة FireEye للأمن المعلوماتي- أن التنظيم ربما يسير على خطى الجيش الإلكتروني السوري، وفريق أياكس الأمني الإيراني في الهجوم على أهداف غربية، وأكد أن هناك شواهد على أن المنظمات الإرهابية تنوي الدخول بقوة في عالم الجريمة الإلكترونية لا سيما مع ازدهار الأسواق السرية التي تتعامل مع السوفت وير المشبوه، ولا يستبعد أن تكون الجماعات الإرهابية زبوناً لدى تلك الأسواق الرائجة إلى حد كبير فيما يسمى الشبكة السوداء حسبما ذكره لصحيفة فايننشيال تايمز. وأكد أن هناك مواقع تسوق عادية مثل eBay أحياناً تعرض تلك الأدوات الضارة في الفضاء الإلكتروني بتكلفة ضئيلة نسبياً، ولا تحتاج تلك الأدوات إلى خبرة كثيرة للتعامل معها، وشدد على أن تلك «الأسلحة» الإلكترونية لن تقل أهمية عن الأسلحة التقليدية لدى جماعات الإرهاب المختلفة.

أما عن احتمالية شن هجمات محدودة، لكن مؤثرة من قبل التنظيم يرى جون كوهين -منسق مكافحة الإرهاب في الأمن الداخلي بواشنطن- أن داعش تبحث دوماً عن الأحداث التي تلفت الأنظار إلى وجودها وأهدافها.

لذا ليس من المستبعد أن تضع بين أهدافها القيام بأعمال إلكترونية تخريبية ضد الأهداف الأمريكية، إلا أنه يرى أن التنظيم لن يكتفي بمجرد المضايقة ولإثبات الوجود بقدر ما يتوقع أن يعمد إلى إحداث أزمة حقيقية، ويضرب أمثلة بضرب مفاعلات الطاقة على الأراضي الأمريكية.

كما أن المؤسسات المالية قد تكون هدفاً للتنظيم بحيث يساعد اختراقها إلكترونياً على تأمين تمويل للتنظيم الذي يعتبر الأضخم تمويلاً بين الجماعات المتطرفة.

وقد دفع الجدال حول الإرهاب المعلوماتي جيمس كومي -مدير المباحث الفيدرالية FBI- للخروج في أول ظهور تليفزيوني له لمناقشة المسألة محذراً من خطر تلك التهديدات، وأنه لا يجب التهاون في التعامل معها.

أما مايكل روجرز -مدير وكالة الأمن القومي الأمريكية- فقد طالب باتخاذ أقصى التدابير الأمنية تحسباً لوقوع هجمات إلكترونية من جماعات متطرفة، ودعا للعمل مع دول أخرى للتنسيق للعمل معاً ضد هذه التهديدات.

وفي ذات السياق عقد حلف شمال الأطلسي تدريبات للأمن المعلوماتي استمرت ثلاثة أيام على مقربة من السواحل الروسية، وقد ركزت هذه التدريبات -التي تعد الأكبر في تاريخ الناتو- على السيناريوهات المفترضة للقيام بهجمات إلكترونية إرهابية.

هجمات هوليودية (سينمائية)

وعلى الجانب الآخر ترى سيلينا ريليو -رئيسة برنامج مكافحة تمويل الإرهاب بالخارجية الأمريكية سابقاً- أنه يجب التفرقة بين استخدام التنظيم الفضاء الإلكتروني كأداة إعلامية، والقدرة على توظيفه للقيام بعمليات إرهابية تستهدف المواقع الإلكترونية الحساسة.

ولا تعتقد أن الوقت الراهن سيشهد قيام الجماعات المتطرفة بهجمات كارثية على مواقع تخص دول غربية، لكنها تدعو للتحسب لحدوث تغيير في المستقبل فيما يخص هذا النوع من العمليات، وإذا كان الأمر اليوم بمثابة تهويل لقدرات التنظيم، فإن الغد يختلف.

من جانبه يرى ستيفن بونر -خبير الأمن الإلكتروني- أن ما يتردد عن حدوث ضربات إرهابية من خلال الإنترنت ذات تأثير ضخم يعتبر ضرباً من الخيال، ويقول: إنه لم ير انهيار شركات كبرى بسبب اختراق حواسيبها إلا في أفلام هوليوود، إلا أنه يوصي بتفعيل أنظمة دفاع إلكتروني قوية.

ولا تختلف هذه التوصية عن تلك التي أطلقها توم كين ولي هاملتون -معدا تقرير لجنة ١١ سبتمبر- مشيرين إلى أن الدرس المستفاد من هجمات سبتمبر أن الولايات المتحدة لم تنتبه لتهديدات الإرهاب ال الإلكتروني إلا في وقت متأخر جداً، وطالبا بعدم تكرار العالم هذا الخطأ بأن تتخذ إجراءات الأمن المعلوماتي تحسباً لأي اختراق

من جماعات إرهابية، لأن التغيرات المتسارعة في الظروف الجيوسياسية العالمية تدعو لليقظة من تنامي تلك المخاطر.

ويقول كريغ جليانو -خبير التأمين المعلوماتي والمسؤول السابق في البنتاغون- إنه لا يوجد إثبات واحد لفرضية قيام الجماعات الإرهابية بشن هجمات إلكترونية على البنية التحتية لأية دولة تستهدفها. وشدد على أن تلك الجماعات -ومنها داعش- لا تمتلك الكوادر البشرية المؤهلة لقيادة مثل هذا الهجوم، كما لا تمتلك المصادر التي تمكنها من ذلك. وقال: إن فرضية حدوث مثل تلك الهجمات ربما تكون واردة في المستقبل، لكن ليس في الوقت الراهن.

ويوضح أن المقارنة تظهر البون الشاسع بين تنظيم داعش وعمليات القرصنة الإلكترونية التي تمارسها كيانات مدعومة من دول مثل هجمات القراصنة الصينيون على أهداف أمريكية، وثمة إفادات بأن المهاجمين يتلقون دعماً واسعاً من السلطات الصينية، كما أن عدداً منهم يعمل بالجيش الصيني.

ويؤكد هذا الرأي جيم لويس -الخبير بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، مشيراً إلى أن التنظيم لا تتوافر لديه الإمكانيات التقنية والبشرية التي تتيح القيام بهجمات تدميرية مؤثرة على المواقع المعادية.

ويوضح أن هدف الهاكرز الصيني المدعوم حكومياً اقتصادي في المقام الأول، حيث يقومون باختراق حواسيب الشركات الكبرى للوقوف على الأسرار التجارية لتلك الشركات، والملكية الفكرية للمنتجات.

أما في حالة داعش فالهدف الأول حالياً هو بسط النفوذ على أكبر مساحات ممكنة من الأراضي لإقامة دولة الخلافة، وليس من أهدافها شن هجمات إلكترونية على المواقع الغربية.

وأشار تقرير لتاي كورين وغابي سيبوني أن الهدف الأول من استخدام التنظيم الإنترنت ذو أبعاد نفسية في المقام الأول لتصوير قوة وهمية، حيث تنشر الفيديوهات

الصادمة الرعب لدى مشاهديها، فيما تعزز مشاهد الفتوحات والغنائم الصورة المطلوب تعميمها.

إلا أن هناك مؤشرات إلى أن التنظيم يمتلك الأدوات المتقدمة التي تمكنه من القيام بهجمات إلكترونية حسب التقرير المنشور بدورية معهد دراسات الأمن القومي .

ومن هذه المؤشرات أن قيادة التنظيم تضم مجموعة من القادة في مرحلة الشباب على قدر كبير من المعرفة التقنية، فضلاً عن ثراء التنظيم الذي يسمح له بتوفير الإمكانيات، يضاف إلى هذا ما نشر في عام ٢٠١٢ عن تسرب معلومات تقنية بالغة الحساسية من إيران وكوريا الشمالية لمجموعات إرهابية.

تجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من عناصر داعش ذات صلة بهجمات أو جرائم إلكترونية ومنهم أبو حسين البريطاني الذي سبق سجنه في عام ٢١٠٢ لمحاولات اختراق حساب البريد الالكتروني لرئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، كما خصص حسابه على تويتر للدعوة لتجنيد المزيد من الشباب.

وهناك مجموعة تطلق على نفسها Lizard Sguad التي أعلنت مسؤليتها عن تعطيل مواقع الإنترنت الخاصة بالفاتيكان وشركة سوني وغيرهما، وتعلن هذه المجموعة -على حسابها بتويتر- أنها وضعت علم التنظيم على الصفحات التي أغلقتها. ومع ذلك هناك من يطرح تساؤلات حول إمكانية البعض اللعب بورقة الإرهاب والتطرف للنيل من المؤسسات الأمريكية والغربية لدفع العالم أجمع للوقوف في وجه العالم الإسلامي، على اعتبار أن الهجمات الإلكترونية المتوقعة ستسجل باسم تنظيم داعش.

الحماية من الإرهاب الإلكتروني في الدول المتقدمة:

في فجر الثورة الرقمية، في منتصف العقد الماضي، انتبه الغرب إلى قضية الإرهاب الإلكتروني ومخاطره، حيث قام الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في العام ١٩٩٦ بتشكيل لجنة حماية منشآت البنية التحتية الحساسة WWW.Nipc.govv . وكان أول استنتاج لهذه الهيئة هو أن مصادر الطاقة الكهربائية والاتصالات إضافة إلى شبكات

الكمبيوتر ضرورية بشكل قاطع لنجاة الولايات المتحدة، وبما أن هذه المنشآت تعتمد بشكل كبير على المعلومات الرقمية، فإنها ستكون الهدف الأول لأية هجمات إرهابية تستهدف أمن الولايات المتحدة.

وفي أعقاب ذلك، قامت كافة الوكالات الحكومية في الولايات المتحدة، بإنشاء هيئاتها ومراكزها الخاصة، للتعامل مع احتمالات الإرهاب الإلكتروني. فقامت وكالة الاستخبارات المركزية بإنشاء مركز حروب المعلوماتية، ووظفت ألفا من خبراء أمن المعلومات، وقوة ضاربة على مدى ٢٤ ساعة لمواجهة الإرهاب الإلكتروني. وقامت القوات الجوية الأمريكية باتخاذ خطوات مماثلة، ومثلها المباحث الفدرالية. كما تقوم قوات الأمن في أوروبا، وخصوصا الدول التابعة لحلف الأطلسي، باتخاذ إجراءات مماثلة.

الحرب الرقمية من المنظور الأمريكي:

نقتبس فيما يلي التعريف الذي تعتمده كليات الحرب الأمريكية، وتدعوه بهجمات الشبكات الكمبيوترية، وتصنفه تحت بند «حرب إلكترونية». ويقول التعريف بأن الحرب الرقمية هي «الإجراءات التي يتم اتخاذها للتأثير بشكل سلبي على المعلومات ونظم المعلومات، وفي الوقت نفسه الدفاع عن هذه المعلومات والنظم التي تحتويها.» وحسب تعريف كلية الحرب فإن العمليات الإلكترونية تتضمن أنشطة مثل أمن العمليات، والعمليات النفسية، والخداع العسكري، الهجمات الفيزيائية، والهجمات على شبكات الكمبيوتر. وهناك الكثير من الطرق التي يمكن من خلالها تنفيذ الهجمات الرقمية، منها الهجمات المباشرة من خلال التدمير الفيزيائي لأجهزة الخصم، أو نقاط الاتصالات الهامة ضمن شبكاته، وذلك باستخدام القوة العسكرية المباشرة. وهنالك أيضا سرقة المعلومات من أجهزة الخصم، مما يمكن الجهات الصديقة من اتخاذ قرارات أفضل في المعركة، إضافة إلى تخريب قواعد بيانات الخصم والتلاعب بها، لجعل الخصم يخطئ في اتخاذ القرارات. وبالطبع هناك استخدام الفيروسات وأساليب رقمية مثل هجمات الحرمان من الخدمات لتركيع مواقع الخصم، مما يؤدي إلى التقليل من مقدرة الخصم على الاتصال، وإبطاء قدرته على اتخاذ القرار.

سيناريوهات حروب المعلومات:

وكما هي الحال في أية حرب، فإن الجيوش المتصارعة تستهدف دوما ثلاثة عناصر أساسية من أجل كسب المعركة؛ وهي العناصر العسكرية، والاقتصادية، والسياسية أو بكلمات أخرى إرادة الشعب. وفي عالم حروب المعلومات تجد العناصر الثلاث نفسها وعلى رأسها مراكز القيادة والتحكم العسكرية، والبنوك والمؤسسات المالية، ومؤسسات المنافع كمؤسسات المياه والكهرباء وذلك لإخضاع إرادة الشعوب.

الهجمات على الأهداف العسكرية:

تستهدف هذه النوعية من الهجمات عادة، الأهداف العسكرية غير المدنية، والمرتبطة بشبكات المعلومات. وهذا النوع من الهجمات نادر الحدوث عادة لعدة أسباب أولها هو أنه يتطلب معرفة عميقة بطبيعة الهدف، وطبيعة المعلومات التي يجب النفاذ إليها، وهي معرفة لا تمتلكها إلا الحكومات، إضافة إلى أن الحكومات تقوم عادة بعزل المعلومات العسكرية الحساسة عن العالم، ولا تقوم بوصل الأجهزة التي تحملها بالعالم الخارجي بأي شكل من الأشكال. ولكن يبقى الحذر واجباً من عمليات التخريب الداخلية، ومن هنا تأتي ضرورة وضع نظم موثوقة للتحقق من شخصيات المستخدمين، والتحديد الدقيق لطبيعة المعلومات التي يُسمح بالنفاذ إليها. ومن السيناريوهات التي تمثل هذا النوع من الهجمات، هو النفاذ إلى النظم العسكرية واستخدامها لتوجيه جنود العدو إلى نقطة غير آمنة قبل قصفها بالصواريخ مثلا.

الهجمات على الأهداف الاقتصادية:

أصبح الاعتماد على شبكات الكمبيوتر شبه مطلق في عالم المال والأعمال، مما يجعل هذه الشبكات، نظراً لطبيعتها المترابطة، وانفتاحها على العالم، هدفا مغريا للعابثين والهكرة. ومما يزيد من إغراء الأهداف الاقتصادية والمالية هو أنها تتأثر بشكل كبير بالانطباعات السائدة والتوقعات، والتشكيك في صحة هذه المعلومات، أو تخريبها بشكل بسيط يمكن أن يؤدي إلى نتائج مدمرة، وإضعاف الثقة

في النظام الاقتصادي. ولذلك فإن الهجمات ضد نظم المعلومات الاقتصادية يمكن لها أن تكون مؤذية جداً. ومن الأمثلة على الهجمات الاقتصادية هي العملية التي قامت بها مجموعة من الهكرة، تُعرف باسم نادي الفوضى، في عام ١٩٩٧، حيث قام هؤلاء بإنشاء بريمج تحكم بلغة آكتف إكس مصمم للعمل عبر إنترنت ويمكنه خداع برنامج كويكن Quicken المحاسبي بحيث يقوم بتحويل الأموال من الحساب المصرفي للمستخدمين. وباستخدام هذا البريمج أصبح بإمكان هؤلاء الهكرة سرقة الأموال من أرصدة مستخدمي برنامج كويكن في جميع أنحاء العالم. وهذه الحالة هي مثال واحد فقط على الطرق التي يمكن بها مهاجمة شبكات المعلومات الاقتصادية واستغلالها، وهي طرق يمكن أن يكون لها آثار مدمرة على المجتمعات.

الهجمات على شبكات الطاقة الكهربية:

أصبح الاعتماد على شبكات المعلومات، وخصوصا في الدول المتقدمة، من الوسائل المهمة لإدارة نظم الطاقة الكهربية. ويمكن لهجمات على مثل هذا النوع من شبكات المعلومات أن تؤدي إلى نتائج خطرة وحقيقية، وخصوصا في ظل اعتماد الإنسان المعاصر على الطاقة الكهربائية. ومن الإحصائيات البشعة التي يمكن لها أن تدلنا على فعالية مثل هذا النوع من الهجمات هي تلك المتعلقة بالهجمات على العراق خلال حرب الخليج الثانية، حيث تشير مصادر كلية الحرب الأمريكية إلى أن ضرب مولدات الطاقة الكهربائية العراقية أدى بشكل غير مباشر إلى موت ما بين ٧٠ إلى ٩٠ ألف مواطن عراقي كنتيجة مباشرة لعدم توفر الطاقة الكهربائية. ولذلك، فإن شبكات المعلومات المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بشبكات الطاقة الكهربائية تعتبر من الأهداف الأولى التي قد يستهدفها الإرهاب الإلكتروني.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، حيث أن هنالك الكثير من الأهداف الأخرى، التي يمكن بواسطتها للهكرة المتمكنين أن يشيعوا الفوضى في الحياة المدنية. فهنالك مثلا شبكات المعلومات الطبية، والتي يمكن مهاجمتها، واختراقها، ومن ثم التلاعب بها أن يؤدي إلى خسائر في أرواح المرضى من المدنيين. وهنالك حالات في العالم

الغربي حيث قام الهكرة بالنفاذ إلى سجلات المستشفيات والتلاعب بسجلات المرضى بشكل أدى إلى حقن هؤلاء بأدوية وعلاجات كانت مميتة بالنسبة لهم. وحتى لو افترضنا أن الشبكات المعلوماتية الخاصة بالمؤسسات الطبية منيعة، فإن رسالة واحدة تُنشر مثلا بالبريد الإلكتروني، مفادها أن هنالك دماء ملوثة في المستشفيات وما إلى ذلك، يمكن لها أن تحدث آثارا مدمرة على الصعيد الاجتماعي.

سبل الحماية:

يمكننا أن ندخل هنا في موضوعات شتى حول سبل حماية نظم المعلومات الهامة، ولكن تبقى الخلاصة هي أنه لا يمكن تقديم حماية مطلقة وتامة لنظم المعلومات المرتبطة بشبكات الاتصالات. والسبيل الوحيد لتأمين المعلومات الحساسة هو عزل الأجهزة التي تحتوي هذه المعلومات عن العالم. ولكن مثل هذه الإجراءات يمكن لها أن تؤدي إلى نتائج أكثر إيذاء على المدى الطويل تتمثل في حرمان المجتمع من وسائل زيادة الإنتاجية والفعالية. ومع ذلك، فإن استخدام مجموعة من الإجراءات الأمنية الأساسية يمكن لها أن تقلل بشكل كبير من مخاطر الاختراقات والإرهاب الإلكتروني. وتشمل الإجراءات الأمنية التي يجب مراعاتها ثلاث نواح هامة يجب تغطيتها جميعاً وبشكل متكافئ، وإلا فإن السياسة الأمنية ستعتبر فاشلة.

تأمين خطوط الدفاع الأمامية باستخدام تطبيقات الجدران النارية:

وتقوم هذه الفئة من التطبيقات بتأمين المنافذ Ports التي تحصل من خلالها التطبيقات على خدمات إنترنت. وهذه المنافذ تُحدد برمجياً ضمن نظم التشغيل أو التطبيقات المستخدمة، وفي كثير من الأحيان لا يستعمل المستخدم كافة هذه المنافذ مما يجعله يسهو عن تأمينها وحمايتها، مما يشكل فرصة مثالية للهكرة للنفاذ إلى النظم. وتعمل برمجيات الجدران النارية كمصفاة تمنع وصول الطلبات المشبوهة إلى الأجهزة المزودة، وذلك بالاعتماد على مجموعة من السياسات Policies التي يحدد بموجبها مدراء الشبكة طبيعة المعلومات التي يُسمح للعاملين بالمؤسسة النفاذ إليها. وضمن فئة الجدران

النارية يوجد نوع هو الجدران النارية المؤسسية، والتي تقوم بحماية تطبيقات المؤسسات على مستوى الأجهزة المزودة، وبالتالي الأجهزة المرتبطة بهذه النظم المزودة، طالما بقيت مرتبطة بالشبكة. ولكن في عصر المستخدم النقال، والعمل من المنزل، حيث لا يوجد جدران نارية وأجهزة مزودة، تكتسب الجدران النارية الشخصية، أهمية خاصة. وقد بدأ مدراء المعلوماتية في الغرب مؤخرا يقومون بتثبيت الجدران النارية الشخصية على الأجهزة المحمولة التي يستخدمها العاملون في المؤسسات. ويجب أن نذكر هنا أن الجدران النارية ليست الحل السحري الذي يوفر الأمن الشامل، وأنه يجب استخدام طبقات أخرى من الأمن تتجاوز الخطوط الأمامية.

تأمين حسابات المستخدمين ونظم التحقق من الهوية:

رغم وجود العديد من تقنيات التحقق من الهوية وخصوصا أساليب التحقق البيولوجي من الهوية (بالاعتماد على الصفات الشخصية والسمات الجسدية للأشخاص)، تبقى كلمات السر وأسماء المستخدمين هي الوسيلة الأكثر شيوعا للتحقق من الهوية، رغم أن هذه الأساليب بدأت تصبح أضعف وأضعف بتطور التقنيات التي يستخدمها الهكرة لكشفها وخرقها. ومع ذلك، فهنالك الكثير من الوسائل التي يمكن استخدامها للحد من قدرة الهكرة على اختراق واكتشاف هذه الرموز. وتعتمد هذه الوسائل أساسا على تحديد حقوق نفاذ المستخدمين إلى الشبكات، وحصرها بما يحتاجه كل مستخدم. ولكن هذه التقنيات، ورغم قوتها، ليست حلولا سحرية، إذ أنها تتطلب الكثير من المهارة والتخطيط الواعي قبل تطبيقها كي تحقق النجاح.

تصاعد الهجمات الإلكترونية:

أصبحت وتيرة الهجمات الإلكترونية تتزايد وتتكرر بصورة تصاعدية، وهذا بدون شك يشير إلى أن الإرهاب يتلون ويأخذ صوراً وأشكالا متعددة كلها تصب في خانات متعددة تشمل التخريب والاستغلال والاستحواذ والهيمنة والابتزاز، وهذه الأمور كالعادة تبدأ بمبادرات فردية عبثية ومع استفحالها وتطورها يبدأ تبنيها من قبل منظمات وشركات

ومراكز استخبارات، الهدف منها تحطيم الخصم، والفوز بقصب السبق حتى إذا أتت أكلها استساغتها دوائر أكبر وأشمل ضمن دوائر الصراع والتنافس، وأصبح هناك نوع من التحدي الإلكتروني بين الأطراف المتصارعة مما حدا بالدول ذات الوعي التقني إلى إنشاء جيش إلكتروني يسمى جيش السيبر يكون ملحقا بالجيوش النظامية أو مستقلاً، له أهداف متعددة منها ما هو شرعي، ومنها ما هو غير شرعي، ويشمل ذلك العمل على صد الهجمات الإلكترونية أو تنفيذ هجمات إلكترونية أو العمل على شل القدرات العسكرية الدفاعية والهجومية بالإضافة إلى شل حركة المؤسسات الأمنية والمدنية. ولعل ما نشاهده من هجمات إلكترونية متكررة بمسميات مختلفة مثل «شارون – والفدية» وغيرها لا تعدو كونها بروفات وتجارب ميدانية لبعض الفيروسات الإلكترونية لدراسة مدى تأثيرها وانعكاساتها وبالتالي العمل على تطويرها، وهذا يعني أن عصر الإرهاب الإلكتروني قد بدأ بنشر ظلاله على كافة المستويات، وهذا نذير بتحوله من مجرد إرهاب إلى حرب ضروس تعجز الدول والشعوب التي لم تستعد لها عن الوقاية منها و يجعلها تقع ضحية لذلك المارد الذي بدا يفقس من البيضة ويتحول إلى وحش كاسر لا يرده سوى العلم والمعرفة اللذان يستطيعان بناء أسوار وعوائق إلكترونية على قدر عال من الكفاءة والندية بل المتفوقة، وهذا يدعونا إلى المناداة بإنشاء جيش سيبر دون تأخير، خصوصاً أن مختلف الدول والمؤسسات تسعى جاهدة إلى امتلاك الأدوات والوسائل الخاصة بها للحماية من ذلك المارد الذي انطلق من عقاله وأصبح وسيلة من لا وسيلة له للإضرار بالآخرين.

وقد بدأ عصر الإرهاب الإلكتروني بنشر ظلاله على كافة المستويات، وهذا نذير بتحوله من مجرد إرهاب إلى حرب ضروس تعجز الدول والشعوب عن الوقاية منها.

إن الإرهاب وبالتالي الحروب الإلكترونية فيها معتدٍ وفيها ضحية وهذا ما خلق اليوم سباق التسلح بالعلم والمعرفة الإلكترونية على مستوى المؤسسات والشركات خصوصاً المالية مثل البنوك المركزية والبنوك التجارية ومراكز الاستثمار والمؤسسات الخدمية والإعلامية وقبل ذلك وبعده المؤسسات العسكرية والأمنية.

نعم إن العصر الحاضر أصبح عصر تقنية المعلومات، وأصبحت جميع الفعاليات الحالية تعتمد على استخدام الحاسوب في كافة القطاعات مما ينذر باندثار المعاملات الورقية وحتى الصحف وإخواتها بصورة تدريجية، ولن يتوقف الأمر على ذلك بل سوف يتعداه إلى النقود التي تتحول بصورة متسارعة إلى عملات إلكترونية مما جعل تلك القطاعات مجتمعة أو منفردة هدفاً استراتيجياً سهلاً يعمل الأرهابيون على اختراقه والتجسس عليه أو تعطيله أو تدميره، والحقيقة المرة أن مثل تلك الهجمات تمهد لما بعدها خصوصاً في مجال الاستحواذ على الأموال من خلال سحبها وتحويلها إلى حسابات آخرى، ومن ثم الاستيلاء عليها من خلال القرصنة الإلكترونية المتقدمة.

وهذا ما يدعو جميع المؤسسات وخصوصاً المالية منها إلى عدم التخلي عن النظام الورقي بل ابقائه كاحتياط يتم اللجوء إليه في حالة الضرورة القصوى ناهيك عن العمل على تبني أنظمة الكترونية احتياطية داخلية متقدمة تكون بمعزل عن تلك الهجمات يركن إليها وقت الضرورة للمواجهة والحد من تأثير ما هو قادم من هجمات أشد وأنكأ.

إن التحسب للأسوأ جزء من الحذر الذي يجب أن نتحلى به ونضعه قاعدة للعمل.

إن الإرهاب الإلكتروني لم يعد يقتصر على ما نشاهده من هجمات إلكترونية، ومن إساءة استخدام لوسائل التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر ومدونات ووتس اب وغيرها، بل سوف يستحدث ما هو أشد وأنكأ ضرراً منها. وهذا يدعونا إلى إنشاء جيش سيبر على مستوى كل من الدولة والمؤسسات للوقاية والهجوم المضاد للدفاع وصد ذلك الإرهاب والحرب التي تتطور بصورة متسارعة إلى ما هو أكبر ضرراً وأبلغ أثراً وأشد تأثيراً.

الخلاصـــة:

بشكل عام فإن الحرب الإلكترونية، من أجل خرق السيادة الوطنية لأية دولة، والحصول على معلومات استخباراتية، وتجنيد العملاء وغيرها من الأنواع المستخدمة، محرّمة.

حيث أن الفقرة الرابعة من المادة الثانية لميثاق الأمم المتحدة تنص على أنه: «يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد باستعمال القوة أو استخدامها ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة».

كما أن الفقرة ٧ من المادة نفسها تقول: «ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق، على أن هذا المبدأ لا يخل بتطبيق تدابير الردع الواردة في الفصل السابع».

ومن الضروري لمواجهة الإرهاب الإلكتروني تفعيل التعاون الدولي في العديد من دول العالم من خلال الاتفاقيات الدولية لضبط وتسليم المُجرمين، وإصدار عدد من القوانين التشريعية الجديدة لتجريم أى استخدام غير آمن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بالإضافة إلى التعاون والتنسيق الدائم مع الإنتربول الدولي في مجال تبادُل المعلومات والخبرات الأمنية والفنية في رصد ومُتابعة كافة الأنشطة الإجرامية والإرهابية، خاصة فيما يتعلق بالنشاط الإرهابي التكنولوجي لتزايده المُستمر من خلال عناصرهِ الإجرامية المُحترفة والمُنتشرة في جميع أنحاء العالم، وارتباط هذا النشاط بشبكة المعلومات الدولية.

●●●

الفصل الخامس
الأمن الفكري والإرهاب

ويشمل:

- مفهوم الأمن الفكرى.
- صيانة الأمن الفكرى من الإرهاب.
- مفهوم حرب المعلومات.

مفهوم الأمن الفكـــرى:

تتنـوع معانـي الأمـن التـي يحتاجهـا المجتمـع، فهنـاك الأمـن النفسـي والإسـتقرار الأسـري وهنـاك مـا يسـمى بالأمـن الغذائـي وأمـن الصحـة الوقائـي وكذلـك الأمـن البيئـي، والزراعـي ممـا يوفـر حيـاة سـليمة مـن الأمـراض العـدوى.

وعلـى صعيـد أخـر هنـاك الأمـن العقائـدي، والدعـوي، والفكـري، والعقلـي، والعلمـي، والاقتصـادي وكذلـك الأمـن العسـكري، والسياسـي.

فالحاجـة إلـى الأمـن بكافـة صـوره وأشـكاله مـن أهـم الحاجـات الفطريـة التـي لا يمكـن أن يكـون سـلوك الإنسـان سـوياً بدونهـا، وكمـا أنـه لا حيـاة للبـدن إلاّ بإشـباع حاجاتـه الفطريـة، كذلـك لا حيـاة ولا سـرور ولا قـرار ولا اسـتقرار للقلـب والنفـس والـروح إلاّ بهـذا الأمـن.

بيـد أن هـذا الأمـن نعمـة وعـد اللّه تعالـى بهـا عبـاده الذيـن يعبدونـه ويوحدونـه ويـذودون عـن دينـه ويحمـون حمـاه.

فـاللّه سـبحانه وتعالـى يقـول: «وعـد اللّه الذيـن آمنـوا منكـم وعملـوا الصالحـات ليسـتخلفنهم في الأرض كمـا اسـتخلف الذيـن مـن قبلهـم وليمكنـن لهـم دينهـم الـذي ارتضـى لهـم وليبدلنهـم مـن بعـد خوفهـم أمنـا يعبدوننـي لا يشـركون بـي شـيئاً» النـور ٥٥

كمـا أن رسـول اللّه -صلـى اللّه عليـه وسـلم- حـرص علـى بيـان هـذا المعنـى فعـن أبـي الـدرداء قـال: قـال رسـول اللّه صلـى اللّه عليـه وسـلم: «مـن أصبـح معافـى في بدنـه آمنـاً في سـربه عنـده قـوت يومـه فكأنمـا حيـزت لـه الدنيـا».

ولقـد حرصـت الشـريعة الإسـلامية علـى تحصيـل المصالـح وتكميلهـا وتعطيـل المفاسـد وتقليلهـا بـل أن مدارهـا علـى تلكـم القاعـدة العظيمـة. فمـا أمـرت الشـريعة بشـيء أو أباحتـه إلاّ وفيـه مصلحـة محققـة أو راجحـة علـى مفسـدة مرجوحـة، ولا نهـت عـن شـيء أو منعتـه إلاّ وفيـه مفسـدة محققـة أو راجحـة علـى مصلحـة مرجوحـة.

فبهذا الأمن المترابط هو الذي يتكون منه مزاج الأمة الأمني.

ولأنه لا يبحث ولا يستقر في أمن إلا باستقرار الأمن الفكري وإنه في هذه العصور يعد هاجساً أمنياً لكل مجتمع، فالأمن الفكري الذي يحمي عقول المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى، والعَبِّ من الشهوات بنهم، أو الولوغ في أتون الانسلاخ الأخلاقي الممزق للحياء الفطري والشرعي.

فجميع أنواع الأمن مرهونة الحصول بالأمن الفكري، فالإنسان إذا عاش آمناً استطاع أن يفكر بعمق، وأن يجتني من ثمرات خواطره المعاني الصحيحة السامية الرفيعة وتولدت في قلبه الرغبات الطاهرة والإرادات المشروعة ثم جاء سلوكه على مقتضى رغبته مأموناً نافعاً فكان رحمة وأمناً وسلاماً على نفسه ومجتمعه وأمته.

إن الأمن كل لا يتجزأ، وهو منظومة متناغمة الأجزاء متساوية الأنحاء إذا حدث خلل في إحداها تداعى له سائرها بالحم.

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل وأنزل الكتب لإرساء قواعد الإيمان الصحيح الذي يقوم على سلامة الاعتقاد والقول والعمل ولا يكون ذلك إلاّ بسلامة القلب الذي هو بيت الفكر والإرادات والمشاعر وسلطان الجوارح ولن يكون القول سليماً مرضياً ولا العمل صحيحاً مقبولاً إلاّ إذا كان القلب سالماً لله عز وجل، سليماً من الآفات والعلل ورديء الهمات والعزمات قال تعالى: «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم» وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»

إن الأمن الفكري حالة تشعر الفرد والمجتمع بالطمأنينة على ثقافته ومعتقداته وأعرافه ومكونات أصالته ومنظومته الفكرية المستمدة من الكتاب والسنة من أن يصيبها التشويه أو التشويش أو الاختراق أو الضبابية أو التعتيم.

إنها الحالة التي تجعل كل فرد من أفراد المجتمع جبلاً شامخاً لا تستطيع رياح الشبهات ولا العواصف الكفريات ولا الأعاصير النفاقيات ولا البدع الضلالات من شرقيات أو غربيات أن تهزه أو أن تنال من ثباته على قيمه ومبادئه.

إنه ضرورة دينية حرص عليها الأنبياء لأممهم وأقوامهم فخليل الله إبراهيم يناصح أباه في غاية اللطف ليرده عن مصدر الضلالات والوساوس الكفريات يقول: «يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً»

يطلب الأمن بجميع صوره وأشكاله للبلد الحرام وساكنيه من الطائفين والعاكفين والركع السجود، وقد سطر ذلك القرآن في قوله تعالى: «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً» وقال تعالى ممتناً على قريش: «لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» وقال تعالى: «أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء»

إن الأمن الفكري هو السبيل الوحيد لبلوغ الأمة عزها ومجدها واحرازها خيريتها واستخلافها وتمكينها أيما تمكين، فوحدة الفكر على عقيدة الإسلام تثمر وحدة الشعور بالمسؤولية والواجب وتحيي الضمائر وتدفع إلى المعالي فيتحقق للأمة سعادتها وفلاحها وعزها وكرامتها.

إن فكرنا جزء لا يتجزأ من عقيدتنا وثقافتنا وتأمينه لديننا وإسلامنا، وحراسته حراسة لعقيدتنا وشريعتنا.

وإذا كانت الأمم تسعى إلى الإبداع والعبقرية والنبوغ، فإن الأمن الفكري هو أعظم مناخ للإبداع والنبوغ والعبقرية والرقي والحضارة فإن الحضارات الراقية على مر التاريخ ما قامت إلاّ على فكر حر وبيئة آمنة مطمئنة.

وإذا كان الشباب هم عماد النهضة وأمل المستقبل فبالأمن الفكري نحميهم ونصونهم عن الشبهات وضبابيات الأفكار المنحرفة.

إن مضامين الأمن الفكري لابد أن تكون مستمدة من ديننا ومن مصادره الصحيحة المعتمدة من القرآن والسنة الصحيحة، منسجمة مع مقاصد شريعتنا تدور مع المصلحة والمنفعة حيث دارت، وتحقق الوسطية والعدل، ولا مجال لمتأول أو متفلسف أو متعولم في أن يحوم حول الحمى إلاّ بحق عليه نور من القرآن وسنة نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

فالأمن الفكري ليس مجالاً لتلاعب المتلاعبين ولا لعبث العابثين من أنصاف المتعلمين أو أرباعهم أو أدعياء التفكير والتنوير، قال الله تعالى: «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور»

صيانة الأمن الفكري من الإرهاب:

أولاً: من الوسائل الوقائية لحماية الأمن الفكري:

١- إظهار وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه: وترسيخ الانتماء لدى الشباب لهذا الدين الوسط وإشعارهم بالاعتزاز بهذه الوسطية «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»، وهذا يعني الثبات على المنهج الحق وعدم التحول عنه يمنة أو يسرة وعدم نصرة طرف الغلو والإفراط أو طرف الجفاء والتفريط في صراعهما المستمر.

٢- معرفة الأفكار المنحرفة وتحصين الشباب ضدها: فلا بد من تعريفهم بهذه الأفكار وأخطائها قبل وصولها إليهم منمقة مزخرفة فيتأثرون بها؛ لأن الفكر الهدام ينتقل بسرعة كبيرة جداً ولا مجال لحجبه عن الناس.

٣- إتاحة الفرصة الكاملة للحوار الحر الرشيد داخل المجتمع الواحد، وتقويم الاعوجاج الفكري بالحجة والإقناع؛ لأن البديل هو تداول هذه الأفكار بطريقة سرية غير موجهة ولا رشيدة مما يؤدي في النهاية إلى الإخلال بأمن المجتمع كما حدث.

٤-الاهتمام بالتربية في المدارس والمساجد والبيوت، وكم يؤلم أن نرى ونسمع هذا الانفصال الشعوري بين الآباء والأبناء، وبين المعلمين والطلاب، وبين الخطباء والمصلين في كثير من الأحيان؛ بل إن معظم المشاركين في أحداث التفجيرات الأخيرة انفصلوا عن أهلهم وخرجوا من بيوتهم منذ مدة طويلة، والمربي الناجح لا يترك مثل هذه الأحداث تمر دون تعليق ولفتات تربوية تناسب المقام.

٥- الدعاء، وهو سلاح عظيم له أثر كبير في حلول الأمن الفكري وقد أهمله كثير من الناس فلا تكاد الأيدي ترتفع سائلة الله الهداية إلى الصواب مع أن نبي الله وهو المؤيد المسدد بالوحي كان يقول في دعائه: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك) بل إن المسلم لا يكاد يكرر دعاء ولا كلاماً في حياته كتكراره لكلمة «إهدنا الصراط المستقيم» التي هي جزء من الفاتحة وقراءتها ركن في كل صلاة بل في كل ركعة بما يزيد عن ستة آلاف مرّة في العام الواحد فالقلوب كما في الحديث الصحيح: «بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء».

ثانيا: من الوسائل العلاجية لحماية الأمن الفكري:

الواقع العملي أن البعض قد وقعوا في هذا المرض (الانحراف الفكري) ولم تجد محاولة الوقاية شيئاً في دفعه عنهم، ومن هنا وجب على المجتمع السعي في علاجهم قبل فوات الأوان ومن وسائل العلاج:

١-دعوة المخطئ إلى الرجوع عن خطئه: وبيان الحق بالمناقشة العلمية الهادئة دون اتهام للنيات فقد تكون صادقة، ولكن هذا لا يغني عن صاحبها شيئاً كما قال تعالى: «وجوه يومئذٍ خاشعة عاملة ناصبه تصلى نار حامية»

٢- تجنب الأساليب غير المجدية: فالمصاب بهذا المرض لا يعالج بالتركيز على الوعظ والتخويف من عقاب الله. فكيف تعظ إنساناً يظن أنه على الدين الحق قبل أن تبين له خطأه الفكري فيما يراه حقاً، ولا يعالج المصاب بهذا المرض بالتركيز على التهديد والوعيد؛ لأن أمثال هؤلاء يرون أنهم يتقربون إلى الله بما يصيبهم من الأذى والنكال.

٣-وجوب الأخذ على أيديهم: ومنعهم من الإخلال بالأمن الفكري للمجتمع ولو أدى ذلك إلى إجبارهم على عدم مخالطة الآخرين لاتقاء شرهم.

٤- النهي عن مجالسة أهل الانحراف الفكري: الذين يريدون خرق سفينة المجتمع وإغراق أهلها بخوضهم في آيات الله وتجرأهم على الفُتيا بغير علم وقد قال تعالى: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره».

٥- ضرورة التفريق بين الانحراف الفكري الذي لم يترتب عليه فعل وبين من أخل بفعله بالأمن في مجتمعه:

فمن ظهر منه عمل تخريبي وثبت عليه شرعاً فيجب محاسبته على ما بدر منه كائناً من كان. وعقابه بما يستحقه شرعاً حتى ولو كان ظاهره الصلاح والاستقامة.

تصنيف المهاجمين المؤثرين في الفكر الإنسانى بشكل مختصر:

١- الإرهابيون.

٢- الدول القومية.

٣- المتعاطفون مع الإرهابيين أو مواقف الدول.

٤- الباحثون عن الشهرة.

٥- عناصر الجريمة المنظمة.

وسائل الإرهاب الإلكتروني:

ا-البريد الإلكتروني

ب- مواقع شبكة المعلومات (الإنترنت).

ج- تدمير المواقع المستهدفة.

د- إرسال كم كبير من الرسائل الإلكترونية في وقت قصير لتعطيل الموقع المستهدف أو شله.

آليات الإرهاب الإلكتروني الرقمية:

ا- فيروسات الكمبيوتر.

ب- الديدان.

ج - حصان طروادة.

د- القنابل المنطقية.

ه - الأبواب الخفية.

و- الاختناق المروري للرسائل الالكترونية.

مفهوم حرب المعلومات:

هي الإجراءات التي تتخذ بغرض المحافظة على تكامل أعمال المعلومات وشبكات القيادة والسيطرة والإنذار والتوجيه ومنع استغلالها أو تدميرها بوساطة الخصم ويمثل الهدف الاستراتيجي لحرب المعلومات في توفير البيئة المعلوماتية والأمنية المستمرة التي تهيئ للقوات الصديقة فاعلية أكبر على مسرح العمليات مع العمل على شل القيادتين السياسية و العسكرية للعدو.

هناك تعريفان أساسيان لكي يتبين مفهوم العمليات المعلوماتية وحرب المعلومات هما:

١- المعلومات: وهي حقائق أو بيانات أو تعليمات بأي شكل أو صيغة.

٢- نظام المعلومات: وهو البشر والتنظيمات والأدوات المستخدمة لجمع المعلومات ومعالجتها وحفظها ونقلها وتوزيعها واستخدامها.

صعوبة اكتشاف الهجوم:

قد ينفذ الخصم عملية معلوماتية دون أن يعلم الطرف الآخر فبعض عمليات الخداع الإلكتروني وفيروسات الحاسب الآلي تؤدي إلى إحداث تغييرات طفيفة على

طريقة عمل حاسبات أنظمة الأسلحة للتقليل من فاعلية الأسلحة دون أن يشعر المشغلون بشيء غير طبيعي ولا تكتشف هذه الحالات إلا بعد تفاقم المشكلة.

سيناريوهات حرب المعلومات:

-هجمات على الأهداف العسكرية بالتأثير في شبكات الاتصالات والدعم.

-هجمات على شبكات الطاقة الكهربية كما تم في حرب العراق الاخيرة بتعطيل نظام عمل محطات الطاقة الواقية.

أساليب تنفيذ حرب المعلومات:

أ- حرب القيادة والسيطرة.

ب- الحرب الالكترونية.

ج- الحرب النفسية.

د- حرب قراصنة المعلومات.

ه- حرب المعلومات الاقتصادية.

و- حرب الكواكب.

خصائص حرب المعلومات:

أ- تتميز باستخدام الحاسب الآلي ومجالها غير محدد ولا يمكن التحكم في مداها.

ب- تجاوز الهدف المحدود لاتساع مجال العمليات.

ج- صعوبة اكتشاف الهجوم.

د- صعوبة تحديد هوية الخصم وهدفه.

كيف يستخدم «داعش» الجانب المظلم لوسائل التواصل الاجتماعي؟

غيّر تنظيم «داعش» لعبة الإرهاب من الألف إلى الياء. فقد أدت قدرته على الحشد وجمع الموارد في فترة قصيرة من الزمن إلى تمكّنه من تنفيذ عمليات إرهابية أكثر خطورة من الجماعات السابقة الأخرى. وترجع جذور «داعش» إلى حرب العراق. فقد تبنى السجناء الأفكار المتطرفة أثناء وجودهم في السجون، ولذا كانوا على استعداد للمشاركة في خطة عمل مناسبة فور الإفراج عنهم.

ولا يُعد تنظيم «داعش» منظمة إرهابية عادية، فهي أفضل وأسرع وأقوى من الجماعات السابقة. ويتميز مقاتلوه بعدم الرحمة، ويؤمنون بالتفسيرات الخاطئة للإسلام التي لا تتناسب مع أسلوب الحياة وفقًا لمعظم المسلمين.

يمكن احتواء «داعش» في سوريا والعراق لكن التنظيم يحقق مكاسب على الأرض بطريقة مختلفة؛ فلديه عدد ضخم من المتابعين على شبكة الإنترنت، وهو ما بدأ يسبب الإرباك للعديد من منظمات مكافحة الإرهاب. قد يحب هؤلاء المتابعون رؤية سيارات «بيك آب تويوتا» التي يقودها مقاتلو داعش لكن «داعش» سيحافظ على نشر دعايته بينما يشق طريقه نحو الولايات المتحدة وكندا.

ينْشط الأفراد في «داعش»، مثلهم في ذلك مثل مديري شركة ناشئة، في تجنيد مجتمع دولي من المتعاطفين مع التنظيم على الانترنت ويحافظون على البقاء بالقرب منهم. لذلك، ما الذي يحدث؟ كيف ينجح «داعش» على الانترنت برغم ما لدينا من قوانين وتقنيات؟

يمتلك «داعش» خدعة واحدة خفية لا نزال نحاول التغلب عليها؛ وهي: «التواصل الاجتماعي المظلم». وتشير فكرة التواصل الاجتماعي المظلم في الأساس إلى نشاط ومحتوى على وسائل الإعلام الاجتماعي لا يمكن تعقبه.

تكمن السمة الرئيسية لهذا المنهج في الاستفادة من فكرة «الإرهاب بالتعهيد الجماعي» من خلال قنوات مظلمة تتيح لهم النشر دون أي عقبات.

لقد تحولت استراتيجية «داعش» على مر السنين من تجنيد الأفراد إلى سوريا إلى المشاركة في القتال على أرضهم لتحقيق شيء أكثر واقعية من أجل قضيتهم؛ وتم له ذلك من خلال العمليات الإرهابية التي ينفذها «الذئاب المنفردة»، حيث يؤثر «داعش» في الناس لارتكاب أعمال إرهابية على أرضهم بقليل من الموارد وعدم ترك أي أدلة لاقتفاء أثرها. يدفع «داعش» بالحرب نحو الجميع من خلال الإنترنت. ويرجع الفضل في ذلك إلى الجانب المظلم من وسائل الإعلام الاجتماعي.

لذلك دعونا نقوم بتفكيك ثلاث طرق يستخدمها «داعش». وسنشير أيضاً إلى عدد قليل من النصائح لمنعها من نشر رسالتها أيضا.

١- الرسائل المشفرة عبر تطبيق «تيليجرام»

استغرب كثيرون عند معرفة أن «داعش» يستخدم تطبيقات الرسائل الاجتماعية المتاحة على كل منصات الهواتف الذكية. ويُعرف عن «داعش» أنه يستخدم العديد من تطبيقات الرسائل المشفرة مثل «واتس آب» لكن التطبيق المفضل لديها هو «تيليجرام».

وهناك عدد كبير من المغرمين بشدة بتطبيق «تيليجرام» واستخدمه للتواصل مع أصدقائه المقربين، لكن للأسف يستخدم «داعش» هذا التطبيق لنشر قضيته. لا تمتلك شركة «تيليجرام» أي تأثير خارجي، ولا تحتاج إلى إيرادات من الإعلانات لإعالة نفسها. ويمتلك التطبيق واحدًا من أفضل بروتوكولات المصدر المفتوح الذي يدعم رسائل طرف إلى طرف التي يتم تشفيرها أيضاً. وهذا يعني إمكانية تشفير أي رسالة مدى الحياة بشكل كبير.

يدعم تطبيق «تيليجرام» أيضًا خاصية «قنوات» مشابهة لمنصة رسائل «سلاك Slack» التي تدعم ميزة «الهاشتاج»، فيستطيع المستخدمون ترويج رسائل شبيهة بالتغريدات على «تيليجرام» إلى المستخدمين الآخرين الذين يتبعون قناة «داعش». ولم تلتفت شركة «تيليجرام» إلا مؤخرًا وأغلقت القنوات التابعة لداعش بعد اكتشافها استغلال هذه الجماعة للتطبيق في عمليات الحشد والتجنيد .وسواء كان الأمر يتعلق

بدردشات جماعية ودردشات طرف إلى طرف وقنوات، فإن الخصائص البارعة المتنوعة لـ «تيليجرام» كمنصة آمنة ومشفرة تسمح لـ «داعش» بالتواصل مع مجموعة واسعة من الناس في أي وقت من اليوم دون أي قلق من تجسس السلطات عليها. تقوم شركة «تيليجرام» الآن بدور فاعل في منع استغلال التطبيق في أي أغراض خبيثة، مما يجعل من الصعب على «داعش» مواصلة حملاته.

وعلى الرغم من قيام شركات مثل «تيليجرام» بالبدء في التعاون مع السلطات لمحاصرة دعاية «داعش»، أجبرت هذه الخطوة التنظيم على إعادة التفكير في استراتيجيته. وللأسف، صمّم «داعش» في نهاية المطاف منصة الرسائل المشفرة الخاصة به التي يصعب تتبعها إلا إذا كنت تعرف كيفية الحصول على التطبيق والتسلل إلى شبكة الاتصال الخاصة به. ومن الصعب التسلل إلى النظام الذي صممه «داعش» على غرار عصابات المخدرات المكسيكية التي تستخدم بنيتها التحتية للإنترنت وهواتفها الخلوية الخاصة.

وباستخدام «داعش» لتطبيقه الخاص وبروتوكول رسائلها الخاص المُعَدّ منزليًا، فإنه يبقى تحت ستار الظلام في كل الأوقات. ونظريًا يُعد امتلاك «داعش» لبروتوكول تشفير طرف إلى طرف عبر تطبيق خاص بمثابة وسيلة تمكنه من عدم ترك أي بصمة نطاق ترددي في القنوات الرئيسية، مما يجعل من الصعب تحديد أي أثر له.

٢- فيسبوك وإنستجرام وتويتر

هناك مفارقة على هذه المنصات الاجتماعية، حيث يعتمد «داعش» أيضاً على حسابات عامة. فيستخدم «داعش» بالفعل «فيسبوك» و«إنستجرام» و«تويتر» مثل أي شخص آخر في العالم. ولن نفاجأ إذا كان للتنظيم حساب على منصة «لينكد إن» في هذه المرحلة. فكيف يستخدم «داعش» الحسابات العامة ومع ذلك تستفيد من الجانب المظلم لوسائل الإعلام الاجتماعي؟

يمتلك «داعش» الكثير والكثير من الحسابات. فعندما تقطع لها رأسًا، تظهر لها رؤوس أخرى عديدة. يقوم «داعش» بإنشاء حسابات عديدة، وبعدها يتم إبطال هذه الحسابات بشكل دائم. لا توجد وسيلة فعالة لمنع تكرار ذلك. يقوم أفراد التجنيد في «داعش» بمواصلة إنشاء حسابات جديدة بمجرد إقدام مقدمي الخدمات على إلغاء حساباتهم الحالية. ويستخدم «داعش» وسائل الإعلام الاجتماعي في التسويق للتواصل مع المسلمين المحتملين.

يُعتبر الشباب المسلم هم الأكثر عرضة لأيديولوجية «داعش»، وهم أيضًا موزعون على أكبر رقعة ديموغرافية على وسائل الإعلام الاجتماعي. ويستهدف التنظيم الشباب المهمشين والخائفين الذين يشعرون بأنهم منبوذين في بلدانهم الأصلية. فيقومون بغسل أدمغتهم من خلال مشاركة المحتوى التي يلبي احتياجاتهم العقلية.

ولا يسعى كثير من الناس بهمة إلى التواصل مع أعضاء «داعش» على الفيسبوك أو تويتر، وإنما تهرع لهم «داعش» عبر استراتيجية تسويق تقليدية على وسائل الإعلام الاجتماعي تُدعى المشاركة والتواصل. يقوم أعضاء «داعش» بالسيطرة على الهاشتاجات والدخول إلى مجموعات الإنترنت التي تتضمن أعلى نسبة من المجندين المحتملين. وبمجرد أن يظهر أعضاء «داعش» على السطح، هناك من يتفاعل بإيجابية أو سلبية ردًا على رسائلهم ومشاركاتهم.

قد يتخذ «داعش» من الشرق الأوسط مقرًا له، لكنه يتمتع بانتشار ونفوذ لا نهائيين تقريبًا على شبكة الإنترنت. فإذا كنت من الشباب المسلم الذي لديه تاريخ من المشاكل الاجتماعية، فسوف يعثرون عليك أو يوجهونك لتعثر عليهم. لا تتعلق المسألة بالاحتمالات بقدر ما تتعلق بكونها مسألة وقت. ومرة أخرى نؤكد إن كل هذه الأمور ممكنة من خلال الجانب المظلم لوسائل الإعلام الاجتماعي، ولا توجد أي وسيلة مجدية لتتبع عدد الحسابات النشطة التي تساعد «داعش» على تجنيد أفراد جدد.

المحتوى غير المتعقَّب:

لقد انتظرنا حتى قام تنظيم «داعش» باستخدام تطبيقات الرسائل المشفرة التي تُعد بطبيعتها الجانب المظلم من التواصل الاجتماعي. هذا أمر منطقي، لكن كيف يكون استخدام البيانات الشخصية العامة لوسائل الإعلام الاجتماعي جزءًا من الجانب المظلم للإعلام الاجتماعي.

الأمر بسيط، هناك ثلاث طرق:

صنع محتوى محلي.

وعدم استخدام اللغة الإنجليزية.

واستخدام لغة مشفرة.

كلما قمت بمشاركة محتوى على وسائل الإعلام الاجتماعي، يمكن بسهولة إعداد المحتوى بحيث يتم تعقبه عند مشاركته. وليس من الصعب إعداد المحتوى بهذه الطريقة التي تعد واحدة من أفضل الأدوات التي تتوافر لمندوبي التسويق عبر وسائل الإعلام الاجتماعي ليلاحظوا كيف ينتشر المحتوى الذي يقدمونه على إحدى الشبكات. لا يستخدم «داعش» محتوى متعقَّب أو مفهرَس في جميع الأوقات، فهم في الحقيقة مسوِّقين للمحتوى؛ فالتنظيم يُنشئ المحتوى الخاص به والذي يتم استضافته على فيسبوك أو حتى «سناب شات» بحيث يمكن للمستخدمين الآخرين مشاركته.

يقوم «داعش» بإنشاء لقطات فيديو وصور وحتى رموز تعبيرية خاصة به لنشر رسالته. ونظرًا لأن التنظيم يُنشئ كل شيء محليًا، فلا توجد أي بصمة رقمية على الإنترنت من المبدع الأصلي باستثناء الحساب الذي نُشر عليه المحتوى المراد مشاركته. وعندما يتم إيقاف هذا الحساب، يحل حساب آخر مكانه.

يتسم المحتوى الذي يقدمه «داعش» بميزة أخرى هي معرفته بلغة أخرى. فيقوم «داعش» بإنشاء محتواه محلي الصنع باللغتيْن العربية والإنجليزية.ويتسم المحتوى

الـذي يقدمـه «داعـش» بميـزة ثالثـة هـي اللغـة المشـفرة. فهـو يسـتخدم اللغـة المشـفرة في جميـع محتوياتـه ورسـائله. وتُسـتخدَم اللغـة المشـفرة في كل مـكان بجميـع قنواتـه.

علـى سـبيل المثـال، اسـتخدم «داعـش» عبـارة «مدرسـة الطهـي» وأطعمـة مثـل «زبـدة الفـول السـوداني والجيلـي» كبدائـل للمخيمـات والهجمـات الإرهابيـة، بالترتيـب.

لا يمكن الاشتباه في تلك الكلمات. كيف يمكننا إذن تعقب مثل تلك الإشارات!؟

التشـفير يزيـد الأمـور صعوبـة، فنحـن لا نعـرف ببسـاطة مـا نتبعـه! وعندمـا نصـل إلـى شـيء مـا، يكـون التنظيـم قـد غيّـر اللغـة المشـفرة. الجانـب الاجتماعـي المظلـم في هـذه الحالـة هـي عـدم قدرتنـا علـى تتبـع مـا يحـدث في المضمـون الـذي يعرضونـه. إنهـم يتكيفـون بدرجـة سـريعة جـدًا لدرجـة أنـه بمجـرد اكتشـافهم، يكونـون قـد ذهبـوا بالفعـل. إنهـم يتسـمون بسـرعة كبيـرة بحيـث لا نـرى سـوى ظلهـم.. هـذا هـو الجانـب المظلـم السـريع مـن الإعـلام الاجتماعـي.

استنتاج ونصيحة:

تتـرك «داعـش» وكالات الاسـتخبارات في حيـرة عظيمـة بـكل اتجـاه. فالتنظيـم يقـوم بإنشـاء بنيتـه الأساسـية السـحابية الخاصـة بـه، مسـتخدمًا مواقـع وسـائل الإعـلام الاجتماعـي العامـة بلغـة مشـفرة لا يمكـن تتبعهـا.

ناهيـك عـن قيامـه بإنشـاء المحتـوى الخـاص بـه الـذي ينتجـه محليًـا عبـر مجنديـن موهوبـين.

«داعـش» هـو قائـد المنظمـات الإرهابيـة ويعـوق تعقـب الإرهابيـين، فالتنظيـم يسـتخدم نقـاط الضعـف في الجانـب المظلـم لوسـائل الإعـلام الاجتماعـي، ويتحـرك بسـرعة شـديدة لدرجـة أن لا نـرى سـوى ظـلال وأشـباح أفـراده. لقـد تم طـرد «داعـش» مـن بعـض الأراضـي لكـن لكسـب المعركـة ضـد التنظيـم، فإننـا بحاجـة إلـى تعـاون الجميـع.

●●●

الفصل السادس
القصور في آليات مواجهة التطرف

ويشمل:

- آثار التطرف.
- دور المجتمع.
- الدور الحكومى.
- دور مواقع التواصل الإجتماعى.
- دور الأسرة.
- العشوائيات.

آثار التطرُّف:

يترك التطرُّف على اختلاف أنواعه وأشكاله، آثاراً جمّة على الفرد والمجتمع والأمّة بأسرها، بل ويمتد هذا الأثر إلى الأجيال اللاحقة للفترة الزمنية التي حدث فيها، مما يجعل من الصعوبة بمكان التحكُّم به أو السيطرة عليه، إلاّ بوضع خطةٍ محكمةٍ للإحاطة به وعدم تعدّي آثاره هذه للفترة الزمانية أو البيئة المكانية التي وُجِدَ فيها.

وسنقوم بتسليط الضوء على آثار التطرُّف على الفرد والمجتمع والأمة بأسرها، وتداعيات ذلك التأثير على المدين القريب والبعيد.

[١] آثار التطرُّف على الفرد:

لقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وجعله سويّ الخلقة سويّ الذهن والإدراك، وميّزه على مخلوقاته بالإرادة وبالعقل الذي ينبغي أن يقوده إلى الاستقامة في التفكير، ولا شك في أن التطرف الفكري يجعل الشخص خارجاً عن الاستقامة مخلاً بموازينها، فيحدث الانفصام بين ما هو عليه، وما ينبغي أن يكون عليه،

الأمر الذي يترك عليه آثاراً نفسية سيئة غائصة في اللاشعور النفسي، كما يصدّع العلاقة بينه وبين المجتمع، وتتغير نظرته إلى مجتمعه وإلى أهل الاستقامة وتنقلب عنده الموازين والقيم، وينظر إلى الواقع نظرة شاذة خاطئة لا تتصف بالموضوعية.

وبالتالي فالتطرُّف الفكري مرض يصاب به الفكر، وحالة سقيمة تجعل الإنسان في وضع غير طبيعي وغير سويّ، وكما أن الإنسان يعمل على المحافظة على صحته العقلية والجسمية، ويدرك أن اعتلال العقل أو الجسم حالة مرضية، كذلك يجب أن يُنظر إلى التطرُّف الفكري باعتباره انحرافاً عن الاستقامة في الفكر والاعتدال في الفهم، فهو حالة مرضية يعتلّ فيها الفكر، ويخرج بها الإنسان عن طبيعته.

ومن زاوية دينية، فإنَّ التطرُّف الفكري يؤدي إلى انحراف الإنسان عن المنهج الديني الصحيح، الأمر الذي ينعكس خللاً في العقيدة، وإثماً في السلوك يسقطه عن رضا الله عزّ وجلّ، ويجعله في معرض الحساب والعقاب الأخروي، وكفى بذلك خسراناً مبيناً.

كذلك نجد أنّ من آثار التطرُّف الفكري على سلوك الفرد كما قُرِّر ذلك بواسطة خبراء علم النفس والتربويين أنَّ السلوك البشري مظهر للثقافة وانعكاس للفكر، ومعنى ذلك أنَّ التطرُّف الفكري لن يقف عند حدود الفكر، وإنما سينعكس على السلوك. وإذا كان التطرُّف الفكري حالة مرضية غير سوية في الفكر، فإنَّ انعكاسه السلوكي سيكون بلا ريب مظهراً سلوكياً غير سويّ أيضاً. وهذا المظهر السلوكي المرَضِي مضافاً إلى تداعياته السلبية في المحيط والمجتمع، سيكون قابلاً للعدوى والانتشار الذي يوسع دائرة التداعيات، وينفتح على مضاعفاتها، وفي ذلك خطر كبير على المجتمع.

[٢] آثار التطرُّف على المجتمع:

إنّ العناصر المعيارية هي الأساس في تشكيل النظام الاجتماعي، وفي استمراريته بحالة مستقرة، والعناصر المعيارية كما تلعب دوراً إيجابياً بوجهها الإيجابي، كذلك تلعب دوراً سلبياً بوجهها السلبي فيما إذا كانت المعايير سلبية أو غير متوازنة.

والتطرف الفكري يخلّ بالنظام الاجتماعي وبالأمن المجتمعي؛ لأنه يستند إلى معايير سلبية بحكم انحرافه عن الاعتدال في الفهم والاستقامة في التفكير، وهو يحمل المعايير السلبية أيضاً، فيكون له أثر تخريبي حيث تلعب المعايير السلبية دورها في النظام الاجتماعي، ويشكّل خطراً على العناصر المعيارية الإيجابية التي هي الأساس في نظام اجتماعي مستقر، وفي أمن مجتمعي واقعي.

وحينما يشقّ التطرف الفكري طريقه في المجتمع، ويتحوّل من حالة فردية إلى حالة مجتمعية قد تأخذ شكل تيار في المجتمع أو فرقة أو تنظيم أو ما شابه ذلك، فإنه يلعب دوراً سلبياً في خلط الأوراق، والتشويش على الحقائق، والتضليل وضرب نسق القيم والمعايير، وهذا ما يسبب إشكالية قد تتحول إلى فتنة في المجتمع، ربما تكون فتنة دينية أو سياسية أو ثقافية، ويوجّه ضربة لما يسمى في علم الاجتماع بـ (الإثنوميثودولوجي) أي منهجية الجماعة.

[٣] آثار التطرُّف على الأمة:

إنّ المتتبع للتاريخ يجد أنّ المجتمعات المتنوعة لطالما عانت من انشقاقات ضربت وحدتها وتماسكها في الصميم نتيجة للتطرف الفكري. فتاريخ الأمة الإسلامية حافل بالمعاناة من انشقاقات أحدثها التطرف الفكري، تصدَّع منها شمل الأمة الإسلامية.

لقد أوجد الإسلام أمة رسالية صاغها على عين تعاليم الرسالة الإسلامية، واستمدت ثقافتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه المصطفى (عليه أفضل الصلاة والسلام)، فقامت هذه الأمة على أساس ثقافة الأمة الواحدة، ولم يلتحق رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله الدين، وأتمَّ النعمة، إذ ألّف قلوب المسلمين وجعلهم إخواناً، فنزل قوله تعالى في عرفة في حجة الوداع: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)، ورحل النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) عن أمته وقد تركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلاَّ هالك، وقد بيّن القرآن الكريم أساس وحدة الأمة فقال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا)، وحذّر من التفرُّق، ونهى عنه نهياً أكيداً مشدَّداً، قال تعالى: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، وقال تعالى أيضاً: (إِنّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ؟ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)، وقال تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى؟ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى؟ وَعِيسَى؟ ؟ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ؟ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ؟ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) . كل هذه الآيات البيّنات جاءت تأكيداً على ثقافة الأمة الواحدة المستمدة من الكتاب والسنة النبوية، والتي هي أساس وحدة الأمة، فدبَّ التطرُّف الفكري إلى عقل الأمة، ونسج عقائد وفلسفات ليس لها وجود في ثقافة الأمة الواحدة، ولم تقم بها الحجة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام)، فأحدث ذلك انشقاقات مريرة أخذت صيغة الفرق (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً)، فكم عانت الأمة ولا تزال تعاني

من هذه الانشقاقات التي تطرَّفت عن جماعة المسلمين، وكان التطرُّف الفكري عاملاً رئيساً في الفرقة والتصدُّع. ولولا التطرُّف الفكري الذي شق طريقه لبقيت الأمة على ما كانت عليه زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين لا سيما أبي بكر و عمر (رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما) حيث لم تظهر بعد معالم الفتنة، ولم تتفاعل عوامل نشوء التطرف الفكري.

إنّ التطرُّف الفكري بما ينجم عنه من آثار تخريبية على المنظومة الفكرية والمجتمعية، يترك أيضاً أثراً سلبياً على الكيانات السياسية، فقد يكون من عوامل إضعافها أو إسقاطها، كما يترك أثراً سلبياً على الكيانات الحضارية وعلى المسيرة الحضارية للأمم والشعوب، لأنَّه يعرقل هذه المسيرة أو يتسبب في حرفها أو قصورها.

وقد اتضح هذا جلياً فيما حدث فى ثمانينيات القرن الماضى حيث ذهب الشباب إلى أفغانستان للجهاد لنصرة مسلمي أفغانستان ضد الإحتلال السوفيتي الشيوعي بحجة أنه فريضة إسلامية، وجمع التبرعات من مصر ودول أخرى اسلامية لمساعدة المجاهدين فى أفغانستان.

وبعد أن انتصر المجاهدون هناك وطردوا المحتل السوفيتى بدأت الحرب بينهم وتشتتوا فى منظمات وجماعات مسلحة، كل منها تقاتل من أجل الوصول الى كرسى الحكم، وتفرغ بقيتهم لتفريخ أعداد من الشباب وتدريبهم وإعدادهم وإمدادهم بالمال والسلاح وإعادتهم إلى بلدانهم وبصفة خاصة مصر ليفسدوا فيها بالقتل والتدمير والتخريب بحجة إقامة شرع الله!

وبالإضافة إلى التنظيمات الموجودة فى مصر بدأ تكوين جماعات وتنظيمات أخرى بأسماء إسلامية وتاريخية، حتى أسماء الأفراد أصبحت كنىً بأسماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصفات تبين انتماء الفرد إلى بلد معين وقامت هذه المجموعات بالاستيلاء على المساجد والزوايا، وبل أُقاموا زوايا على جوانب الترع وشواطئ النيل فى غيبة من الدولة، وليبثوا من خلالها آراءهم المتطرفة على أنها

صحيح الدين، واستقطبوا الكثير من الشباب المفتقر إلى العلم والثقافة والانتماء إلى أرض الوطن، حتى أصبح الجلباب القصير واللحية الغير مشذبة، والخمار والنقاب والحجاب منظراً مألوفاً فى الشارع المصرى.

وفى ظل غياب الدولة عن متابعة التعليم فى مدارسها وانتشار التعليم الخاص واستقطاب الجماعات لكثير من المعلمين، وظهرت مدارس كثيرة تتبع هذه التيارات الدينية وتم الترويج لها بحجة أنها مدارس لغات أجنبية ولكنها ذات صبغة إسلامية تهتم بالتربية الدينية للنشئ، وانتشرت فى هذه المنشآت التعليمية مناهج تحث على التطرف وكراهية الآخر فى غيبة وغفلة المسئولين عن التعليم.

بل وصل الأمر إلى أن تحية العلم والسلام الوطني وثنية يجب تجنبها!

وامتلأت المساجد بمن يدّعون أنهم يقومون بمهمة التبليغ والدعوة إلى صحيح الدين وهم يعتمدون في معيشتهم على تبرعات أهل الخير والبسطاء.

وأصبح من يحاول أن ينتقد هذه الجماعات وأسلوبها فى الدعوة كافر، ووصل الأمر إلى استحلال سفك دمه، واستتبع ذلك أن أصبح غير المسلمين وخاصة المسيحيون فى مرمى نيران هذه الجماعات، وكأنهم ليسوا أبناء هذا الوطن! وأن التعامل معهم أو تهنئتهم فى مناسباتهم أو حتى إلقاء السلام والتحية عليهم من المحرمات!

وظهرت الخلافات بين أبناء الوطن الواحد وبين معتنقى نفس الدين بين مؤيد ومعارض لفكر هذه الجماعات إلى أن كشفت بنفسها عن وجهها الحقيقى فى أن هدفها هو إشاعة الفوضى والتمكين لشريعة الغاب لتحكم الوطن لتحقيق مقاصد بعيدة عن الدين الحنيف، وأن مبغاهم هو الإستيلاء على السلطة بأى طريق ولو كان مفروشا بدماء الضحايا وأشلاء الأبرياء والسيطرة على الحكم لإقامة دولة إسلامية شكلاً واسماً، وهى بعيدة كل البعد عن الدين الإسلامى فى جوهرها ومقاصدها .

وأصبح هؤلاء المتطرفون كالوحوش المفترسة تختبئ فى الظلام متربصة بالآمنين لتطلق عليهم رصاصات الغدر ثم تهرب متوارية فى الظلام ومتخفية فى الزحام.

ناسية أو متناسية أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، ولنا فيه الأسوة الحسنة، لم يأت طالباً ملكاً ولا سلطاناً وإنما بعثه الله عز وجل ليتمم مكارم الأخلاق وهو الذي نصحنا في حجة الوداع ((أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم الى يوم القيامة كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى عامكم هذا)).

وإذا كان المولى عز وجل يقول فى كتابه الكريم: «لا إكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى» ويقول أيضا سبحانه وتعالى: «لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة»

ويقول سبحانه: «ليس عليك هداهم، ولكن الله يهدى من يشاء» ويقول تبارك وتعالى: «ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون»

ولذا فإن هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يحسنون صنعاً ويظنون أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم يزهقون أرواح البشر ويسفكون دماء الأبرياء بغير الحق، ليسوا سوى جماعات الضلال والظلام بما يرتكبونه من جرائم ضد الآمنين ويسعون فى الأرض فسادا قائلين (إنما نحن مصلحون) وهم بكل تأكيد مفسدون وبعيدون عن مبادئ الدين الإسلامى الحنيف ومخالفون لتعاليمه وهو الذى لم يشرع العنف والقتل لنشر دعوته بل أمر بأن ندعو الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة لأنه دين الحكمة والسماحة والعفو والسلام والذى يتبرأ من كل دعاة الفتنة والتطرف والإرهاب.

إن محاربة الإرهاب تحمل العديد من المعاني وكافة أوجه الصور، وأصبحت مؤثرة في حياة الشعب ففي كل حين يحدث حادث إرهابي يستهدف أبناء الوطن من رجال أمن ومواطنين أبرياء فقد أصبحت العمليات الإرهابية خطر داهم يستهدف العديد من الدول.

ومن أجل التصدي لمثل هذه الأحداث تسعى الدولة في وضع استراتيجيات عاجلة لمواجهة كافة العمليات الإرهابية ومجابهتها وشددت على ضرورة تكثيف الدور الأمني بالتعاون بين رجال السلطة والمجتمع المدني لردع كافة العناصر التكفيرية من أي محاولات تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار الدولة، لهذا فإن دور مؤسسات المجتمع المدني والنقابات

المهنية والأندية ومراكز الشباب هو توعية الشباب والحوار معه ووضع لغة حوار جماعية تتضمن كيفية وضع أسس وقواعد راسخة لبناء دولة متينة وقوية لأن الإرهاب شر وبلاء من الواجب التعاون بالقضاء عليه واستئصاله لدعم السلم والسلام واستمرار الأنشطة المجتمعية والسياسية لجعل الدولة تسير في الخط الصحيح.

كما أن أهم العوامل التي تغير وتؤثر في السلوكيات، دور العبادة لأن الدين يلعب دوراً مهما في حياة المجتمع الإسلامي عامة والمصرى خاصة من خلال التأثير الشديد لرجال الدين على الشباب حيث يجب إصلاح الخطاب الديني بشكل جذري ليكون خطاب محبة يجمع ولا يفرق من خلال الإختيار الجيد لكل من يعتلي المنابر في المساجد و المواعظ الدينية.

كما أن المؤسسات التعليمية وهي شريك أساسي في القضاء على التطرف وذلك يحتاج إلى وضع مناهج تعليمية تنمي المواهب والفنون والفكر والإعتدال والثقافة، من خلال وضع مناهج جديدة لجميع المراحل التعليمية على يد خبراء حتى نربي جيلاً جديداً معتدل الفكر ومتزن يسمع ويقبل ويحاور، وهناك جانب آخر لا يقل أهمية وهو المعلم الذي يجب تأهيله ومروره بالعديد من الإختبارات النفسية على يد خبراء في جميع المجالات للتأكد من أنه قادر أن يربي جيلاً جيداً سوياً صالحاً للوطن، وأيضا يجب التأكد من خلال المتابعة المستمرة أن المعلم لا يقوم ببث أي فكر متطرف، فهناك دور مهم للمؤسسات الثقافية والفنية من سينما ومسرح، من خلال الأعمال الفنية والندوات التي تشكل جزء كبير من الوعي والثقافة عند الشباب والأندية الرياضية والإجتماعية وباقي المجتمع المدني لأنه القاطرة الأساسية في التنمية والتوعية.

لأن المجتمع المدني والمؤسسات التربوية ودوائر الدولة تساعد على ترسيخ مفهوم المواطنة في نفسية المواطن ليتمكن بدوره من اتخاد قراراته بنفسه داخل المؤسسات التي يعمل ضمن مجالاتها والتضحية بالغالي والنفيس دون التأثير بالأفكار التي يروجها العصابات الإرهابية والتكفيرية وفئاتها الضالة التي انحرفت عن مسار السلوك القويم للمجتمع قاطبة واستغلال الفرص من أجل الهيمنة للنيل من مقدراته.

دور المجتمع:

نتيجة للتطورات الخطيرة لظاهرة الإرهاب كما أوضحنا سابقاً، بل إن هذا التطور يحدث سريعاً ويؤثر تأثيراً سلبياً خطيراً على أقاليم كثيرة من العالم الذي أصبح مضطراً إلى مواجهة هذه الظاهرة التى تتنامى بشكل مخيف وأصبحت محل دراسة واهتمام على نطاق واسع لكشف أسبابها وتداعياتها وكيف تعمل التنظيمات الإرهابية ومن يمولها ومن يوفر لها السلاح والتدريب العالى على أحدث فنون القتال والتدمير والتخريب.

كيف تقوم هذه التنظيمات بتجنيد أتباعها، وكيف تؤثر فى عقول الشباب من مختلف الجنسيات والدول والثقافات فيؤمنون بأفكارها، ويتسابقون للإلتحاق بها، ثم يتحولون إلى وحوش غير أدمية تقتل بلا رحمة وتدمر بلا تمييز، ثم يقيمون الصلاة، بسم الله!

من يدعم هؤلاء دوليا؟ ومن يدعمهم إقليميا؟ ومن يدعمهم محليا؟

وما هى المراحل التى يمر بها هؤلاء الشباب إلى أن يصلوا إلى هذه الدرجة من الوحشية واللاإنسانية.

كيف يتحول شاب مثقف يعيش فى أسرة معتدلة، ويتمتع بخلق طيب، وملتزم دينيا، إلى متزمت دينيا، لا يقبل الآخر، ثم يتطرف دينيا وسلوكيا فيكفر أسرته ويهجرها، ويسيطر عليه فكر تكفيرى غريب عن مجتمع التسامح، ثم يتحول هذا الفكر التكفيرى إلى سلوك تكفيرى ويبدأ فى إيذاء الآخر والعدوان عليه وعلى ماله وعرضه؟

وقد رأينا كيف تتم المواجهة الأمنية لهذه الأعمال الإرهابية المسلحة، وضرب تجمعاتها وأوكارها، وقطع مواردها وكيف تؤتي نتائجها بما فيها من تضحيات المجتمع ورجال الأمن، ودمار المرافق الحيوية للدولة وممتلكات المواطنين.

ولابد أن تكون المواجهة الفكرية متزامنة مع المواجهة الأمنية ومتوازية معها.

وإذا كانت المواجهات الأمنية مع التنظيمات الإرهابية تحقق نجاحات ملموسة فى بعض المناطق والدول فإنها فى البعض الآخر لا زالت تحاول الصمود أمام الهجمات الإرهابية.

واللافت للنظر هو أن المواجهات الفكرية لم تحقق الهدف منها حتى الآن، فهى ترتكز على مفهوم مخاطبة الفرد المتطرف ومحاولة تصحيح المفاهيم الخاطئة التي أدت إلى تطرفه وإخراجه من دائرة الفكر المنحرف إلى دائرة الفكر الإنسانى المعتدل، ويرجع ذلك إلى أن المواجهة تعتمد على السياسات العامة للدول والتي تقاوم التطرف.

فمثلا فى فرنسا التى اعتمدت على مخاطبة المتطرفين كمجموعة فى مكان واحد وأنشأت مركزا متخصصا لمناهضة التطرف الفكرة، ثم فوجئت بسفر أكثر من ألف شاب فرنسي إلى سوريا للقتال فى صفوف داعش الإرهابية عام ٢٠١٤! ثم حدثت الأعمال الإرهابية الدامية فى باريس عام ٢٠١٥.

وبدراسة الأسبات التى أدت الى ذلك تبين أن أهمها هو أن جمعيات ومنظمات كثيرة ولدت فى هذا الوقت لمحاربة الفكر الإرهابى المتطرف، وكل هذه الكيانات ليست لها الخبرة ولا التجربة الكافية فى هذا المجال، وإنما استثمرت هذا العمل للإستفادة من الدعم المالى الكبير الذى تضخه الدول والمنظمات الدولية فى هذا المجال!

- **الدور الحكومى:**

لا شك أن حكومات جميع الدول أصبحت أولويتها الأولى هى مواجهة الإرهاب، وذلك لما له من تأثير على كل الوظائف المنوط بالحكومة القيام بها تجاه المواطنين، فمع تفشى ظاهرة الإرهاب ينحسر الدور الخدمى للدولة والدور الاقتصادي حيث تتأثر الموارد، نتيجة مناخ الإرهاب، ويهرب المستثمرون خوفاً على أموالهم حيث لا يكون للاستثمار أى عائد، بل يتعرض لخسائر فادحة.

كذلك تتأثر الخدمات التى تقوم بها أجهزة الدولة تجاه المواطنين، فإذا قام الإرهابيون بنسف أو تدمير أبراج الكهرباء أو محطات توليد الكهرباء أو خطوط إمداد

الغاز أو الماء، فسيؤدى ذلك إلى توقف جميع المرافق التى تعتمد على الكهرباء أو الماء أو الغاز، مثل المصانع والمستشفيات فيتوقف الإنتاج وتتأثر سلبياً حركة الأسواق مما يؤدى إلى خلل فى الدخل القومى، ينعكس أثره على المواطن البسيط، كذلك تتأثر المستشفيات بانقطاع التيار وقد يتسبب ذلك فى أضرار وربما وفيات بعض المرضى!

كما أن المواجهة الأمنية عالية التكلفة فتحتاج إلى أموال كثيرة من ميزانية الحكومات بالإضافة إلى الجهد العظيم الذى يبذله رجال الأمن، الذين تتركز جهودهم فى مكافحة الإرهاب، بينما يصيب الإهمال واجباتهم الأمنية اليومية تجاه المواطنين، وهكذا يضع الإرهاب كافة أجهزة الدولة فى حالة استنفار دائم لمواجهته ومعالجة آثاره.

وتتبنى الدولة الإستراتيجيات، وتضع السياسات التى تواجه الإرهاب، وفى نفس الوقت تستطيع القيام بدورها الخدمي للمواطن، ويقع على عاتق مؤسسات الدولة تنفيذ هذه السياسات التى يجب أن يتشارك كل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية ومنظمات المجتمع المدنى والجمعيات الأهلية فى تنفيذ السياسة العليا للدولة، وذلك حفاظا على الأمن القومى و وتماسك أعمدة المجتمع، حتى لا تنهار الدولة ومؤسساتها وتسود الفوضى وتنتشر المواجهات، فالكل يحارب الكل، والوطن هو الخاسر!

وبدأت الدولة فى سبيل مواجهة الإرهاب تتخذ طرقا متنوعة أولها المواجهة الأمنية لضبط الإرهابيين وقطع مواردهم ومصادر تمويلهم، والقضاء على خلاياهم والبحث عن الخلايا النائمة وتفكيكها وتصفيتها.

وكذلك قامت المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية والرياضية بدورها فى مكافحة الفكر المتطرف وفضح أساليبه الإجرامية المتسترة وراء عباءات كثيرة دينية وفكرية، وقد حققت بعض النجاحات على هذا المسار، وإن كانت هذه النجاحات ليست بالقدر المطلوب للقضاء على الإرهاب فكرا وسلوكا.

ولقد كانت نظرة هذه المؤسسات لعملية المواجهة نظرة عامة شمولية، بالرغم من أن هناك أحداث قد أهملتها هذه النظرة، وهذا الأسلوب فى المواجهة.

ولنأخذ مثالا لذلك ما حدث يوم فض الاعتصام الإرهابى المسلح الذي اتخذت جماعة الإخوان الإرهابية من ميدان مسجد رابعة العدوية مكانا له، حيث تجمع عدة آلاف من جماعة الإخوان من بعض محافظات الجمهورية رافضين ثورة الشعب فى ٣٠ يونيو على حكم الإخوان.

فقد فوجئنا داخل هذا التجمع بطابور طويل من أطفال لا تتعدى أعمارهم السنوات العشر! يحملون أكفانا على أيديهم، ويرددون شعارات وراء أحد الأشخاص ضد الدولة، وأنهم (مشروع شهداء)!

وقد تبين أنهم أطفال أيتام من نزلاء عدد من دور رعاية الأيتام التابعة لجماعة الإخوان!

ولن نتطرق إلى الناحية الإنسانية، التى جعلت مثل هؤلاء الإرهابيين يستخدمون أطفالا فى مثل هذا الموقف، ولا كيف سمحت لهم ضمائرهم أن يفعلوا ذلك، ولكننا نتساءل: ماذا فعلت أجهزة الدولة ومؤسساتها فى هذا الحدث؟ وهل تمت دراسته دراسة علمية منهجية؟

وهل كل هؤلاء الأطفال أيتام حقا؟ وماذا يعلموهم فى تلك الدور؟ وكيف يمحون من عقولهم أن لهم وطنا؟ وكيف يسلبون منهم حقهم فى الانتماء لهذا الوطن؟

نعرف أن غالبية نزلاء دور الأيتام ليسوا أيتاما، بل هم لقطاء، ولكن الواجب الإنسانى للمجتمع يحتم عليه أن يوفر لهم قدرا من الاحترام.

وفى نفس الوقت يجب دراسة هذه الظاهرة جيدا واحتواء هؤلاء الأطفال منذ الصغر، ليشعروا بالوطن الذي هم أبناؤه على أى حال.

ومن هنا يمكن أن نتبين أوجه القصور في آليات مواجهة الفكر الإرهابي والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

- خطب الجمعة والدعاة.
- الهيئات والمؤسسات الإسلامية.
- وسائل الإعلام.
- المؤسسات التعليمية.
- الأسرة.
- العشوائيات.

خطب الجمعة والدعاة:

وعزا عدد كبير من الأفراد قصور خطبة الجمعة في علاج ظاهرة الإرهاب إلى ضعف تأهيل عدد من الأئمة والخطباء لا سيما في القرى والنجوع، وعدم المامهم بأبعاد المشكلة، وما يترتب عليها من إضرار وإساءة لصورة الإسلام أمام العالم.

كذلك انشغال كثير من الخطباء والأئمة بالمقارنات الفقهية في بيان تحريم الارهاب، دون ربط ذلك بالواقع والأحداث، وهو ما يحد من استفادة أعداد كبيرة من الناشئة الذين قد يصعب عليهم استيعاب الأمور الفقهية.

ويتفق الجميع على أهمية تفعيل دور المسجد في علاج جميع ظواهر الانحراف الفكري وفي مقدمتها ظاهرة الإرهاب وإلا يقتصر الأمر على الجوامع فقط بل لابد أن يشمل جميع المساجد من خلال دروس مختصرة ومبسطة يلقيها الامام ما بين الآذان والإقامة أو بعد صلاة العشاء كذلك تنظيم لقاء أسبوعي يحاضر خلاله أحد العلماء أو الدعاة المعروفين ويجيب عن أية تساؤلات في هذا الشأن. مع بيان مسؤولية الفرد المسلم في مواجهة مثل هذه الأحداث.

الهيئات والمؤسسات الإسلامية:

ويناط بها أن تبذل جهدا كبيرا في مواجهة الأعمال الإرهابية ومتابعة مدى نجاحها في محاصرة دعاوى الإرهاب والتطرف حيث أن بيانات هيئة كبار العلماء التي تلت الأعمال الإرهابية كان لها أكبر الأثر في توضيح موقف الإسلام الرافض لهذه الجرائم الإسلامية من خلال عدة محاور هي:

- بيان الفرق بين الجهاد الشرعي الذي حث عليه الإسلام وضوابطه ومسؤولية الأذن به والإرهاب كعمل إجرامي ينافي مقاصد الشريعة.
- بيان خطورة فتنة التكفير والخروج على الجماعة وولاة الأمر.
- بيان حقوق المستأمنين والمعاهدين من غير المسلمين في ديار الإسلام.
- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والتأويلات الفاسدة لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة فيما يتعلق بعلاقة المسلم باتباع الديانات الاخرى.
- بيان الضوابط الشرعية لموقف الإسلام في الفتن ومسؤولية الفرد المسلم في دفعها.
- كشف خطأ بعض الفتاوى غير المسؤولة التي تجيز الأعمال الإرهابية أو تدفع إليها.
- بيان آثم التعاطف مع الإرهاب أو الفرح بالأعمال الإرهابية.

وسائل الإعلام:

وفيما يتعلق بدور وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وهى التى كان لها أكبر الأثر فى متابعة الأحداث الإرهابية وعرض رأي الإسلام الرافض لها من ناحية الكم والاستمرارية وتنوع الرؤى الدينية والتعليمية والتربوية.

فإن الإعلام يلعب دورا هاما ومؤثرا في توجهات الرأي العام واتجاهاته، وصياغة مواقفه وسلوكياته من خلال الأخبار والمعلومات التي تزوده بها وسائل الإعلام المختلفة.

إذ لا يستطيع الشخص تكوين موقف معين أو تبني فكرة معينة إلا من خلال المعلومات والبيانات التي يتم توفيرها له، ما يؤكد قدرة الإعلام بكافة صوره وأشكاله على إحداث تغييرات في المفاهيم والممارسات الفردية والمجتمعية عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين الرأي ونشر المعلومات والقضايا المختلفة.

ولابد هنا ألا نغفل الدور الكبير الذى تقوم به أجهزة الإعلام المرئى والمسموع والمقروء وهى التى أصبحت من الضرورات الحياتية اليومية، فالأطفال يتأثرون كثيراً بما يرونه ويسمعونه فى أجهزة الإعلام بل ويرددونه، ولذا فإنه على وسائل الإعلام أن تنتبه الى ذلك وتمارس دورها بمسئولية تجاه هؤلاء الأطفال من الناحية الإجتماعية، والإنسانية، والتربوية، وتتخذ سبيل النصح والإرشاد، والتوعية بأهمية الانتماء للوطن وحب الوطن، والاهتمام بالتعلم وبيان أهمية العلم فى خدمة المجتمع، وكذلك تزكية روح السلام والمحبة، واحترام وحب الآخر، واحترام حرية الجميع، وأن حدود حرية الفرد تنتهي عند حدود حرية الآخرين. حيث أن الطفل يطمح فى الحصول على المعلومات التى تستهدف معرفته لما حوله، وذلك مع مراعاة حاجات الطفل السنية وتناسبها مع خصائصه وقدراته.

وبالإضافة إلى وسائل الإعلام التقليدية المعروفة المرئية والمسموعة والمقروءة، سواء كانت وسائل رسمية تمتلكها الحكومات، أو وسائل يمتلكها القطاع الخاص، فقد ظهرت وسائل آخرى على شبكة الإنترنت، وهي ما يسمى بوسائل التواصل الإجتماعى، والتى أتاحت اتصال الأفراد عبر الكرة الأرضية دون قيود، وفاقت فى تأثيرها كل الوسائل الأخرى، ولأنها متاحة للجميع، فيمكن لكل شخص أن يرسل عبرها ما يريد، دون رقابة سياسية أو اجتماعية أو دينية أو أخلاقية، ولذا فقد أصبحت هى الوسيلة التى يفضل الشباب استخدامها، وتتفق مع طبيعته المتمردة، فيعيش في واقع افتراضى يهرب إليه من واقعه الحقيقي.

وقد ركزت وسائل الإعلام العربية والعالمية على ظاهرة الإرهاب والتي تحظى باهتمام الشعوب والحكومات في شتى أنحاء العالم لما لها من آثار خطيرة على أمنها

واستقرارها، بعد أن اتضح إننا أمام ظاهرة إجرامية خطيرة تهدف إلى خلق جو عام من الخوف والرعب والتهديد باستخدام العنف ضد الأفراد والممتلكات.

إن ازدياد معدلات الجريمة وانتشار ظاهرة الإرهاب، علامة على انتشار الأمراض النفسية مع انتشار عدة أشكال للتطرف الفكري ، منها ما هو تدمير للمكتسبات الحضارية للمجتمع وقتل الأنفس، ومنها ما هو تشدد فكري يحمل جانب الإقصاء والتصنيف لأفراد المجتمع، وقد أصبح التطرف الديني سمة غالبة لظاهرة الانحراف الديني المعاصرة التي تفشت في العديد من المجتمعات الإسلامية والعربية، فظهور أفكار جديدة (تضع الدين شعاراً لها والإسلام منها براء)، من هنا كان من المهم أن يقوم الإعلام برسالته لتوضيح الحق من الباطل، وإرشاد المواطن إلى اتجاهات هؤلاء القتلة للنيل من استقرار المجتمع وأمنه.

إن المنظمات الإرهابية عملت على تطويع وسائل الإعلام والاستفادة من ثورة الاتصالات في تنفيذ عملياتها وأجندتها ومخططاتها، واستغلت شبكات التواصل الاجتماعي لترويج أفكارها الظلامية وتجنيد الشباب في صفوفها.

وسائل الإعلام العربية ومنها القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي مطالبة بتطوير بنيتها لتواكب ما يستجد على الساحة العالمية والعربية، من خلال تطوير نظمها وبرامجها وسياساتها، لتسهم في إيجاد حلول للحد من ظاهرة الإرهاب والتطرف.

إن دراسة تأثير وسائل الإعلام المختلفة ومواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي للتصدي لأوجه الإرهاب والتطرف، له مبرراته في ظل ما يحصل على الساحة العربية والعالمية من أحداث ومجريات.

دور الإعلام في المواجهة:

وينبغى أن يستغل الإعلام دوره الكبير فى التأثير على المتلقى، فى تكوين شخصية الفرد من حيث:

١- رفع المستوى الثقافى للمواطن، وتأصيل قيم المواطنة، والمعاملة الطيبة بين أفراد المجتمع والحث على قيم الفضيلة والإخاء، وتعظيم قضية الانتماء للأرض والوطن، وواجب حمايته والدفاع عنه، وعن مقدساته وكافة عناصره، بصورة جماعية يسودها السلام.

٢- احترام حقوق الإنسان: وأول هذه الحقوق هو الحق فى المواطنة، وكفالة الحرية للجميع بما لا يضر الآخر، فعندما يشعر الإنسان بأنه لا يحصل على حقه فى وطنه، فإنه يبحث عن البديل الذى يوفر له حقوقا شعر بأنها قد سلبت منه.

٣- تنمية الوعى الصحيح بالدين: عن طريق توضيح الشرائع السماوية بما لا يخالف النصوص الشرعية، ونبذ التصرفات والسلوكيات السيئة، وتعزيز مكانة الأخلاق والفضيلة.

ورغم ذلك فهناك بعض الإعلاميين يركزون فقط على الجوانب السلبية، ويتجاهلون الجوانب الإيجابية، وربما يرجع هذا الأمر إلى رغبة الإعلاميين في تفعيل جانب الإثارة أو تعزيز الجانب التسويقي وجذب المزيد من الإعلانات إذا كانت الموضوعات غريبة ولافتة للنظر.

- إن الإعلام يخطئ عندما يضخم موضوعاته حول الجماعات المتطرفة، مثل داعش، التي ينقل أخبارها ومقاطع الفيديو التي يقتل فيها ضحاياه، ويتعمد أن يخلق هالة حول تصرفات داعش وعملياتها، كأنها قوة عظمى ومخيفة وقادرة على فعل المعجزات، وللأسف يساعده الإعلام على تحقيق ذلك، بتضخيم كل ما يصنعه أفراده.

ويجب أن تقوم الهيئات العليا التى تشرف على الإعلام بوضع الخطط الإستراتيجية من واقعنا الإعلامي والاجتماعى والأمنى وألا تلجأ إلى تقليد ومحاكاة الإعلام الأجنبى ولا تستخدم قوالب جاهزة من الخارج لاختلاف طبيعة المجتمعات، فمواجهة التطرف هي معركة ثقافية ويجب أن تكون موحدة مع كافة الأقطار العربية ولا تقتصر على دولة دون أخرى. وأن تشارك فيها كل مؤسسات الدولة.

وإذا كان من حق الرأي العام أن يعرف الحقيقة ويتابع ما يجري من أحداث على الساحة المحلية والأقليمية والدولية، فإن التعاطي مع هذه الأحداث ونشرها ومتابعة ما يجري منها، يجب أن يتم وفقا لضوابط مهنية ومعايير أخلاقية وإنسانية وموضوعية تراعي ظروف المجتمع ومزاج الرأي العام، ما يعني ضرورة التوازن بين حق الجمهور بالمعرفة، وبين مرجعيته الثقافية والأخلاقية والدينية على اعتبار أن المعايير الفاصلة بين إعلام وآخر هي في النهاية معايير مهنية وأخلاقية، تجسد آطراً مرجعية يمكن الاستناد إليها في التمييز بين السلوك الإيجابي والسلوك السلبي، وبالتالي التفريق ما بين ظواهر سلوكية مقبولة وآخرى مرفوضة.

ولابد أن نفهم أنه بمقدار أهمية وسائل الإعلام لمواجهة الإرهاب وتعريف المواطنين بالأخطار المحدقة بالوطن. فإنه يحمل نفس الدرجة من الأهمية بالنسبة للإرهابي الذي يقوم بالعمل التخريبي والتدميري، لأن الإعلام عندما يتناول هذا الفعل الإرهابى فإنه يساعد على انتشاره، واتساع مدى تأثيره المعنوي ليشمل العالم بأسره، وربما أدى إلى إعجاب بعض الشباب المراهقين بالعمل الإرهابى، ويحاولون تقليده، أو الإلتحاق بالمنظمات الإرهابية التى تدير الأعمال الإرهابية.

وكذلك ربما يسعد العمل الإرهابى أصحاب وسائل الإعلام من فضائيات وصحف ومجلات، فلا شك أنه يزيد من حجم مبيعات هذه الوسائل، وارتفاع نسب المشاهدة، وبالتالى تزداد حصيلة الإعلانات،

مما يجعلنا في أمس الحاجة إلى إعلام وطني يدرك كيف يسخر وسائله لخدمة الوطن ومكافحة الإرهاب.

فقد ذكر الكثير من الأشخاص المنخرطين في العمل الإرهابي الذين ألقي القبض عليهم في العراق، أنهم تأثروا بما كانت تعرضه قناة الجزيرة أو غيرها في هذا المجال، فقرروا الالتحاق بالمنظمات التي تحرض على القيام بالتفجيرات والعمليات الانتحارية. إن عرض المناظر والمشاهد المأساوية وتصوير الأضرار بشكل متكرر ومبالغ فيه، إضافة إلى بث وجهات نظر الإرهابيين التي يقصد منها إثارة الخوف، تشكل

خطورة وتنطوي على ردود فعل سلبية من شأنها خدمة العمل الإرهابي، خاصة في ظل تنافس وسائل الإعلام المختلفة على النقل الفوري للأحداث المتعلقة بالإرهاب من أجل تحقيق سبق صحفي، لاستقطاب أعداد متزايدة من جمهور القراء والمشاهدين، والذي قد يكون على حساب القيم الاخلاقية والانسانية التي ترفض المساعدة في نشر العنف والتطرف.

كما وأن عدم وجود خلفية علمية وثقافة أمنية لدى القائمين على الإعلام، والمسئولين عن التغطية الإعلامية يؤدي غالبا إلى بلبلة لدى المتلقى، وهى تخدم الإرهاب، وتضر بالمجتمع وتؤثر تأثيرا سلبيا وقد تؤدى إلى تعاطف البعض مع الإرهابيين، وقد تصبح هذه التغطية ذات ميول تحريضية ضد نظام الحكم ومؤسسات الدولة مثل الجيش والشرطة.

وفى كثير من الحوادث نرى التغطية الإعلامي تهون من الحدث، فلا تنقل الموقف الحقيقى، وكذلك قد نجدها تهول فى وصف الحدث، وفى الحالتين تكون النتيجة واحدة وهى عدم ثقة المتلقي في وسائل الإعلام.

ويمكن أن تقوم أجهزة الإعلام عن قصد أو غير قصد بإرسال تكليفات للإرهابيين عن طريق شفرة معينة، وكذلك توصيل معلومات للخلايا النائمة.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في الإرهاب الإلكتروني:

شبكات التواصل الاجتماعي هي شبكات تفاعلية تتيح لمستخدميها التواصل في أي وقت وفي أي مكان من العالم، ويتسم هذا العصر بثورة هائلة في وسائل الاتصال الحديث التي تستخدمها التنظيمات الإرهابية ويعد من أبرز مواقع التواصل التي تستخدمها عناصر تلك التنظيمات (فيسبوك - تويتر- انستجرام- الواتس آب) وتتسم شبكات التواصل الاجتماعي بأنها شبكات عالمية كونها متاحة للجميع وبالمجان، وتتميز بتكوين مجتمعات افتراضية جمعت بين النص المكتوب والمقطع المرئي وساعد ذلك في تحويل المستخدم لها من متلقي للمعلومات إلى منتج للمعلومات ومشارك فيها .

مميزات مواقع التواصل الاجتماعي:

- تقليل العبء المادي والاعتماد على آليه منخفضة التكاليف يتيح نشر المعلومات عن التنظيمات وكيفية التواصل مع أعضائها إلى جانب تدفق المعلومات وتسهيل مهمة وتكلفة تجنيد الأعضاء الجدد في التنظيم.
- تعزيز الهوية: تدعم تلك المواقع وجود هوية جماعية ووجود انتماء بين أفراد المجموعة الواحدة على ضوء ارتباط تلك الأفراد بقضية واحدة وهدف مشترك.
- مجتمعات افتراضية: من خلال تواجد أعضاء تلك التنظيمات على مواقع التواصل يتشارك أعضائها في المبادئ والأفكار والمرجعيات الفقهية التي يستند إليها التنظيم. وتتيح تأسيس علاقات واسعة وتمكن من علاقات مباشرة وقوية على الرغم من بعد المسافات الجغرافية.
- البعد عن سيادة الدولة: وسائل التواصل الاجتماعي متاحة للجميع وهناك صعوبة في السيطرة عليها من قبل الأجهزة الأمنية إضافة الى قدرة تلك التنظيمات على التحايل على المراقبة الأمنية وفتح حسابات ومواقع أخرى بسهولة.
- منصات إعلامية: توفر مواقع التواصل لهذه التنظيمات منصات إعلامية للدعاية لأنشطتها وأفكارها كما تساعد في حربها النفسية ضد الدول والتنظيمات الأخرى. إضافة إلى إمكانية نشر المقاطع المرئية التي تدعم أفكار ورؤية التنظيم.

أسباب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من قبل التنظيمات الإرهابية:

- سهولة التنسيق: يعتبر (تويتر) أحد أهم وسائل التواصل الاجتماعي التي تستخدم التفاعل والتنسيق أثناء أعداد وتنفيذ العمليات الإرهابية. وتكمن الميزة الأساسية في كونه يوفر مجتمعات افتراضية تتكون بشكل تلقائي خلال الأحداث وهو ما تستفيد منه تلك المنظمات الإرهابية.

- تجنيد العناصر ونشر الأفكار: يعتبر(فيسبوك) من أكثر مواقع التواصل استخداماً في تجنيد العناصر المتطرفة. وغالباً ما تقوم تلك التنظيمات بأنشاء (group) لاجتذاب المتعاطفين فكرياً معاً. حيث تركز المجموعة في طرح موضوعات إنسانية بالأساس كدعم القضية الفلسطينية أو الإسلام بصفة عامة، ومع زيادة أعضاء تلك المجموعة يتم وضع المواد والأفكار الجهادية تدريجياً. ثم بعد ذلك يتم توجيه أعضاء المجموعة إلى المواقع أو المنتديات المرتبطة بتلك التنظيمات.

- ساحة افتراضية للتدريب: يستخدم (يوتيوب) بصورة أساسية من جانب الجماعات الجهادية بهدف التدريب فالوظيفة الأساسية للموقع هي استضافة الفيديوهات التي يتم تحميلها على الموقع إذ يمكن تحميل فيديو لكيفية تصنيع قنبلة أو عبوة متفجرة ويمكن تحقيق نسب مشاهدة عالية قبل أن يتم حذفه من قبل إدارة الموقع.

- الدعم المعنوي: شهدت بعض مواقع التواصل الاجتماعي تدشين صفحات باسم (التبعية الافتراضية لدعم تنظيم داعش) ولاقت متابعة وقبولاً كبيراً خاصة من عناصر السلفية الجهادية وجاء ذلك على أثر إعلان الناطق باسم التنظيم عن تأسيس دولة الخلافة في المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم بسوريا والعراق أسهم ذلك الأمر بشكل إيجابي في انتشار التنظيم وتوسيع قاعدة مؤيديه عبر العالم الافتراضي.

- الشرعية: تسعى التنظيمات الجهادية من خلال مواقع التواصل الاجتماعي إضفاء الصبغة الشرعية لجماعتها المسلحة مثل بقية الأجنحة السياسية الأخرى في المجتمع، حيث تمكنهم تلك المواقع من التعبير عن وجهة نظرهم استنادا إلى مرجعيتهم الفقهية أو أسانيد فتواهم الجهادية.

الفئات المستهدفة من التنظيمات الجهادية:

- الفئة الأولى المتعاطفة مع الفكر الإرهابي: وغالبيتهم من الشباب المتصفح لشبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي.

- الفئة الثانية الرأي العام: من أجل تأكيد تفوق تلك التنظيمات إما بغرض التخويف من المواجهة مع الأنظمة الحاكمة أو بغرض الحشد والتأييد والقناعة بالأفكار والمنهج.

- الفئة الثالثة الخصوم من أجهزة الدولة ومؤسساتها: وذلك بهدف إضعاف موقفهم والتأثير على هيبتهم وإظهارهم بمظهر العاجز عن مواجهة نجاح العمليات الإرهابية عقب عرض تلك العمليات على شبكة الأنترنت ومواقع التواصل وإبراز نجاح مراحل التنفيذ.

أبرز معوقات رصد وتحليل مواقع التواصل الاجتماعي:

- غالبية السيرفرات التابعة لمواقع التواصل الاجتماعي تتواجد خارج سيطرة الدول العربية وتحت سيطرة الولايات المتحدة.
- صعوبة التعاون الأمني حيث أن الحصول على معلومات عن أي حساب مشبوه في مواقع التواصل يتطلب أمر قضائي يتسم بالتعقيد في إجراءات الإنابة القضائية والتعاون الدولي.
- مواقع التنظيمات المتطرفة على شبكة الانترنت مستضافة لدى شركات استضافة أمريكية ولا سيطرة عربية عليها.
- حجب مواقع الإنترنت يضطر غالبية المستخدمين لاستخدام عمليات تجاوز الرقابة مما يعقد من عملية حصر وتتبع المشتبه بهم. وتتوافر طرق بديلة وأدوات لتجاوز الحجب مما يفقد غايته.

أساليب مقترحة لتعزيز الرقابة على متصفحي مواقع الانترنت:

- إتاحة إضافة في المتصفحات للتبليغ عن أي نشاط غير مشروع من قبل زوار مواقع التواصل الاجتماعي.
- استخدام برامج التحليل والرقابة لدى مزودي خدمة الإنترنت بإشراف الأجهزة الأمنية لكشف الأنشطة غير المشروعة.
- استخدام الثغرات الأمنية غير المكتشفة في تتبع نشاط عناصر تلك التنظيمات على شبكة الإنترنت.

- تعزيز مبدأ ومنهجية أمن المعلومات من خلال أدلة التوعية في محاولة للحد من جرائم انتحال الهوية.
- توثيق هوية مستخدمي شبكة الإنترنت.

المؤسسات التعليمية:

ونود هنا أن نؤكد على أن المؤسسات التعليمية تتحمل مسؤولية جسيمة في تحصين ووقاية الشباب من أي انحراف فكري باتجاه الغلو والتطرف، من خلال الحوار مع الطلاب وفتح المجال أمامهم للتعبير عن آرائهم بكافة الوسائل وفي مختلف الانشطة التعليمية مثل الإذاعة ومعارض التربية الفنية وأنشطة الخطابة والإلقاء وغيرها.

وعلى ضرورة قيام الجامعات ومراكز البحوث بإجراء دراسات علمية ميدانية لجميع جوانب ظاهرة الإرهاب، بدءا من البيئات الاجتماعية التي أفرزت عناصر التنظيمات والخلايا الإرهابية وأحوال أسرهم (آباء وأمهات) من حيث المستوى التعليمي والثقافي والدخل المالي وتحليل آراء المتطرفين أنفسهم للوقوف على جوانب الخلل في فهمهم نصوص الكتاب والسنة، ومقاصد الشريعة، وتأثير سفر هؤلاء المتطرفين للخارج، وتأثرهم بأفكار لا تتفق مع ظروف وحال المجتمع، وكذلك أهمية تحليل نتائج هذه الدراسات من قبل العلماء والتربويين وعلماء النفس والاجتماع والباحثين من جميع جوانب الظاهرة، وبناء عليه طرح واقتراح الآليات الفاعلة للمواجهة، مع الحرص على عدم إغفال أهمية دور المرأة كأم وزوجة ومعلمة، ودورها في تحصين الأبناء ضد خطر الإرهاب، والتنشئة السليمة المستمدة من تعاليم ومبادئ الإسلام من خلال فريق من الباحثات المؤهلات في جميع التخصصات.

بالإضافة إلى ضرورة تفعيل دور المفكرين والمثقفين بدرجة أكبر لدعم دور رجال الدين في كشف الجهات المستفيدة من الإخلال بأمن البلاد وما يترتب على ذلك من أضرار سياسية، واقتصادية، واجتماعية لاكمال آليات المواجهة، إلى جانب ما يطرحه العلماء، وما يقوم به رجال الأمن،

بالإضافة إلى ذلك يأتي دور المدرسة والمؤسسات التعليمية بكافة أنواعها ومستوياتها من الحضانة إلى الجامعة، لما لها من تأثير على منهاج حياة الفرد وتوجهاته المجتمعية والإنسانية، وقد نرى ذلك واضحا فى كثير من علماء مصر الذين برعوا عالميا وحصلوا على أرفع الجوائز والتقديرات العالمية، ونرى كيف يتحدثون بكل الفخر عن وطنهم مصر الذى تلقوا تعليمهم فى مدارسه وجامعاته! لا زالوا يفتخرون بمصريتهم ويسعون لمد يد العون لها لتنهض وتقوى وتكون فى مصاف الدول الكبرى وهو المكان والمكانة التى تستحقها.

ولكن الحق والصدق يجعلنا لا نغفل أن هناك كثيرا من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى حدثت فى المجتمع قد انعكست على العملية التعليمية، وكان الإنعكاس السلبى واضحا فى المؤسسات التعليمية، ولم تعد المدرسة هى القناة الوحيدة التى يعتمد عليها فى تحصيل العلم والثقافة، حيث أن إرتباط المناهج التعليمية بالكتاب المدرسى أخذ في الانحسار لصالح مصادر المعرفة المتعددة، والتي نشأت نتيجة للثورة التقنية والمعلوماتية التي أدت إلى إعادة النظر مضامين المعرفة وطرق البحث عنها وفي مناهجها العقلية، وما نشاهده في عالمنا الآن من تحولات عديدة.

لذا كان لابد من السعي الحقيقي وراء إعداد الطالب فى كافة المراحل ومن خلال التعليم الحديث وإمداده بالمهارات المختلفة التي تعينه على فهم الحياة من حوله، حيث أن المدرسة الحديثة هى مدرسة المجتمع التي تسعى دائما إلى النهوض بالمجتمع في ظل حياة مجتمعية يشارك فيها الجميع، دون النظر إلى الديانة أو اللون أو العرق أو الغنى والفقر، مجتمع يسع الجميع بكل خلافاتهم واختلافاتهم، لذلك يجب أن تعمل المدرسة على توثيق الصلة بالمجتمع حولها والذي تعيش فيه، وأن تحث المجتمع على أن يقوم بدور وثيق الصلة بالمؤسسة التعليمية يساعدها، ويدعمها، ويشارك فى أنشطتها، لترسيخ مفهوم المواطنة الصالحة، لأنها تشكل ركنا أساسيا فى بناء شخصية الإنسان، فإذا حصل الفرد على حقوقه كاملة فإنه ملتزم بالقيام بواجباته نحو مجتمعه ووطنه و نحو نفسه أيضا.

وإذا كانت الأسرة والجماعة ووسائل الإعلام لها دور فى تنشئة الفرد السوى المنتمى للوطن، فإن المدرسة والمؤسسات التعليمية لها تأثير واضح فى إكساب الطلبة المفاهيم والقيم الوطنية، وكذلك معالجة ضعف وعى الشباب بالقضايا والمشكلات التى تهم المجتمع، وقلة اهتمامهم برموز الوطن، وعدم احترام علم البلاد والنشيد الوطنى، وإدراكهم لمعناها الكبير. وتفشت ظاهرة عدم تحية العلم أو ترديد النشيد الوطنى فى المدارس الخاصة التي تملكها وتديرها جماعة الإخوان الإرهابية.

كذلك كان واضحا على خريجى هذه المدارس ضحالة الفكر المستير، والقصور فى معلوماتهم عن الوطن ومؤسساته، بل وتاريخه أيضا، مما أدى إلى ضعف الانتماء والولاء للوطن والمجتمع الذى يعيشون فيه ومن ثم ضعفت مشاركتهم السياسية والمجتمعية على حد سواء.

لذلك لابد من وضع خطط مستقبلية و تترجم إلى برامج تنفيذية على أرض الواقع في مختلف المجالات لتعزيز هوية الطالب وانتمائه لوطنه ومجتمعه، وهذا لا يتأتى إلا بتحديث منظومة المناهج والممارسة التعليمية الجيدة، إلى جانب التثقيف السياسي لمعرفة ما يدور فى العالم حوله، ويؤثر فى الوطن بطريق مباشر أو غير مباشر، وكذلك التثقيف الإجتماعى لغرس روح المواطنة والإنتماء.

كذلك لابد من تضافر المؤسسات الإجتماعية والدينية والسياسية والتربوية مع المدرسة لشرح تاريخ الوطن ومراحل كفاح الشعب على مر الزمان، وتدريس الشخصيات العامة والرموز الوطنية التي كان لها بصمات في تاريخ الوطن، وتعميق الشعور بمفهوم الوحدة الوطنية والوحدة العربية والإسلامية، وإعطاء الفرصة الكاملة للطلاب لمناقشة قضاياهم ومشكلاتهم العامة والخاصة، كالبطالة والتطرف والتعددية الفكرية وتعريفهم بالأخطار التى تهدد الأمن القومى، وكيف نحصن أنفسنا ووطننا من مخططات الأعداء.

كل ذلك من الممكن أن يخلق إحساساً بالمسئولية وينشئ فرداً لديه مشاعر جياشة تجاه وطنه،

فضلاً عن ذلك فإنه يحول الطلاب من مجرد وسائط استقبال إلى أوعية للإبداع وتطوير الملكة النقدية لديهم عبر الفهم والوعى وأساليب الحوار الجاد، الذي يحقق لهم شعوراً بالإنسانية.

وهذا لن يتحقق إلا من خلال إعداد المعلم وإعداد الأخصائي الإجتماعى المدرب بالمعرفة والمهارة للقيام بدوره من خلال المنظومة التعليمية.

فالإيمان بقيمة الطالب وطاقاته وقدراته ومهاراته، وكذلك حقوقه الطبيعية، والإيمان بالعدالة الإجتماعية، والثقة فى ضرورة التغيير والتبديل، والإيمان بأن لكل مجتمع أيديولوجيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعقيدته الدينية، وأن الكل داخل المجتمع يتأثر بها لأنها تشكل نمط الحياة فى المجتمع، كل ذلك من شأنه أن يوفر مناخا جيدا صالحا لتنشئة مواطن صالح.

يجب أن يضاف أدوار أخرى للدور الرئيسى الذى يقوم به الأخصائيون الاجتماعيون بالمؤسسات التى تعنى بالنشء لأن ذلك ضمن متطلبات المواجهة المجتمعية لدحض أفكار التطرف فى مهدها، فيعمل الأخصائى فى المدارس بأنواعها ومراكز الشباب ودور تربية الأيتام ومؤسسات الأطفال بلا مأوى.

ولأن المدرسة تعتبر من المؤسسات الهامة التى تقوم بعملية التربية والتعليم ونقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل ومساعدة الطلاب فى تقبل العادات والتقاليد والمعايير والقيم السائدة بين مختلف الجماعات والهيئات والتنظيمات التعليمية.

وإذا كانت التربية عملية اجتماعية فإن أهم وظائفها الأساسية هى تمهيد السبيل أمام المجتمع ليجتاز ما يعترضه من مشكلات، وأن تنير الطريق له للتخلص من السلبيات. وبهذا الدور تكون التربية عاملا من عوامل المحافظة على تماسك المجتمع. وبالتالى فالتربية بمفهومها الواسع هى كل الأنشطة والممارسات المختلفة التى يوفرها المجتمع للأفراد عبر مؤسساته التعليمية. حيث أن المدرسة هي المؤسسة التربوية التي أنشأها المجتمع بغرض استكمال دور الأسرة فى تربية الأفراد.

وإذا كانت التربية وسيلة هامة لتكوين أنواع السلوك وتصحيح السلوك الخارج عن الإطار المجتمعي وتنميته على أساس من العلم والمعرفة، ولذا كان لابد من تعظيم دور المدرسة فى هذا المجال حيث أن أول خطوة لتحقيق هذه الوظيفة هى تنمية الوعى بين الأطفال والشباب حول الانتماء للوطن دون غيره، وتقديس أرضه، وسمائه، وكذلك تكوين اتجاهاتهم بطريقة سليمة بعيدا عن التعصب والتطرف أو الجمود.

وكان من الطبيعى بعد التطور الذى حدث للمجتمعات وأن تتطور معها السياسات التعليمية، بما يتناسب واحتياجات الطلاب، واضعين فى الإعتبار المتغيرات المجتمعية، والمواجهات ضد الإرهاب، والتى تستتبع تزويد الطلاب فى جميع مراحل التعليم وبالبرامج التي تستهدف تأسيسهم بالقيم والدوافع والمهارات التى تؤهلهم للقيام بأدوارهم فى الحياة، وهو دور الخدمة الاجتماعية فى المجال التعليمى.

ومن بين أهدافه:-

١- تمكين الطالب والمدرسة من زيادة الإنتاجية التعليمية والإسهام فى التنمية، ويقصد بها التحصيل الدراسى للمتعلم، وبالنسبة للمدرسة تنمية قدرتها على على أداء وظائفها الاجتماعية.

٢- تنشئة الطالب تنشئة اجتماعية سليمة وبناء الشخصية الإنسانية، ونعنى بها عملية التطبيع الإجتماعى، أى تشكيل شخصية الطفل فى مراحل نموه الأولى لكي يتوافق ويتكيف مع مجتمعه، ويشب على قيم وأخلاقيات ومعايير هذا المجتمع، كذلك إكسابه المعارف والاتجاهات والخبرات والمهارات التي تساعده لكى يتعامل مع المواقف الاجتماعية المختلفة بطريقة ناجحة ومقبولة من المجتمع.

- وينبغى أن تتم عملية التنشئة بشكل أساسى فى المدرسة وبإشراف الأخصائى الإجتماعى، عوضا عن القصور الذى انتاب الأسرة الآن بسبب تفشى الأمية والفقر وقوض دورها الى حد كبير، ناهيك عن انشغال الأبوين بالعمل، خاصة الأم، وطلب الرزق.

- ولأن الخدمة الإجتماعية تتعاون مع المدرسة فى سبيل تحقيق عملية التنشئة الإجتماعية، هى أيضا تتفق مع اتجاهات المجتمع وقيمه ومعاييره، وتسعى لتحقيق ذلك عن طريق التوجيه الفردى، وتكوين الجماعات والعمل معها، عن طريق الإرشاد النفسى الإجتماعى و ومقابلة حاجاته ومواجهة مشكلاته.

- فى ظل هذه المعطيات وتوفير المناخ التربوى الذى يساعد على نمو الشخصية الإجتماعية للطالب، لابد أيضا من تهيئته أيضا نحو مجتمعه وبيئته الاجتماعية بترسيخ قيم حب الوطن والمواطنة والمشاركة الفاعلة فى الحياة المجتمعية. وكذلك تبصيره بأعداء الوطن المتربصون به، وكيفية مواجهة الأفكار العدائية، علما بأن ذلك لن يتحقق بين عشية وضحاها ولكن لابد من إتاحة الفرصة الكاملة للطلاب للتعبير عن آرائهم ومناقشتهم ومعرفة ما ينعكس عليهم من أحداث يومية، لتصحيح المفاهيم المغلوطة حول ما يعتقده البعض منهم نتيجة الظروف التى تمر بها البلاد من أحداث وتغييرات كثيرة.

ولابد من إيجاد صيغة للتفاهم والترابط بين المنزل والمدرسة أى بين الآباء الذين يشاركون المدرسة فى تربية أبنائهم والتعرف على احتياجاتهم وحل مشكلاتهم مما يسهم تحقيق شعورهم نحو المجتمع، وسرعة اندماجهم فيه، وهو الدور الذى يجب أن تقوم به الخدمة الاجتماعية من خلال البرامج والأنشطة المختلفة للطلاب فى جميع مراحل التعليم.

- إن شغل أوقات فراغ الطلاب بالأنشطة وفقا لرغباتهم وميولهم واحتياجاتهم، والتى تشمل أيضا ترسيخ قيم حب الوطن، واحترام رموزه الأساسية كتحية العلم بكل توقير وافتخار، والنشيد الوطنى وتعظيم وإجلال زعمائه الحاليين والسابقين بكل انجازاتهم وإخفاقاتهم والإستفادة من دروس الماضى وتوطيد العلاقة بين المدرسة والبيئة المحيطة بها لتحقيق أكبر نفع للطلاب وحتى تصبح المدرسة محببة لنفوسهم وصالحة لنموهم العقلى والوجدانى والبدنى بالقيم والاتجاهات الصالحة.

ولابد من جعل المدرسة بيئة مثالية وذلك بالتدريب على الضوابط الاجتماعية المتعلقة بالقيم والاتجاهات المرغوب فيها ونبذ ما هو مشين منها، والتركيز على كل ما هو صالح لهم وللوطن.

- توطيد العلاقات بين المدرسة ومؤسسات المجتمع المختلفة واستغلال مجالس الآباء لجعل المدرسة مركز إشعاع تعليمى وثقافى ورياضى واجتماعى للبيئة المحيطة، واستثمار الرحلات والمعسكرات لتبادل المعرفة والخبرات، وزيارة مناطق الوطن المختلفة للإطلاع على حضارة القدماء، وانجازات الحاضر واشراقات المستقبل.
- يجب أن يتخطى دور الخدمة الاجتماعية فى المدارس الدور التقليدى، ليصبح موازيا للتغييرات التي تطرأ على المجتمع وأخطرها الإرهاب الذى يعانى منه المجتمع بأسره.

ويمكن أن نحدد بعض الملامح التى يمكن إدماجها بالبرامج والأنشطة المقدمة للطلاب:-

١- التواصل مع أولياء الأمور وإعلامهم بأحوال أبنائهم فى المدرسة وعدم الأكتفاء بالعمل داخل أسوار المدرسة، مما يخلق أجواء ثقافية وودية جديدة، فضلا عن الحاجات التربوية للطلاب.

٢- إقتراح أطر عامة لبعض البرامج والأنشطة الإجتماعية، يرسخ فيها قيمة الإنتماء والولاء للوطن، ورفع الوعى الثقافى لفهم بعض قضايا المجتمع الفهم الصحيح.

٣- المشاركة فى بناء معايير جديدة بالمدرسة تعمل على تنمية قدرات الطلاب واستثمار إمكانياتهم في تفعيل البرامج والأنشطة الإجتماعية.

٤- كذلك يجب على الأخصائيين الاجتماعيين فى المجال التعليمى أن يركزوا أيضاً على الذكاء الوجدانى لدى الطلاب لأنه بجانب القدرات العقلية الأخرى وهو أحد الركائز الأساسية فى تنوع الحلول للعديد من المشكلات، وتسهم فى ترسيخ القيم الإنسانية العليا، وأهمها حب الوطن.

وهـذا ممـا يسـاعدهم علـى الإبتـكار والحـب والمسـئولية والتواصـل والإهتمـام بالآخرين، والـذى مـن شـأنه أن ينعكس فـى التعبيـر عـن إنفعالاتهـم وبالتالـى يكون قـادرا علـى الاتصـال الوجدانـى مـع الآخريـن وتفهـم مـا يـدور مـن حولهـم، فيسـتطيعون فهـم الحقائـق بوعـى وإدراك.

ومـن خـلال تنميـة الـذكاء الوجدانـى والـذى يسـهم فـى قدرتهـم علـى الآداء الأكاديمـى وأن يصبحـوا أفضـل اجتماعيـا وتتحسـن اختياراتهـم فـى الحيـاة إلـى الأفضـل.

٥- إعطاؤهـم الفرصـة لمعرفـة ذواتهـم (الوعـى بالـذات) وبالتالـي الوعـي بالمشـاعر والإنفعـالات والعواطـف وكذلـك الأفكار ليتمكنـوا مـن اكتشـاف أوجـه النقص والضعف والقـوة، حتـى يمكـن أن يعالـج المشـاعر السـلبية (إن وجـدت) بنفسـه.

٦- يجـب أن نعلـم أبناءنـا الأمـل، فهـو مكـون أساسـى فـى الدافعيـة، والدوافـع الإيجابيـة والمشـاعر هـى التـى تحشـد طاقـات الإنسـان للإنجـاز والحمـاس والمثابـرة والثقـة وبذلـك يمكـن الوصـول إلـى أعلـى درجـات القـدرة والارتفـاع بالمسـتوى بصـرف النظـر عـن القـدرات العقليـة الأخـرى.

المناهج التعليمية:

ويبـدو أن واضعـى المناهـج التعليميـة لا يدركـون، أن شـباب اليـوم يختلـف عـن شـباب الأمس، حيث كانـت المدرسـة هـى المصـدر الوحيـد للعلـم والثقافـة، ويكفـى الطالـب أن يحصـل مـا ورد فـى الكتـب المدرسـة ليصبـح مثقفـا متعلمـا، ولكـن شـباب اليـوم يحصلـون علـى العلـم والمعلومـة مـن مصـادر كثيـرة، شـرعية وغيـر شـرعية واختلفـت عقليـة اليـوم عـن الأمـس، ممـا يسـتدعى توافـق المناهـج التعليميـة مـع عقليـة شـباب اليـوم وأن يقتنـع بمـا فيهـا.

ولـذا فيجـب علـى الحكومـات أن تراجـع المناهـج التعليميـة وتنقيهـا ممـا بهـا مـن شـوائب فكريـة عفـا عليهـا الزمـن، وأفـكار لـم تعـد تتفـق مـع الثـورة العلميـة ولا الطفـرات التـى تحـدث كل يـوم فـى وسـائل الاتصـال، وكذلـك ينبغـى تنقيـة هـذه المناهـج مـن الصـور التحريضيـة علـى أفـراد يختلفـون فـى اللـون أو العـرق أو العقيـدة.

بل يجب أن تكون موضوعات هذه المناهج تحض على حسن الخلق وحب الوطن وتزكية الانتماء، والحفاظ على سلامة الوطن والدفاع عنه، والتدريب على احترام الرأى الآخر، والنقد البناء، والتركيز على الأخوة فى الوطن، ودراسة تاريخ الوطن، والتذكير بكفاح الشعب المتماسك، وكيف أنه فى حالة تعرض البلاد لأى خطر يذوب الجميع فى بوتقة واحدة.

الأســـــــرة:

كما نؤكد على أهمية دور الأسرة في توعية الأبناء والبنات، ومراقبة سلوكهم للحد من وقوعهم فريسة لمن يحاولون استقطابهم وتضليلهم.

لأن التطرف ما هو إلا رد فعل شبابى لمشكلات المراهقين (مع فروق فى التشخيص بين الذكور والإناث) وهى المشكلات التى لابد أن تتصدى لها الأسرة، ويدرك الوالدان أن إهمال هذه المشكلات أو التقليل من أهميتها لدى الشباب قد تكون له عواقب لا يمكن معالجتها مستقبلا.

كما أن الإعتماد على الحوار العقلانى قد يكون روشتة للفشل، ولن يجدى مع الشباب فى مرحلة المراهقة وأن الحل يكمن فى مخاطبة القلب، الذي يكون هو محور الحياة والإهتمام فى هذه المرحلة من حياة الشباب. وهو مرآة اللحظات السعيدة منذ الطفولة، لأن من يتطرف هو فى الواقع يسعى إلى انتماء بديل، إلى عائلة أو جماعة بديلة، ولذلك يكون الحل فى تنشيط ذكريات اللحظات السعيدة فى فترة الطفولة.

لذلك نرى أن مواجهة الإرهاب تأتى أولا من تنشئة الأسرة والمدرسة لأبنائها ومنذ نعومة أظفارهم، ولا يمكن جنى ثمارها إلا بالعلم والمعرفة المثقلة بإذكاء الوعى والتثقيف ومعرفة كل المستجدات التى يعيش فيها الوطن بغية مواجهة الإرهاب والأفكار المنحرفة أول بأول.

٧- مراعاة احتياجات الأطفال النفسية والاجتماعية والتى يفتقدها معظم هؤلاء الأطفال نتيجة لتفكك الأسرة أو للتربية الغير صحيحة، بسبب انشغال الوالدين بالسعى للرزق،

أو بأشياء أخرى عن الطفل مثل وسائل التواصل الإجتماعى، وفى هذه الحالة يكون الطفل فريسة لجماعات أخرى غير جماعة الأسرة. فيسعى للانتماء إليها لإشباع احتياجاته وتلبية رغباته -التى غفلت عنها الأسرة- فيجد هذه الجماعات فى المساجد والزوايا الصغيرة وعلى المقاهى وعلى السوشيال ميديا!

أما الجزء الهام والذى يهمله المجتمع ولا يكترث به، رغم أنه أساس القنابل الموقوتة التى تسير بيننا ولا نعرفها، وهو ظاهرة (الأم الصغيرة) التى لا نعلم عنها شيئا، فهى غير مقيدة فى سجلات المتزوجات لأنها فعلا غير متزوجة، وغالبا ما تكون دون الثامنة عشر، فهى طفلة قاصر، تاهت عن أهلها، أو هربت من أسرتها، أو لقيطة ألقى بها أحدهم فى مقلب للقمامة، أو تحت أحد الجسور!

ربما عاشرها طفل آخر فى نفس عمرها وظروفها، وأنجبت طفلا خارج نطاق الأسرة ليصبح طفلا بلا مأوى، طفل شوارع كما نطلق عليهم!

ولكنه ولد في هذا المجتمع وله حقوق على المجتمع، والتى نوجزها فيما يلى:

١- حق الطفل فى بداية صحيحة للحياة، متمتعا بالسلام والأمان والكرامة الإنسانية.

٢- حق الطفل فى أسرة ونسب وميراث وملكية، وقد حرص الإسلام على نقاء النسب والحفاظ على بناء الأسرة فأبطل كل ما يمحو أو يغيب صلة الدم والرحم مثل التبنى واستبدله الكفالة.

٣- حق الطفل فى التعليم واكتساب المهارات.

كما أن العناية ليست موجهة فقط إلى الجانب الصحى ليولد بلا علل أو أمراض، بل ينسحب الإهتمام إلى الأم، فمن الواجب اتخاذ كل الوسائل التى تؤدى إلى أطفال غير معرضين لأمراض الوراثة وذلك بالإهتمام بالأم، ولكن كيف وأين نجد (الأم الصغيرة)؟

هناك تشريعات كثيرة لرعاية الأطفال ولكن كيف يتم تطبيقه وهل تطبق أصلا؟

إن الأطفال نتاج الأمهات الصغيرات غالبيتهم نزلاء دور الرعاية الاجتماعية، فهل تقوم هذه الدور بواجبها نحو هؤلاء الأطفال كما حددته الشريعة والقوانين؟

ظاهرة (الأمهات الصغيرات):

رغم كل مظاهر الاهتمام بقضايا ومشاكل الطفولة ومنها المجلس القومى للأمومة والطفولة والمجلس القومى للمرأة فإن هذه الفئة مازالت تعانى من ارتفاع نسبة من يعيشون فى ظروف صعبة ويتعرضون للحرمان كما يتعرضون إلى العديد من الأوضاع المستغلة داخل المجتمع حتى أصبحوا يمثلون مشكلة أطلق عليها مشكلة أطفال فى خطر وهى تعنى أن طائفة ليست بالقليلة من أبناء المجتمع المصرى فى طريقهم إلى عالم الجريمة والانحراف وما يترتب على ذلك من آثار فى شتى الجوانب الاجتماعية والأمنية والاقتصادية.

ومن هذه الفئة فئة الأطفال الذين يتعرضون للعنف والإساءة فى المعاملة والاستغلال الجنسى وهم فئة الأمهات الصغيرات (الأطفال) الغير متزوجات ويرى بعض الباحثين أن خطورة مشكلة انحراف الأطفال حينما تتعلق بانحراف الفتيات وارتكابهن للجريمة، وذلك لخطورة دور المرأة مع أسرتها وأبنائها لأنه قد يكون تأثير الأم على الأسرة والأبناء أكثر من تأثير الأب عليهم، فعندما تكون الأم منحرفة قد تصبح ذات تأثير سلبى بدرجة أكبر مما لو كان الأب هو المنحرف فقد يمكن للأم أن تحافظ على أسرتها وأبنائها من أى انحراف أو خطر.

وتواجه الأمهات الصغيرات فى المجتمع المصرى العديد من المشكلات التى قد يكون لها تأثير سلبى فى اكتسابهن لبعض المشكلات السلبية التى قد تظهر على المستوى الشخصى أو على مستوى المجتمع، فعلى المستوى الشخصى تتمثل تلك المشكلات فى الانطواء أو الاكتئاب والشعور بالدونية والملل، وعدم تقبل الأمهات الصغيرات لذواتهن وعدم القدرة على تكوين العلاقات الاجتماعية الناجحة وعدم

القـدرة علـى تحمـل المسـئولية الاجتماعيـة أمـا علـى مسـتوى المجتمـع يلاحـظ العزلـة الاجتماعيـة لهـؤلاء الأطفـال الإنـاث وهـن الأمهـات الصغيـرات.

وقـد أكـدت الكثيـر مـن الدراسـات تعـرض هـذه الفئـة مـن الأطفـال للكثيـر مـن المشـكلات مثـل دراسـة كارول فارفيـل Faravilli elorle والتـى بينـت أن هـؤلاء الفتيـات يظهـر عليهـن اضطرابـات نفسـية واضطرابـات مزاجيـة وميـول عدائيـة وقلـق وإحبـاط، وانحسـار العلاقـات الاجتماعيـة والعزلـة كمـا بينـت دراسـة رينـا سـاركار SarkaR Rina أن هـؤلاء الأطفـال يعانـين مـن اضطرابـات شـديدة ومشـاكل نفسـية وأنهـن يعانـين مـن عـدم النـوم والكبـت والشـعور بالذنـب وعـدم المشـاركة الاجتماعيـة والانطـواء

كمـا بينـت دراسـة عفـاف راشـد أن هـؤلاء الفتيـات يعانـين مـن عـدم الثقـة بالنفـس وعـدم تكويـن علاقـات اجتماعيـة مـع المجتمـع وعـدم الاندمـاج مـع غيرهـن والميـل إلـى العزلـة والشـعور بالإحبـاط والقلـق والانطـواء والاكتئـاب وأحيانـاً الانتحـار.

كذلـك دراسـة سـلوى عثمـان الصديقـى التـى أوضحـت نتائجهـا أن هـؤلاء الفتيـات يعانـين مـن العديـد مـن المشـكلات التـى تعيـق توافقهـن الاجتماعـى بمختلـف أبعـاده الشـخصية والأسـرية والمؤسسـية كمـا أنهـن يعانـين مـن وضـع أسـرة فيـه إهمـال وعـدم رعايـة عـلاوة علـى انعـدام بعـض القيـم الاجتماعيـة كمـا أثبتـت نتائـج دراسـة كمـال عزيـز أن هـؤلاء الفتيـات القاصـرات يعانـين مـن الشـعور بالنبـذ مـن المجتمـع الـذى يعشـن فيـه ويتسـم شـعورهن بعـدم الاتـزان الانفعالـى وعـدم الثقـة بالنفـس وعـدم القـدرة علـى العمـل والإنجـاز وعـدم القـدرة علـى تحمـل المسـئولية.

ومـن هنـا تبـرز قضيـة تنميـة المسـئولية الاجتماعيـة كأحـد أهـم القضايـا الجديـرة بالبحـث والاهتمـام، حيـث أنهـا تعـد تنميـة لجانـب مـن جوانـب الوجـود الاجتماعـى يحتـاج إليهـا الفـرد للحمايـة والوقايـة للعـلاج مـن بعـض مظاهـر اللامبـالاة وافتقـاد الهويـة وعـدم تحمـل المسـئولية والكثيـر مـن المظاهـر السـلبية، كمـا تبـرز حاجـة الأمهـات الصغيـرات الغيـر متزوجـات إلـى تحمـل المسـئولية حيـث أن الأم تمثـل الرعايـة والأمـن فـى حيـاة

الطفل فهى المسئولة عن تنمية الجزء الأكبر من المسئولية الاجتماعية، وفقدانها بشكل جزئى أو كلى قد يعرض الطفل لبعض أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة التى تفقده القدرة على تحمل المسئولية الاجتماعية.

وقد بينت دراسة سانتروك وولفورد waflord &Santroaek أن هناك فروق بين الأطفال إناث وذكور فى مقياس المسئولية الاجتماعية لصالح الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم كما اتضح أن الأطفال متغيبى الأم كانوا أكثر عدوانية وأقل قدرة على تحمل المسئولية الاجتماعية عن التلاميذ متغيبى الأب.

وتهتم مهنة الخدمة الاجتماعية بتنمية المسئولية الاجتماعية لأفراد المجتمع لما يحققه ذلك من إحداث تغييرات وفوائد إيجابية فى شخصية الفرد مما يسهم فى زيادة فعالية المشاركة فى جهود تنمية المجتمع حيث أن المسئولية الاجتماعية تعتبر قضية اجتماعية وتربوية وقيمية وأخلاقية.

وتعتبر المسئولية الاجتماعية عنصراً هاماً من العناصر المسئولة عن مواجهة المشكلات والسلبيات التى تعانى منها الفتيات الأمهات الغير متزوجات حيث يرى هندرسون Henderson المسئولية الاجتماعية على أنها سمة فردية واستعداداً لتحمل الالتزامات وهى نوع من الكفاءة الشخصية القائمة على استجابة الإنسان للأفعال والتى تحتاجها الأمهات الصغيرات.

وقد اهتمت الكثير من دراسات الخدمة الاجتماعية بتنمية المسئولية الاجتماعية بين فئات متعددة من العملاء باستخدام طرق المهنة المختلفة، حيث توصلت دراسة جمال شحاتة أن التدخل المهنى لطريقة تنظيم المجتمع أدى إلى تنمية المسئولية الاجتماعية بين المواطنين، بما يتضمن ذلك تنمية العلاقات الاجتماعية بينهم مع زيادة المشاركة ودعم روح الولاء والانتماء، وتنمية الاتجاه نحو المحافظة على الملكية العامة فى المجتمع ودراسة جونسون Johamson والتى ركزت على العلاقة بين إكساب المهارات الاجتماعية وتنمية المسئولية الاجتماعية والتى توصلت إلى أن هناك خمس

مهارات اجتماعية تؤدى إلى تحمل المسئولية الاجتماعية هى الحاجة إلى القواعد والسلطة والحاجة إلى الحقوق الفردية واحترام الحقوق الشخصية للآخرين واحترام الملكية والتعاون وإشباع الإرشادات.

ودراسة أوليفر Oiliver والتى بينت نتائجها وجود علاقة بين تدريب الطلاب وتحمل المسئولية وقد أدى التدريب إلى ارتفاع معدلات الاهتمام بالمشاركة والنشاط العقلى نتيجة إحساس الفرد بذاته وارتباطه بالآخرين ودراسة زينب الباهى التى أثبتت نتائجها فعالية برنامج من منظور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية لتنمية المسئولية الاجتماعية لطالبات المدن الجماعية ودراسة سامية عبد الرحمن أتى أثبتت نتائجها فعالية نظرية الأزمة فى تنمية المسئولية الاجتماعية لدى المطلقات ودراسة ماهر سكران والتى أثبتت نتائجها فعالية العلاج المعرفى فى خدمة الفرد فى تنمية المسئولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة وتعتبر خدمة الجماعة أحد طرق الخدمة الاجتماعية التى تستخدم لتحقيق التغيير سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع، وتعتبر الجماعة بمثابة الاختيار الحقيقى لممارسة الحياة الجماعية والأداة الأساسية للطريقة من خلال الخبرة التى توفرها لأعضائها ومساعدتها على التوافق مع الآخرين وتأدية ما ينتظر أداؤه اجتماعياً عن طريق الخبرات الاجتماعية الإنسانية.

وتهدف خدمة الجماعة إلى إكساب أعضاء الجماعة القيم الاجتماعية المرغوبة ولعل من أهم هذه القيم الاحتمال والمشاركة والمثابرة على تحقيق الأهداف مهما قابلت الجماعة أعضاؤها من مشكلات ومعوقات تعيق تحقيق الأهداف حيث يرى كيرت ليفن Levin Kert أنه إذا أردنا أن نحقق تغييراً عميقاً ومستديماً يجب أن نتعامل مع الفرد كعضو فى جماعة فالفرد كعضو فى جماعة يسهل التأثير عليه ويكون أكثر مرونة وأن الاتصال بالأفراد عن طريق الجماعات له تأثيراً أعمق وأكبر فى الجماعات أكثر من الاتصال بهم فردان أو عن طريق الدعاية ووسائل الإعلام حيث تعتبر الجماعة من أهم الأدوات التى يستخدمها الأخصائى لمساعدة الأفراد على النمو والتغيير الإيجابى ومواجهة المشكلات وإشباع الحاجات حيث يمكن

للجماعة إحداث التغيير المطلوب فى الأفراد باستخدام أساليب ووسائل وطرق العمل مع الجماعات وقد أثبتت الكثير من الدراسات والبحوث فعالية طريقة العمل مع الجماعات فى مواجهة الكثير من مشكلات العملاء عن طريق استخدام الجماعة كوسيلة لأحداث التغيير مثل دراسة كمال عزيز التى أثبتت فعالية طريقة العمل مع الجماعات فى زيادة تقدير الذات للفتيات القاصرات المنحرفات جنسياً.

ودراسة عزة عبد الجليل التى اقترحت دور لطريقة خدمة الجماعة فى التعامل مع الأطفال المساء إليهم ودراسة منال محمد محروس والتى أثبتت نتائجها فعالية ممارسة البرنامج فى طريقة العمل مع الجماعات وتعديل السلوك اللاتوافقى للأطفال المساء إليهم ودراسة محمد سيد فهمى التى أثبتت نتائجها أن التدخل المهنى لطريقة العمل مع الجماعات أدى إلى تحقيق التوافق الاجتماعى لدى أطفال الشوارع فى المجتمع لذا كان من الأهمية بمكان أن تستخدم طريقة العمل مع الجماعات كل أسسها المهنية من أساس معرفى وأساس مهارى وأساس قيمى لتنمية المسئولية الاجتماعية لدى الأمهات الصغيرات غير المتزوجات وأن تطور من أساليب التعليم وأساليب الممارسة المهنية فى هذا المجال لذلك تحاول الباحثة فى هذه الدراسة تقديم رؤية مستقبلية لتعليم وممارسة طريقة العمل مع الجماعات مع جماعات الأمهات الصغيرات غير المتزوجات لتنمية المسئولية الاجتماعية لديهن ولكى يمكن وضع الرؤية المستقبلية فلابد أولاً من فهم السياق الزمنى والواقع العملى الذى توضع فيه تلك الرؤية ولابد من أن تأتى من خلال تحليل عميق لمعارف وخبرات وممارسات مهنية متعددة فى هذا المجال.

تعتبر ظاهرة الأمهات الصغيرات من المشكلات الحديثة فى المجتمع المصرى ويصاحب هذه المشكلة مشكلات أخطر منها نظراً لطبيعة الحياة التى تعيشها الفتاة، وكذلك نتيجة للمخاطر التى تتعرض لها ومنها الاعتداء والتحرش الجنسى، كذلك ممارسة الأعمال المنافية للآداب للحصول على مصدراً للرزق، واستغلالهن للقيام بأعمال السرقة والإعتداء والتخريب .كذلك حملهن سفاحاً نتيجة للعلاقات غير

الشـرعية أو للـزواج العرفـى بالرغـم مـن أنهـا مازالـت طفلـة وتحتـاج للحمايـة والرعايـة وفـى نفـس الوقـت هـى أم مسـئولة عـن تأمـين الحمايـة والرعايـة للطفـل الـذى أنجبتـه فـى حـين أنهـا هـى ذاتهـا تعجـز عـن ذلـك بمفردهـا كنتيجـة لطبيعـة شـخصيتها مـن ناحيـة وظروفهـا البيئيـة مـن ناحيـة أخـرى ممـا يتطلـب الأمـر مسـاعدة مهنيـة لمسـاعدتها ومـن المشـكلات الاجتماعيـة أيضـاً التـى تعانـى منهـا الأمهـات الصغيـرات مشـكلة عـدم أو ضعـف المشـاركة الاجتماعيـة حيـث أن المشـاركة هـى مضمـون المسـئولية الاجتماعيـة أى أن الفـرد لابـد وأن يقـوم بـدوره سـواء بإنـكار أو مقترحـات أو القيـام بالعمـل الـذى يسـتطيع القيـام بـه، حيـث أن الشـخص المسـئول هـو ذلـك الشـخص الـذى يـؤدى عملـه بانتظـام ويـؤدى مـا عليـه مـن التزامـات بغيـر حاجـة إلـى رقابـة أو توجيـه مـن جانـب شـخص آخـر.

أما أهم الصفات الشخصية للأم الصغيرة المساء إليها فهي:-

١- ضعف المبادئ والتحلي بالقيم، وضعف الانتماء ووجود أزمة هوية.

٢- الشعور بالظلم والرغبة فى الخروج على النواميس والعمل ضد المجتمع.

٣- حب التملك والحصول على دخل وامتلاك ثروة.

٤- العناد وحب الشغب.

٥- الميول العدوانية.

٦- الغيرة والتشتت العاطفى.

٧- عدم التركيز.

٨- الرغبة في المساواة مع الآخرين.

٩- حب اللعب ولعب الأدوار.

١٠- ممارسة الحرية بكل صورها (الوقت- البعد عن الضبط- الجنس بلا حرج).

١١- الخوف وعدم القدرة أحياناً على التكيف.

المشكلات النفسية:

حيث تشعر الأمهات الصغيرات بالحرمان العاطفى والدونية مما يولد لديهن نوعاً من السلوك العدوانى العنيف تجاه أنفسهن ومجتمعهن الذى لم يقدم لهن إلا الإبعاد القهرى عن مؤسساته الطبيعية وهو ما يخلق لديهن نوع من الاغتراب يدفعهن إلى السلوك الإجرامى والعدوانى تجاه المجتمع اللائى لا يشعرن بأى تفاعل معه أو أهمية المحافظة عليه، فالمصلحة بينهن وبين المجتمع والآخرين ليست فقط معدومة بل عدوانية.

ومن المشكلات النفسية أيضاً التى تتعرض لها الأمهات الصغيرات مشكلة الانطواء حيث تميل الأم إلى العزوف عن الحياة الاجتماعية والابتعاد عن الآخرين وضعف صلاتها بهم وقلة اهتمامها بمشكلاتهم وعدم الاكتراث بمشاركتهم فى الأنشطة ولعل من بين أسباب العدوان والانطواء هو القلق والخوف من مواجهة الآخرين وفقدان الثقة بالنفس وقسوة القائمين على رعاية الأم الصغيرة والسخرية وإحساسها بأنها غير مقبولة له من الآخرين.

وكلما زاد التفاعل والمشاركة بين الأفراد زادت العلاقات الاجتماعية الموجبة من الحب والصداقة والتقبل فالمشاركة تحرك الفرد إلى تكوين علاقات اجتماعية وكلما زادت العلاقات الاجتماعية زادت المشاركة وكلما زادت المشاركة أدى ذلك إلى تنمية الولاء والانتماء للجماعة والتى بدورها تؤدى إلى الحفاظ على الملكية العامة وهكذا.

تنمية المسئولية الاجتماعية لجماعات الأمهات الصغيرات:

المسئولية الاجتماعية هى نتاج الظروف والعوامل والمؤثرات التربوية والاجتماعية التى لا تكاد تحصر والتى يتعرض لها الفرد فى مراحل نموه المختلفة ومن هذه الظروف والعوامل والمؤثرات ما يساعد توفره على النمو السليم للمسئولية الاجتماعية، ويؤدى غيابها والنقص فيها إلى إعاقة هذا النمو وتعطيله ولذلك فالمجتمعات تعتمد فى إكساب أفرادها المعايير والقيم الاجتماعية والخلقية على عملية معقدة وطويلة

من عمليات التعليم وهى التنشئة الاجتماعية والتى تستهدف تأهيل الفرد اجتماعياً عن طريق غرس البعد الاجتماعى وذلك من خلال تزويده بمجموعة من القيم التى تقود سلوكه وتوجه حركته فى المجال الاجتماعى.

وحيث أن تنمية المسئولية الاجتماعية هى تنمية للجانب الخلقى الاجتماعى فى الإنسان لا تنفصل عنه بل تتكامل معه، كما أن تنمية هذا الجانب الخلقى ليس منفصلاً عن تنمية الشخصية كلها بل تتكامل معه أى أن وتربيته من كافة الجوانب الانفعالية والمعرفية والاجتماعية وتلعب وسائط التربية والتنشئة الاجتماعية الدور الأهم فى تنمية المسئولية الاجتماعية كالأسرة والمدرسة والجامعة ودور العبادة وأجهزة الإعلام وبعض المؤسسات الاجتماعية الأخرى.

ويمكن تنمية المسئولية الاجتماعية لأعضاء جماعة الأمهات الصغيرات عن طريق:

١- مساعدة أعضاء الجماعة على النضج وتنمية شخصياتهن ومقابلة حاجاتهن وتزويدهن بالخبرات الجماعية التى يحتجن إليها وزيادة الوعى الاجتماعى بينهن بما يشعرهن المسئولية الاجتماعية وتركيزهن على المصلحة العامة أكثر من المصلحة الشخصية.

٢- إتاحة الفرصة لهن لاكتساب المهارات الاجتماعية التى تزيد من قدراتهن الإنتاجية وتنمى قدراتهن الابتكارية عن طريق المشاركة الجماعية.

٣- الممارسة الفعلية للأساليب الديمقراطية وترقية الأسلوب الديمقراطى لأعضاء الجماعة من خلال المشاركة فى الحياة الجماعية وحكم الجماعة لنفسها بنفسها واتخاذ القرارات بطريقة ديمقراطية واحترام الرأى الآخر وتنفيذ ما تتفق عليه الجماعة.

٤- مساعدة أعضاء الجماعة على تقبل واحترام الفروق الفردية ومعرفة كل عضوه لقدراتها وإمكانياتها وما ينقصها من معارف ومهارات ومحاولة تنميتها أو اكتسابها.

٥- غرس القيم الاجتماعية بينهن كالصدق والأمانة والعدل والاعتراف بالخطأ وقيمة الوقت والعمل الشريف من خلال الممارسة العملية للبرامج والأنشطة المتنوعة وممارسة الحياة الجماعية.

٦- تنمية القدرة على القيادة والتبعية وأن تتخذ كل عضوه مركزها الاجتماعية من خلال الأنشطة وتقوم بدورها على أحسن وجه ممكن سواء كانت قائدة فى موقف وتابعة فى موقف آخر.

٧- مساعدة عضوات الجماعة على التمسك بحقوقهن والمطالبة بها دون تردد أو خوف وأداء واجباتهن والقيام بمسئولياتهن عن رغبة ذاتية.

٨- تدعيم قيم الانتماء والولاء للجماعة التى تنتمى إليها العضوات وكذلك المؤسسة التى يمارسن فيها الأنشطة وتقدم لهن أوجه الرعاية المختلفة.

٩- تدعيم قيم الانتماء والولاء للجماعة التى تنتمى إليها العضوات وكذلك المؤسسة التى يمارسن فيها الأنشطة وتقدم لهن أوجه الرعاية المختلفة.

١٠-مساعدة العضوات على تبنى اتجاهات المحافظة على الملكية العامة داخل المؤسسة والمجتمع من خلال المشاركة الفعلية فى مشروعات وبرامج خدمة المؤسسة والبيئة.

١١-تعميق الإيمان بالقيم والمعتقدات الروحية والدينية والتى تزيد من إحساسهن بالمسئولية الاجتماعية تجاه المؤسسة والمجتمع بالإضافة إلى ترسيخ قيم العدالة الاجتماعية والمساواة.

الرعاية البديلة:

الرعاية البديلة هى التى تقوم بها دور رعاية الأيتام، والتى يجب أن تلتزم بتطبيق التشريعات الخاصة برعاية الأطفال من كل الجوانب والعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحية والتعليمية والاجتماعية الصحيحة، وإعدادهم ليكونوا رجال المستقبل فى الوطن، وتهيئتهم للاندماج فى المجتمع أفرادا صالحين.

ولذلك تقوم هذه الدور بتوفير أسرة بديلة للطفل، أم ترعاه وتلبى احتياجاته، وتعلمه سلوكيات الحياة المجتمعية، هذه الأسرة البديلة توفر الرعاية الإجتماعية والصحية والنفسية والمهنية للطفل بهدف تربيتهم التربية السليمة وتعويضهم عما فقدوه من عطف وحنان.

ولكن ما شاهدناه فى اعتصام الجماعة الإرهابية فى ميدان مسجد رابعة لا يعكس هذا مطلقا، أطفال يحملون أكفانا، لا يعرفون الوطن، ولا يحترمون العلم ولا الانتماء!

من علمهم هذا؟ من هؤلاء الأطفال الذين لا تتعدى أعمارهم السادسة عشر الذين أحرقوا أقسام الشرطة وسياراتها ومرافق الوطن كافة؟

من هؤلاء الأطفال الذين أشاعوا الرعب فى كل أرجاء الوطن فى غيبة الشرطة؟ وسرقوا وقتلوا وهم لا يعرفهم أحد؟ من هؤلاء الأطفال أصحاب الجثث المجهولة التى تخلفت عن معارك كثيرة ولم يعرف لهم أسرة أو أهل؟

لذا يجب أن تنظر الدولة بعين الإعتبار لجمعيات الرعاية الاجتماعية ودور رعاية الأيتام والأطفال بلا مآوى، و يجب أن تقوم هذه المؤسسات بدورها الإنسانى والقانونى الصحيح، وأن يتم تزويد هذه المؤسسات بالعدد الكافى من الأخصائيين الاجتماعيين المؤهلين لخدمة المجتمع ومتابعة أعمالهم وفحص نتائجها، لمعالجة القصور ومحاسبة المقصرين، هذه الدور والجمعيات تحتاج إلى نظرة غير تقليدية من الدولة، ولا أن يكون الأخصائى الإجتماعى مجرد موظف روتينى، يحكمه دفتر الحضور والانصراف، بل يجب أن تحكمه نتائج عمله ومدى ما يحققه من نجاح فى تنشئة أطفال يقدسون الوطن، ويشعرون بالانتماء والحب تجاه المجتمع، ويتقبلون الآخر ويفخروا براية الوطن ويقفون لتحية العلم وقفة إجلال وإكبار وافتخار.

العشوائيات:

تعود مشكلة ظهور العشوائيات إلى بدايات القرن العشرين، وذلك مواكبة للتوسع العمرانى السريع للمدن، وكذلك إعادة التعمير بعد الحرب العالمية الثانية، وتتعدد

أسباب ظهور وانتشار العشوائيات وأشكالها وأنماطها، فبعضها مناطق سكنية متهالكة داخل المدن، أو مناطق وضع يد تحتل الأطراف الخارجية للنسيج الحضرى، ومناطق مبنية على شكل عشش من الصفيح، هذا بالإضافة إلى ساكنى المقابر، وكل هذه المناطق نشأت بالمخالفة للقوانين واللوائح المنظمة للتخطيط العمرانى، وهى فى الغالب الأعم مناطق غير آمنة، فمنها ما هو معرض للسيول، أو الانهيارات الصخرية أو الأرضية، وكثير منها معرض لأخطار القطارات، حيث تكون المساكن كمتاخمة لقضبان السكة الحديد،

ويبلغ عدد المناطق العشوائية فى جمهورية مصر العربية حوالى ١١٢٢ منطقة عشوائية موزعة على محافظات الجمهورية، ونصيب القاهرة الكبرى منها ١٠٣، حيث تحظى القاهرة بالنصيب الأكبر حيث يبلغ عدد العشوائيات بها ٥٧ منطقة وبالجيزة ٣٠ ويوجد عدد ١٦ منطقة عشوائية بمحافظة القليوبية، وذلك طبقا لإحصاء قامت به الدولة فى عام ٢٠١٥، وتتنوع درجة خطورة هذه المناطق، ما بين مناطق خطرة على الحياة ومناطق شبه خطرة، ومناطق ليست بالخطورة ولكنها تفتقر إلى الحد الأدنى من الخدمات الضرورية للحياة الإنسانية.

وهذه المناطق تفتقد جميعها للمرافق الأساسية من مياه وصرف صحى وكهرباء وتنعدم فيها الخدمات الضرورية، وقد ساعدت عشوائية البناء فيها من حيث ضيق الطرق وتعرجها، إلى أن تصبح بؤرة للفساد الأخلاقى والجريمة، ومكانا جيدا لإخفاء للعصابات والهاربين من القانون.

الخصائص العامة لهذه المناطق:

تعاني العشوائيات من نقص أو عدم وجود المرافق الأساسية والخدمات ولذلك فهي تفرز العديد من المشكلات التي تؤرق المجتمع وتؤثر سلبياً على أمنه وأمانه، وينتشر بين سكانها الفقر والبطالة والانحراف والجريمة والإدمان وغيرها من المشكلات فهم يعانون من الحرمان ويفتقرون إلى الخدمات التعليمية والصحية والثقافية والترويحية،

وأغلب أرباب الأسر والشباب يقضون أوقات فراغهم على المقاهى أو فى الطرقات، فالمسكن لديهم ليس إلا موضع النوم، وبالتالى فالفرار منه أمر حتمى، حيث يبلغ عدد المقيمين بالحجرة الواحدة أو العشة سبعة أفراد أو أكثر.

وتؤكد الدراسات الرسمية الحكومية، وبحوث الجمعيات الأهلية بمصر وجود علاقة وثيقة بين ظاهرة «العشوائيات» السكنية، وبين ظواهر الإرهاب والجريمة، فالمناطق العشوائية تعتبر بؤرا خطيرة لتفريخ الإجرام والمجرمين حيث يصبح سكانها فريسة سهلة، نظرا لما ترسخ لديهم من إحساس كبير بعدم الرضا، الذى يتحول إلى حقد على المجتمع وكراهية لأفراده، فتكون العشوائيات معامل تفريخ المنحرفين فى شتى ألوان الجريمة وخاصة بين الشباب والمراهقين والغاضبين الحاقدين على سكان المناطق الحضارية القريبة منهم، فيستحلون سرقتها أو على الأقل إتلافها!

إلا أن العشوائيات وسكانها لم يكونا مشكلة تؤرق الحكومة المصرية قبل ظهور موجات العنف، اعتبارا من سبعينات القرن الماضي، حيث زحف مئات الآلاف من سكان جنوب مصر وشمالها إلى القاهرة بحثاً عن فرص للعمل وزيادة الدخل، لكن القاهرة التي كانت تغص بسكانها لم تكن لديها القدرة على استيعاب تلك الأعداد من المهاجرين القرويين، إضافة إلى أن سكان الأرياف حين زحفوا على العاصمة لم تكن لديهم القدرة المالية على استئجار شقق في الضواحي السكنية القديمة.

وتشير دراسة ميدانية، أجريت على المناطق العشوائية في مصر، إلي أن ٦٠٪ من أطفال العشوائيات محرومون تماما من أي من الخدمات التعليمية بجانب انخراطهم في سوق العمل في سن مبكرة لإعالة أسرهم حيث يعملون في الورش أو كباعة جائلين وعادة ما تلتقطهم العناصر القريبة من المخدرات سواء للتعاطي أو الاتجار.

والآن، فإن مشكلة العشوائيات مرشحة للتفاقم، لأننا فى لحظة ثورة، والكل يطالب بحقوقه التى أهدرت أو ما يتصور أنه حق له، وسكان العشوائيات لهم حقوق كثيرة، وهؤلاء إن لم ينالوا بعض حقوقهم، فسوف ينطلقون ليس فى ثورة، بل فى

حالة أقرب إلى الفوضى أو الانتقام، الثورة يكون لها هدف واضح، وخطوات مدروسة، أما تحرك الغاضب والعاجز فيكون أقرب إلى الانتقام، وهذا وارد أن يحدث.

ولو دققنا فى جذور البلطجية الذين يمارسون أفعالاً تدخل فى باب الجريمة، لوجدنا أن معظمهم من أبناء العشوائيات، الذين لا يجدون مدرسة يتعلمون فيها، ولا مستشفى يعالجون به، ولا بيتاً يمكنهم أن يتنفسوا فيه، فضلاً عن محليات تتسلط عليهم ويتربح رجالها من وراء هؤلاء الفقراء المعدمين.

وفى أحداث ٢٥ يناير بميدان التحرير، وجدنا معركة بين الثوار الحقيقيين والباعة الجائلين، الذين احتلوا الميدان ومعهم أسلحة بيضاء يتصدون بها لمن يمكن أن يطلب إليهم الانصراف من المكان، سواء كانوا ثوار التحرير أو رجال الشرطة، وفى أحداث مسرح البالون وما بعدها، كانت هناك أصابع واضحة وممارسات من البلطجية، وحدث مساء الأحد فى التحرير احتكاك آخر، والمعنى أنه فى جو المظاهرات والمطالبة بالحقوق، هناك فئة لا يجب السكوت عن حقوقها الضائعة، وإلا صاروا قنابل شديدة الانفجار، يمكن أن تدمر كل شىء وكل ما بنيناه.

وانتهت بعض الآراء والتحليلات إلى أن الذين هاجموا مبنى وزارة الداخلية بعد واقعة البالون هم مزيج من البلطجية وأبناء العشوائيات، وأن لدى هؤلاء غضباً حقيقياً، يجب الالتفات إليه.. طرق التعامل مع البلطجية معروفة، وهناك قوانين ومحاكمات، وهناك جهاز أمن يجب أن يكون قوياً وحازماً فى إطار ما تجيزه القوانين، لكن ماذا عن أبناء العشوائيات؟!

إن المناطق «العشوائية» عبارة عن بؤر شديدة التخلف على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، لارتفاع معدلات البطالة والأمية والكثافة السكانية بشكل لا يمكن تخيله، قائلاً إنها تفتقر لأبسط الحاجات الإنسانية. وأضاف: «لوحظ أن التطرف مرتبط بعلاقات وثيقة مع تلك المناطق، وكذلك الذين ينفذون عمليات إجرامية نظرا لأنهم يعيشون حالة من الحرمان الشديد من أبسط مقومات الحياة».

وتصف الدكتورة عزة كريم أستاذة علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المناطق العشوائية بأنها «قنبلة موقوتة» تشمل «جميع الأنماط السلبية والمتدنية في المجتمع أخلاقيا واجتماعياً وهي النماذج المحرومة من الرعاية ومن حقوقها في المأكل والمشرب والسكن والتعليم والصحة».

وأشارت دراسة قدمتها د. نادية حليم سليمان المستشارة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية إلى أن الأمية والنقص في المهارات يدفع نساء العشوائيات خاصة اللائي يعلن اسر للعمل في القطاع غير الرسمي وبينت الدراسة أن نساء تلك الفئة لا يملكن القدرة على حماية أنفسهن أو القدرة على الخروج من دائرة الفقر، بالنظر إلى افتقارهن للوعي بالكثير من الحقوق أو إجراءات الحصول على تلك الحقوق مثال ذلك الحق في الحصول على نفقة لهن ولأطفالهن.

وبعد ثورة ٣٠ يونيو:

اتجهت الدولة إلى معالجة هذه المشكلة، فأنشأت الآلاف من المساكن الحديثة الصحية فى مجتمعات تتوافر فيها الخدمات الاجتماعية والصحية، والعديد من المدارس ودور العبادة والمنشآت الرياضية. وبدأت فى نقل ساكنى المناطق الخطرة والذين يخشى على حياتهم، ثم ساكنى المناطق العشوائية الخارجة عن تخطيط المدن، كما قامت بتطوير بعض العشوائيات طبقا لحالتها، ولقد أثمر هذا وساعد فى تغيير النظرة الانتقامية التى كانت تسود سكان العشوائيات، إلى إحساس باهتمام كبير من الدولة، وبإنسانيتهم، وبأنهم أبناء نفس الوطن.

●●●

خـــاتمة

أصبح التصدى للإرهاب ومواجهته عنصراً أساسياً فى سياسات الدول والحكومات التى وضعت استراتيجيات عاجلة وآجلة لمواجهته بكافة صوره، والتى تتمثل فى المواجهات الأمنية والفكرية وضرورة تكثيف الدور الأمنى بالتعاون بين السلطة والمجتمع المدنى لردع كافة العناصر التكفيرية وصد ومنع أى محاولات تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار الوطن.

ولهذا فإن دور مؤسسات المجتمع المدنى والنقابات المهنية ومراكز الشباب هو توعية الشباب والحوار معهم ووضع لغة حوار مجتمعية تتضمن كيفية وضع أسس وقواعد راسخة لبناء دولة قوية مستقرة.

ولن يتم ذلك إلا بالتعاون بين الجميع للقضاء عليه واستئصاله، ليسود الأمن والطمأنينة بين أفراد المجتمع.

لأن الإرهاب أو التطرف ليس بإطلاق الرصاص أو العبوات الناسفة على الآمنين والمعارضين بل قد يكون بكلمة تؤدى إلى انقسام المجتمع ونشوب قتال بين أبنائه.

فمن يتهم المجتمع بالكفر والجاهلية فهو متطرف، ومن يحصر الدين فى ارتداء الجلباب وتقصيره أو لبس العمامة وإطلاق اللحية واستخدام السواك، وفى نفس الوقت يحرم العمل فى الحكومة أو التعامل معها أو يمتنع عن الدراسة في مدارسها ويعتبرها حراماً، يعد متطرفاً.

ومن ثم فمن يستغل النقابات والمساجد فى جمع التبرعات لمساعدة المسلمين فى دول أخرى رغم حاجة فقراء بلده إلى كل قرش، يعد متطرفاً.

إن محاربة الإرهاب تحمل العديد من المعاني وكافة أوجه الصور، وأصبحت مؤثرة في حياة الشعب ففي كل حين يحدث حادث إرهابي يستهدف أبناء الوطن من رجال أمن ومواطنين أبرياء فقد أصبحت العمليات الإرهابية خطر داهم يستهدف العديد من الدول.

ومن أجل التصدي لمثل هذه الأحداث يجب أن تسعى الدولة في وضع استراتيجيات عاجلة لمواجهة كافة العمليات الإرهابية ومجابهتها وشددت على ضرورة تكثيف الدور الأمني بالتعاون بين رجال السلطة والمجتمع المدني لردع كافة العناصر التكفيرية من أي محاولات تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار الدولة، لهذا فإن دور مؤسسات المجتمع المدني والنقابات المهنية والأندية ومراكز الشباب هو توعية الشباب والحوار معه ووضع لغة حوار جماعية تتضمن كيفية وضع أسس وقواعد راسخة لبناء دولة متينة وقوية، لأن الإرهاب شر وبلاء من الواجب التعاون بالقضاء عليه واستئصاله لدعم السلم والسلام واستمرار الأنشطة المجتمعية والسياسية لجعل الدولة تسير في الخط الصحيح.

كما أن أهم العوامل التي تغير وتؤثر في السلوكيات، دور العبادة لأن الدين يلعب دوراً مهماً في حياة المجتمع الإسلامي عامة والمصرى خاصة من خلال التأثير الشديد لرجال الدين على الشباب، حيث يجب إصلاح الخطاب الديني بشكل جدري ليكون خطاب محبة يجمع ولا يفرق من خلال الاختيار الجيد لكل من يعتلي المنابر في المساجد والمواعظ الدينية.

كما أن المؤسسات التعليمية وهي شريك أساسي في القضاء على التطرف وذلك يحتاج إلى وضع مناهج تعليمية تنمي المواهب والفنون والفكر والإعتدال والثقافة، من خلال وضع مناهج جديدة لجميع المراحل التعليمية على يد خبراء حتى نربي جيلاً جديداً، معتدل الفكر ومتزن يسمع ويقبل ويحاور، وهناك جانب آخر لا يقل أهمية، وهو المعلم الذي يجب تأهيله ومروره بالعديد من الاختبارات النفسية على يد خبراء في جميع المجالات للتأكد من أنه قادر أن يربي جيلاً جيداً سوياً صالحاً للوطن، وأيضا يجب التأكد من خلال المتابعة المستمرة أن المعلم لا يقوم ببث أي فكر متطرف، فهناك دور مهم للمؤسسات الثقافية والفنية من سينما ومسرح، من خلال الأعمال الفنية والندوات التي تشكل جزءاً كبيراً من الوعي والثقافة عند الشباب والأندية الرياضية والاجتماعية، وباقي المجتمع المدني لأنه القاطرة الأساسية في التنمية والتوعية.

لأن المجتمع المدني والمؤسسات التربوية ودوائر الدولة تساعد على ترسيخ مفهوم المواطنة في نفسية المواطن ليتمكن بدوره من اتخاذ قراراته بنفسه داخل المؤسسات التي يعمل ضمن مجالاتها، والتضحية بالغالي والنفيس دون التأثير بالأفكار التي تروجها العصابات الإرهابية والتكفيرية وفئاتها الضالة التي انحرفت عن مسار السلوك القويم للمجتمع قاطبة، واستغلال الفرص من أجل الهيمنة للنيل من مقدراته.

ولابد أن نعترف أن كل ما سبق لن يؤتى ثماره فى القضاء على الإرهاب، إلا بتعاون المجتمع الدولى بتقديم كافة أنواع المساعدات للدول التي تعاني من الإرهاب، وكذلك فى قطع طرق إمداد التنظيمات الإرهابية بالمال والسلاح، وكذلك محاربة كل من يوفر للإرهاب الملجأ والملاذ الآمن والدعم اللوجيستى.

تم بحمد الله

أهمّ المراجع والمصادر

١- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي : تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم.

٣- أحمد جاد منصور: حماية حقوق الإنسان دولياً، إقليمياً، وطنياً، أكاديمية الشرطة ٢٠١٣.

٤- أحمد وهدان وآخرون: الأنماط الجديدة لتعرض الأطفال للانحراف، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، قسم بحوث الجريمة ٢٠٠٠.

٥- إقبال الأمير: الخدمة الاجتماعية المدرسية وجودة التعليم فى مصر، القاهرة، ٢٠٠٥.

٦- إقبال الأمير وإيمان أبو رية: الخدمة الاجتماعية المدرسية والجودة الشاملة، القاهرة ٢٠٠٦

٧- أحمد جلال عز الدين: الإرهاب والعنف السياسى، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر.١٩٨٦.

٨- أحمد جلال عز الدين: الملامح العامة للجريمة المنظمة، مطبعة بن دسبال ومكتبتها، ١٩٩٤ دبى.

٩- أحمد طه خلف الله: الإرهاب .. أسبابه وأخطاره وعلاجه، القاهرة ١٩٩٥.

١٠-أحمد مختار عبد الحميد عمر: تعريف الإرهاب.

١١- أعمدة الحكمة السبعة: توماس إدوارد لورانس (لورنس العرب).

١٢- أمل حسونة، منى سعيد: الذكاء الوجدانى، الدار العالمية للنشر والتوزيع . ٢٠١٤

١٣- ثروت الخرباوى: سر المعبد (الأسرار الخفية لجماعة الإخوان) ٢٠١٣

١٤- ثروت الخرباوى: قلب الإخوان ٢٠٠٢

١٥-جمال شحاتة، أميرة عبد العزيز: الشرطة المجتمعية والدفاع الإجتماعى، نشر دولى، ٢٠١٢.

١٦- روبرت دريفوس: لعبة الشيطان (دور الولايات المتحدة فى نشأة التطرف الإسلامى) ٢٠٠٥

Robert Dreyfuss :Devil,s Game

١٧- على عشماوى: التاريخ السرى للإخوان المسلمين ١٩٩٥.

١٨-مارك كيرتس: التاريخ السرى لتآمر بريطانيا مع الأصوليين. ٢٠١٠ المملكة المتحدة.

Secretaffars, Britain.s Collusion With Radical Islam.

How the United States helped Unleash Fundamentalist Islam

الناشر: مركز دراسات الإسلام والغرب ٢٠٠٥.

١٩-محمد أبو الفتح الغنام: الإرهاب وتشريعات المكافحة فى الدول المتقدمة، القاهرة، ١٩٩١.

٢٠- أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم: إدراك الاخصائيين الاجتماعيين لنظام الجودة الشاملة فى المؤسسات التعليمية، المؤتمر العلمى الثامن عشر، كلية الخدمة الإجتماعية، جامعة حلوان، ٢٠٠٥

٢١- الفاتح عبد الرحمن محمد: دور الشباب والمرأة فى مكافحة التطرف العنيف ٢٠١٥.

٢٢- القرآن الكريم.

٢٣- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة الفرق والمذاهب فى العالم الإسلامى.

٢٤- المعجم الوسيط.

٢٥- إلهام عفيفي وآخرون: المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، مؤتمر الطفل وآفاق القرن الحادى والعشرين، القاهرة ١٩٥٥.

٢٦- أميرة عبد العزيز العربى: دور خدمة الجماعة مع الأمهات الصغيرات، بحث غير منشور، ٢٠١٤.

٢٧- أميرة عبد العزيز العربى: التدخل المهني بطريقة العمل مع الجماعات مع الأمهات الصغيرات مجلة الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان ٢٠٠٨.

٢٨- أميرة عبد العزيز العربى: العنف بين التلاميذ بالمدارس، بحث منشور، مؤتمر التخطيط العمرانى – دولة الإمارات – دبى ٢٠٠٠.

٢٩- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، والدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

للملايين، بيروت، لبنان.

٣٠- سامى الأعصر: أطفال الشوارع، الظاهرة والأسباب، القاهرة، المجلس العربى للطفولة والتنمية، ٢٠٠٠، ص ١٦٥.

٣١- سعد الزنط : الوطن، رؤية غائبة، وقرار مأزوم، محاضرات ودراسات وأبحاث، ٢٠١٣.

٣٢- سلسلة حماية حقوق الإنسان والحريات الأساسية فى سياق مكافحة الإرهاب، الجزء الأول.

٣٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٤- سليمان محمد سليمان: عبد الفتاح رجب: أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالذكاء الوجدانى لدى الأبناء، جامعة الأزهر، مجلة كلية التربية، العدد ١١١، ٢٠٠٢

٣٥- سلوى عثمان الصديقى: استخدام نموذج الممارسة العامة فى الخدمة الاجتماعية فى تحقيق التوافق الاجتماعى للإناث من أطفال الشوارع المساء إليهن جنسياً، مجلة دراسات فى الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، عدد ١٩، ٢٠٠٩.

٣٦- عزت عبد الله كواسة: الذكاء الوجدانى وعلاقته بالدفع للإنجاز لدى الجماعة، جامعة الأزهر المؤتمر السادس للتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية لكلية التربية ٢٠٠٢.

٣٧- علا مصطفى، عزة كريم وآخرون: الطفل فى المناطق العشوائية، المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية، برنامج بحوث العشوائيات ١٩٩٨.

٣٨- عمرو فاروق: داعش – سفراء جهنم (الحياة فى أحضان الدم) كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

٣٩- فاروق السيد عثمان ومحمد عبد السميع: الذكاء الإنفعالى، مفهومه وقياسه، مجلة كلية التربية بالمنصورة، العدد الثامن والثلاثون، ١٩٩٨.

٤٠-قرية الأمل: تقرير عن الأمهات الصغيرات، القاهرة، قرية الأمل، ب ت، ص ٢.

٤١-كمال عزيز عطا الله: استخدام العلاج الجماعى من منظور خدمة الجماعة وزيادة تقدير الذات للفتيات القاصرات المنحرفات جنسياً، المؤتمر العلمى التاسع عشر كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ٢٠٠٦، ص ١٧٧٤.

٤٢- ماهر أبو المعاطى على: جودة تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية بين الواقع وطموحات التحديث، ورقة عمل، المؤتمر العلمى السابع عشر، كلية الخدمة الإجتماعية جامعة حلوان، ٢٠٠٤.

٤٣- مختار الصحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٤٤- معجم المعاني الجامع.

٤٥- معجم تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٤٦- ياسر قطيشات: (الضربة الاستباقية) كاستراتيجية جديدة فى العلاقات الدولية، «حرب العراق»

●●●

الفهـــــــرس	الصفحة

إهداء:..... ٥

تقديم..... ٧

مقدمة:..... ٩

الفصل الأول: مفهوم الإرهاب :..... ١٥

تاريخ الإرهاب:..... ١٨

التباين فى تعريف الإرهاب:..... ٢١

الإرهاب والتطرف :..... ٢٢

جذور الإرهاب فى المجتمع العربى :..... ٢٧

بداية الدور البريطانى :..... ٢٩

طبيعة السياسة البريطانية بمشاركة الولايات المتحدة:..... ٣١

صناعة بريطانية:..... ٣٥

الإرهاب فى مصر:..... ٤٤

قبل الجمهورية :..... ٤٤

بعد الجمهورية:..... ٤٥

جمال عبد الناصر وحادث المنشية: ٤٥

عملية لافون :..... ٤٥

تنظيم ١٩٦٥ (سيد قطب) :..... ٤٦

تنظيم الفنية العسكرية:..... ٤٨

تنظيم التكفير والهجرة:..... ٥٠
اغتيال السادات:..... ٥٣
مذبحة أسيوط:..... ٥٩
الفصل الثانى: الإرهاب فى العقود الأخيرة:..... ٦٥
محاولة سيدى برانى:..... ٦٧
محاولة أديس أبابا:..... ٦٨
مذبحة الأقصر :..... ٨٢
تفجيرات طابا ٢٠٠٤ :..... ٨٤
رأس شيطان :..... ٨٥
تفجيرات شرم الشيخ:..... ٨٥
تفجيرات الكنائس:..... ٨٨
الفصل الثالث: المواجهة الأمنية:..... ٩٧
الأمن والحريات الفردية فى ظل الحرب على الإرهاب:..... ٩٩
إجراءات بوليسية فى دول ديموقراطية:..... ١٠٠
إزدواجية المعايير:..... ١٠٢
أهمية المواجهة الأمنية:..... ١٠٤
عناصر المواجهة الأمنية:..... ١٠٦
الضربات الاستباقية:..... ١١٦
مفهوم الضربات الاستباقية:..... ١١٦

استخدام الضربات الاستباقية في مواجهة الإرهاب:..... ١٢٥
أمثلة للضربات الاستباقية:..... ١٤٩
الفصل الرابع: الإرهاب الإلكترونى:..... ١٥٣
ماهية الإرهاب الإلكترونى :..... ١٥٣
مفهوم الإرهاب الإلكترونى:..... ١٥٦
من هو الإرهابي:..... ١٥٧
جيوش وتنظيمات الكترونية:..... ١٥٩
خطورة الإرهاب الرقمي:..... ١٦٥
هجمات هوليودية (سينيمائية):..... ١٦٧
الحماية من الإرهاب الإلكترونى فى الدول المتقدمة:..... ١٦٩
سيناريوهات حرب المعلومات:..... ١٧٢
تصاعد الهجمات الإلكترونية:..... ١٧٤
الخـــلاصـــــة:..... ١٧٧
الفصل الخامس: الأمن الفكرى والإرهاب:..... ١٧٧
مفهوم الأمن الفكرى:..... ١٧٩
صيانة الأمن الفكرى من الإرهاب:..... ١٨٢
مفهوم حرب المعلومات:..... ١٨٥
كيف يستخدم داعش الجانب المظلم لوسائل التواصل الإجتماعى:..... ١٨٧

الفصل السادس: القصور فى آليات مواجهة التطرف والإرهاب:.. ١٩٣

آثار التطرف:..... ١٩٥

دور المجتمع:..... ٢٠٢

الدور الحكومى:..... ٢٠٣

دور مواقع التواصل الإجتماعى:..... ٢١٢

الأســـرة:..... ٢٢٤

ظاهرة الأمهات الصغيرات:..... ٢٢٦

الرعايا البديلة:..... ٢٣٤

العشوائيات:..... ٢٣٥

خاتمة:..... ٢٤٠

أهم المراجع:..... ٢٤٣

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر